فن الهجاء

في شعر العصر العباسي الأول

الدكتور
سعد علي جعفر المرعب



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

فن الهجاء

في شعر العصر العباسي الأول

فن الهجاء
في شعر العصر العباسي الأول

الدكتور
سعد علي جعفر المرعب

الطبعة الأولى
2016م - 1437هـ



دار الرضوان للنشر والتوزيع - عمان





للنشر والتوزيع

رقم التصنيف: 811.04

فن الهجاء في شعر العصر العباسي الأول

سعد علي المرعب

الواصفات: الشعر العربي / الهجاء // العصر العباسي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/7/3251)

ردمك ISBN 978-9957-76-449-4

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – الأردن – العبدلي – شارع الملك حسين

قرب وزارة المالية – مجمع الرضوان التجاري – رقم 118

هاتف 6 4611169 962+ هاتف 6 4616436 962+ فاكس 6 4616435 962+

ص ب 926141 عمان 11190 الأردن

E-mail: info@daralredwan.com

www.redwanpublisher.com

المحتويات

الباب الثاني
الدراسة الفنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين .... وبعد .

الهجاء فن عرفته الإنسانية منذ فجر المعرفة التي ميّزت بين الخطأ والصواب ، وبين المشروع والممنوع ، في القول وفي العمل ، في النظرية وفي التطبيق ، فهو – الهجاء – احد وسائل الصراع التي من خلالها تتمخض الحياة الإنسانية عن ولادة عسيرة ومضنية ، عن أشكال في الرقي والتقدم بالبنية الفوقية للمجتمع والتي تقود في النهاية إلى تقدم جوهري في الفرد والمجتمع والتاريخ .

وقد يكون الهجاء أحياناً منطوياً على شيء من التجني ، وسيلٍ من الأراجيف والبهتان بسبب نوازع الحقد والشر ، التي تؤججها مواقف العداء والنفاس والحسد ، ولكن الحذر من الهجاء في النهاية هو عصمة يخلقها العقلاء بذواتهم كما تخلق المناعة في الجسد . فضلاً عن ان الهجاء وسيلة تقويمية تصويبية قد يقدمها بلا مقابل هجاء مازح ، أو عالم ناصح ، أو خصم قادح ، أو منافس حاسد ، وفي كل الأحوال فهو – الهجاء – وسيلة ، من حيث لا يدري أو يرغب ، لتنمية النباهة، وتجذير الانتباه ، لعل المرء يرى وجهه الثاني ، من خلال سماعه للرأي الآخر فيدرك عندئذ ما خفي عنه من نفسه .

ولا ابالغ ان قلت ان الذي استهواني لاختيار هذا الموضوع ليكون ميداناً لرسالتي انه – كما وجدته – من ابرز عناصر الأدب العربي الذي أرخ تميز العرب على غيرهم من الأمم . فلقد وجدته ساحاً لدراسة التاريخ ، وكشف ملابسات الصراع السياسي والاجتماعي ، برواية مسندة لا تقبل التضعيف أو الطعن ، يشجعني على ذلك ضخامة الإرث الثقافي الذي خلفه لنا الماضون والمجددون ، مما يساعد الباحث على أن يجد المنابع اللازمة لتغذية طموحه .

ولقد اعتمدت خلال مسيرة هذا البحث كوكبة من المصادر المعتبرة ، والمراجع الموثوقة التي تناولت التاريخ الأدبي والنقد الأدبي ، منذ فجر تدوين النقد حتى عصرنا هذا .

ومن بين المهم من المصادر المعتمدة ، على سبيل المثال لا الحصر (كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والعمدة لابن رشيق ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر) وغيرها الكثير من المصادر التي يجدها القارئ الكريم في ثنايا البحث وفي فهارسه .

على ان المراجع التي اعتمدتها لا تقل أهمية عن المصادر لما اشتملت على كنوز لا تقدر بثمن من الأبحاث والآراء وما نجمت عنه تلك الأبحاث من التفسير التاريخي للأدب العربي ، ومن بين تلك المراجع على سبيل المثال لا الحصر (الهجاء والهجاؤون في الجاهلية للدكتور محمد محمد حسين ، والهجاء الجاهلي لعباس بيومي ، وفنون الأدب الغنائي (الهجاء) لسامي الدهان ، والهجاء عند ابن الرومي لعبد الحميد جيده ، وأسس النقد الأدبي عند العرب لأحمد بدوي ، ومن تاريخ الأدب العربي للدكتور طه حسين ، وكتابات الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب والنقد) وغيرها من المصنفات المهمة الأخرى .

لقد حرصت ، جهد إمكاني ، ومن خلال منهج نقدي تاريخي للعصر الذي تناولته هذه الرسالة أن أسلط الضوء على المغمور من الشعراء في هذا العصر ، الذين لم تشبعهم أقلام الباحثين كغيرهم بحثاً ، مضافاً إلى الشعراء المشهورين ذوي الباع الطويلة في الساحة الشعرية ، ولا ادعي لنفسي إنني حققت ما لم يحققه غيري قبلي من الباحثين ، ولكني قدمت ما تيسر لي من جهد لعلّي قد حققت من خلاله بعض ما كنت أتمناه في ذلك .

وقد تشكل الهيكل النظري للرسالة من مقدمة وتمهيد أوضحت من خلاله بعض حقائق الهجاء في المجتمع في حقب مختلفة من الأزمان ، وآثار تلك الحقب على جوهر الهجاء وأغراضه واتجاهاته الفنية .

ثم قسم الموضوع على بابين ، الأول وهو باب الدراسة الموضوعية الذي اشتمل على توطئة ثم الفصل الأول الذي تناول الهجاء الشخصي ويعني عيوب الخلقة والسحنة ، والأعراض والأنساب ، والمعايب الخلقية والنفسية من خلال ثلاثة مباحث .

ثم الفصل الثاني الذي اختص بالهجاء السياسي ، وبعد أن قدمت للموضوع الأساس مقدمة نظرية عن العصور التي سبقت هذا العصر ، تناول المبحث الأول منه شعراء حزب السلطة العباسية ، وتناول المبحث الثاني شعراء الشيعة (العلويين) ، وتناول المبحث الثالث حزب الموالي ، فيما تناول المبحث الأخير هجاء رجال الدولة.

أما الفصل الثالث من الباب الأول فقد اختص بالهجاء الاجتماعي وهو على مبحثين ، الأول منهما للهجاء العام وفيه هجاء المدن وذم البلدان والمجتمع وظواهره والدهر ، فيما تناول المبحث الثاني هجاء الشعراء والأدباء وعلماء اللغة ورواتها .

أما الباب الثاني فقد خصص للدراسة الفنية من الرسالة وهو على فصلين ، الأول تناول البناء الفني لشعر الهجاء ، والفصل الثاني تناول الخصائص الفنية لشعر الهجاء من حيث اللغة والصورة والموسيقى .

والله ولي التوفيق

سعد علي جعفر المرعب

التمهيد

الهجاء لغة للشتم ، خلاف المدح ، فيقال : هجا وهجاه ويهجوه هجواً وتهجاءً ، ممدود ، وقال العرب : الهجاء هو الوقيعة ، وروي أنّ عمرو بن العاص قد هجا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعا عليه يقول (ص) (اللهم إنّ عمرو بن العاص هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني) [1] .

(إنّ كلمة الهجاء جاهلية قديمة) [2] (والهجاء ضد المدح فقط وبابه عداً وهجاءً أيضاً) [3] على إنه إن كان كل ما لُحِظ في نقلها هو التعديد فلم يكن تعديد المفاخر والفضائل هجاءً أيضاً [4] ويعني ذكر مكارم قومه تفاخراً وإنكارها للطرف الآخر . ولهذه المادة معاني متعددة منها ما يكون اقرب للمعاني الأدبية ومنها ما يختص بالذم وإظهار العيوب والمثالب وهي كما يلي :

منها : في المعنى الحسّي ، فالهجاة هي (الضفدع) الحيوان البرمائي المنفر للنفس من حيث هيئته وقبح صوته وطريقة قفزه [5] ومنها : إذا قيل هجأ أو هجيء الرجل : أي التهب جوعه ، أو هجأ جوعه أي سكن وذهب وانقطع وهجأ الطعام ملأه او أكله . كقولهم :

فأخزاهم ربي ودلّ عليهم   وأطعمهم من مطعم غير مهجيءِ

وهجا الأبل والغنم : كفّها لترعى .

ومنها ما يعني القراءة . قيل لرجل من قيس : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : والله ما أهجو منه حرفاً .

ومنها تحقير من تهجوه بان تقرن صورته بصورة حيوان وتعقد بينهما شبهاً مما يثير اشمئزاز المستمع ويبقى وصفاً له ملتصقاً به أبداً .

وقد فسره الزمخشري في أساس البلاغة حيث قال (وهو هجاء فلان على مقداره في الطول والشكل) [6] . ومنها ما للهجاء من أثر نفسي واجتماعي على المهجو بمعنى التفصيل والتقطيع ، حينما يهاجم الشاعر شريفاً يجرده من دثاره

الأخلاقي والاجتماعي ويزيل ما يستتر به من العيوب وهو ما يسمى هجاء (الحروف) أي تقطيع اللفظة بحروفها [7] . وبما أنّ الهجو إنما يصدر عن تميز من الغيظ والغضب فان المعنى يكون مترابطاً مع ما تقذفه الصحراء من شواء ولهب ، لذا فهم يقولون (هَجُوَ يومنا بمعنى اشتدّ حرّه) [8] . ومنها : ما اقتصر على ذكر المثالب والعيوب وكشف العورات والوقوف على ما خفي من عيوب شخصية وأكثر ما يقتصر هذا المعنى بالأشراف ، فالدون لا يعبأ إن هجوته بعاره [9] فإذا ما أماط الشاعر اللثام عما يكتمه الشريف من مثالب فقد أذهب زهوه وكبره [10] وإذا كان معنى كلمة الهجاء يدور حول البشاعة والشدة والغضب والنكال والكشف عن المعايب ، فان الكلمة مرنة تحتمل الزيادة وتوسيع مدلولها الأدبي إلى معاني قريبة من المعنى الأول ، فالهجاء يشمل عدة عناصر من أهمها الكشف عن المعايب والقول المصاحب للغضب. وعلى هذا فهو ينحصر في أمرين:

الأول: تعرية الأمر وهتك ما ستر منه

الثاني: إن يقترن بعاطفة الغضب مما يجعل شعر الهجاء على علاقة وطيدة بالانفعال الحاد الناشئ عن السخط [11]

والهجاء احد الأغراض القديمة التي استخدمها الشعراء العرب قبل الإسلام وقد ارتبط هذا الغرض بمجموعة من الطقوس التي كان يمارسها الشاعر تمهيدا لجولة الهجاء[12] ولذلك كان العرب يتطيرون من الشعراء الهجائيين الذين يسلبون الخصال الحميدة من الأشراف لوضعهم موضع السخرية والتهكم [13] وقد أعطى فقهاء اللغة والأدب لمصطلح الهجاء تعاريف فقالوا : هو (ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها) [14] (أبو عمرو بن العلاء) و (فن الشتم والسباب وهو نقيض المدح)[15] (قدامة) و (ابلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض) [16] الجرجاني . و (أصحاب المطبوع اقدر على الهجاء من أهل المصنوع) [17].

و" الهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء وسـواء فـي ذلك أن يكون موضوع العاطفة هـو الفرد أو الأخلاق أو المذاهب "[18]وما دام الهجاء صادراً عن العاطفة شأنه في ذلك شأن فنون الشعر الغنائي فهو إذن فـن قـديم في الأدب العربي ولكنه تطور تطوراً كبيراً منذ العصر الجاهلي حتى عصر ابن الرومي في القرن الثالث الهجري بحكم تغير الدوافع إليه وتطور الـذوق العـام مـن عصـر إلى عصر [19] . ولم يكن الهجاء اقل تمثيلاً لحياة الشـعب مـن المـديح إذ هـو في حقيقته تصوير لمثالب المجتمع وما بأفراده من خصال ذميمة وما بحكامه من انحراف عن الجادة [20] و (الهجـاء هـو تجريـد المهجـو مـن الخصـال الحميـدة) [21] . و (الهجـاء إظهـار العورات) [22]. ويبدو أنّ الهجاء كان منذ القدم احـد أنمـاط الحـروب الضـارمة عنـد العرب ، ولنزوعهم نحو هذا المنحى ، اهتم به الشعراء أيما اهتمام ، فإذا ما بلـغ امـرؤٌ السؤدد والكمال بين الأشراف بادره السفهاء من الشعراء الذين حسدوه على مجـده ، فينبشون دوائر حياته الشخصية وتاريخ قبيلته ، ومن طلب عيباً مـا وجـده . ويسـبق الجـاحظ غـيره مـن البـاحثين في تفسـير ظـاهرة تعـرض الأشـراف لهجـاء الشـعراء والإعراض عن الأغمار الأجلاف من الناس فيقول : (...القبيلة الشريفة يكون فيها خيرٌ كثير وشرٌ كثير وبذلك تكون معرضة للهجاء ، اما القبيلة الوضيعة فلا تذكر بخير ولا شر وتدخل في غمار الناس فمحل أهلها محل من لا يغيظ الشـعراء ولا يحسـدهم الأعداء) [23] .

كقول المتنبي [24]:

ومـا ينفـعُ الأصـلُ مـن هاشـمٍ إذا كانـت الـنفسُ مـن باهلـهْ

وخاطب الأحنف بن قيس رجلاً زعم انه لا يبالي بالهجاء قال له :

((استرحتَ من حيثُ تعب الكرام))[25]-

ورد جرير على الراعي النميري [26]

فغـضّ الطـرف انّـك مـن نُمـيرٍ　　فـلا كعبـاً بلغـت ولا كلابـا

ويرد أبو نواس على احدهم : [27]

غالـبُ لا تسـعى لنيـل العلـى　　بلغـت مجـداً بهجـائي فقـفْ

وكـانَ مجهـولاً ولكـنني　　نوّهـت بـالمجهول حتـى عـرفْ

ونختصر أسباب الهجاء الموجه ضد الأشراف :

1. حسد الأشراف للأشراف ، فيدفع بعضهم الشعراء لهجاء بعضهم .
2. دوافع طمع الشعراء لنيل العطاء .
3. نباهة السيد الكريم سبب اختلاف الآراء فيه .
4. العداوة التي غالباً ما تجر الحروب وما يحيط بها من هجاء .

وقلما نجد من الأشراف من سلم من لسان الهجاء وان لم يكن ذا عيوب ، فان وجد فهو إما خامل جداً أو نبيه جداً [28] ولقد اخرس بعض العرب شعراء الهجاء وألجموا ألسنتهم عنهم بالمال والحماية من المخاطر . ولقد كشف عن هذا الجاحظ حيث قال: (وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب) [29] هنا كانت وقفتنا مع بعض الباحثين من أعضاء الفريق القائل بان الهجاء فن إظهار المثالب والعيوب الخافية أو اختلاقها . لكن هناك فريق آخر من الباحثين يعتقد ان الهجاء تهذيب للأخلاق وإصلاح للمجتمع والحكام على حد سواء فهو يعمل على النقد المرتفع الذي لا يرحم إذا ما انطلق ، وينبغي على السيد الكريم تجنبه ودرء خطره بالابتعاد عن ارتكاب الأخطاء التي تسوغ للشعراء تناولها [30] .

إنّ الهجاء تهذيب للأخلاق وإصلاح للمجتمع حكاماً ورعية ، فقد ورد في الأدب اللاتيني مصطلح (ساتيرا) لوصف الهجاء ويعني مزج الشعر والنثر قصعة شعرية تجسم العيوب الاجتماعية والظواهر المدانة من خلال كتابة ساخرة تجمع ما بين الشعر والنثر ، وذهبت الشعوب اللاتينية مذهباً بعيداً عندما ادّعت أنّ فن الهجاء من نتاجاتهم باسمه وشكله استناداً على ما شهدته مسارحهم القديمة من أناشيد ذات

اللهجة الساخرة التي كانت تغنى او تمثل في القرن الثاني قبل الميلاد وفي مقدمة شعرائهم آنذاك (لوبيليوس) الذي جمع بين العظمة الأخلاقية والسخرية اللاذعة (31).

2- الهجاء غرض أساس بين الأغراض الشعرية :

إنّ أغراض الشعر العربي لدى القدماء سادها الاضطراب ، وغلب عليها الخلط ومردُّ ذلك إلى أسلوب المعالجة ، والولع بالرواية والنقل ، وغياب المنهج النقدي،'لأنه يأتي متأخراً عادةً .ويتضح كذلك إنّ التقسيم الأمثل يكمن في رد دراسة إغراض الشعر إلى الدوافع التي أملَتْه ، لأنه مرتبط بالحالة التي قيل فيها ، والشخص الذي قاله، وهذا يقلل من كثرة الأغراض ، وينفي الخلط إلى حدّ ما ، ويتّسق وطبيعة الشعر العربي ، ولا سيما الجاهلي منه .

وبدا جلياً إنّ الإغراض الأربعة التي حرص النقاد الأقدمون على ذكرها ، يمكن أن تصبح غرضين، هما الفخر والهجاء ، وذلك يناسب طبيعة الإنسان العربي الجاهلي، رافضةً، راضيةً، (فالهجاء غرض أصيل في الشعر العربي بل ربما كان أقدم الأغراض الشعرية في الجاهلية)(32)

- ولقد وجدت من خلال دراستي إنّ الهجاء ركن أساس من أركان الشعر العربي لم يتجاهله أو يلغه أي ناقد عربي منذ عرف العرب التوثيق لأدبهم .

ولقد بلغ مبلغ كبار النقاد إنّ بعضهم لم يذكر صراحة فنون الشعر لكي يتطرق إلى أغراضه كأبن قتيبة الذي لم يذكر سوى إنّ الشعراء (مختلفون فمنهم من يسهل عليه المديح ويُعسر عليه الهجاء) (33) .

وبلغت لدى أكثر العلماء الأسماء التي أطلقت حول فنون الشعر هي : (34)

1- بيوت الشعر 2- إغراض الشعر 3- أركان الشعر

4- قواعد الشعر 5- أقسام الشعر .

لقد ذكر كبار نقاد العرب إنّ بيوت الشعر هي :

- (فخر ومدح وهجاء ونسيب) (35)

- أو (فخر ومديح ونسيب وهجاء) [36]
- أو (المديح والهجاء والافتخار والغزل) [37]
- أو (الأمر والنهي والخبر والاستخبار) وسماها قواعد الشعر[38]
- أو (الرغبة والرهبة والطرب والغضب) [39] .
- أو (مدح رافع ، هجاء واضح ، تشبيه مصيب ، او فخر سابق) [40]
- أو (المديح والهجاء والحكمة واللهو) [41]
- أو (فخر ومديح ونسيب وهجاء) [42]
- أو (المديح والهجاء والوصف والتشبيه) وزاد النابغة ، الاعتذار [43]
- وزاد قدامة (الوصف) [44]

أما ابن رشيق فقد أورد مجمل آراء العلماء في هذا وكان يمتاز بالبينة والذوق لكنه كان مفرطاً إذ جعل أغراض الشعر تسعة :

(النسيب – المديح – الافتخار – الاقتضاء – الاستنجاز – العتاب – الوعيد – الهجاء – الاعتذار) [45].

وزاد أبو تمام الطائي في حماسته غرضاً عاشراً : [46]

الحماسة – المراثي – الأدب – التشبيه – الهجاء – الأضياف – الصفات – السير والنعاس – المِلَح – مذمة النساء .

إنّ هذا الخلط في استخدام المصطلحات ، والاختلاف في دلالاتها راجع إلى الابتعاد عن النظرة الموضوعية والحكم الذي يعتمد الذوق الخاص ، والانتصار للمذهب وما يتفق مع الهوى ، ((فان الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم)) [47] ومن هنا فان المحتوى سوف يتسع أو يضيق تبعاً لفهم الدارس ، ومن الصعب بمكان أن نحاول حصر أغراض الشعر العربي من كتابات السابقين ، لما أشرت إليه آنفاً ، فعند غياب النظرة الموضوعية يسيطر الاضطراب ويعم التهويم ، ويكثر القول بالظن والهوى، والاضطراب في الأغراض يأخذ شكلين:

1. اضطراب من حيث الاختلاف الموضوعي ، غرض مكان غرض .
2. اضطراب من حيث الكم : قلة وكثرة ، ضيقاً واتساعاً .

ولا نستطيع ان نحدد مساراً ذا تضاريس معينة للمصطلح النقدي هذا لغلبة الارتجال والنقل وتداخل الذوق والمذهب [48]

3- الفن في الهجاء :

وإذا كان الباحثون القدامى قد عدّوا الهجاء فنّا من فنون الشعر مع انه يصف مشاهد مؤذية ، دون أن يبحثوا بدقة عن السر في جعله من ألوان الأدب ، فأن الباحثين المعاصرين انتبهوا إلى هذه الناحية ووصلوا بعد البحث إلى هذا السر في عدّ الهجاء لوناً من ألوان الأدب [49] وخلاصة هذا البحث أنّ الأدب يستهدف المعرفة المقرونة بالأعجاب ، والفكرة الجمالية مصدر إعجاب لذاتها لأنها تثير انفعالنا وتؤثر فينا ، فحتى لو كان موضوع الأدب في حد ذاته غير موصوف بالجمال كالهجاء ، فان هذا الموضوع يدخل في باب الجمال لان الأديب تمكن بهذا الأدب من أن يؤثر فينا ومن أن يثير منّا كثيراً من الانفعالات الكامنة[50] والأدب بكل قوته وموضوعاته ، صورةٌ للحياة وتعبيرٌ عن أفكار يحسُّ بها الأديب من خلال تفاعله مع هذه الحياة ، وفي حياتنا كما هو معروف – جوانب إنسانية يتلقى الناس بعضها بالرضا والقبول والإعجاب ويتلقون بعضها الآخر بالرفض والغضب ، ولهم في الحالين طرائق في التعبير عن هذا الذي يحسونه تجاه كل جانب . والشعر أداة فنية جميلة يستخدمها الشعراء للكشف عن أحاسيسهم وأحاسيس غيرهم في كل حالة . وحتى هذه المشاهد المؤذية المزعومة التي يتناولها الهجاء إنما هي جزء من الحياة ، وما دامت كذلك ، فتصويرها ووصفها وظيفة من وظائف الأدب .

وبين الباحثين المعاصرين من ذهب إلى أنّ الهجاء فن أدبي ذو موضوع قبيح وأداء جميل مثير للعواطف الكامنة ، ويتساءل هذا الباحث : لم لا ندرك الجمال في القبح ؟ وما دام الخير والجمال مصدر أدب ، لم لا يكون الشعر أو القبح مصدر أدب

أيضاً ؟ ولم لا نتأثر وننفعل بالهجاء كتأثرنا وانفعالنا بالمديح ؟[51] إن الهجاء إذاً صدر عن عاطفة صادقه وعبر عما يحسه الشاعر من صراع نفسي وألم ذاتي ، لا يمكن عده قبيحاً ، أو رديئاً أو عملاً شريراً ، فما وجه القبح في الهجاء إذا كان المهجوون يتصفون حقاً بما يهجون به ؟ هل من القبح أن يرمى الجبان بجبنه ؟ أو ليس من الحق أن نذم المجتمع المتفسخ ؟ هل من الباطل حين يثور الشاعر على سلطان جائر فيذمه لجوره ؟ إنّ هذا الضرب من الهجاء جميل في موضوعه وفكرته فإذا جمع إلى هذا الموضوع الجميل اداءً جميلاً مؤثراً فقد اكتملت للهجاء سمات الفن المتكامل ، ويكون الهجاء عندئذ مؤدياً لوظيفته بوصفه فناً معبراً يتمثل فيه دافعان متلازمان : رغبة الفنان في ان ينفس عن عاطفته ورغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كل من يتلقاه نظير عاطفته ، ولذلك فليس كل تنفيس عن عاطفة يدخل في دائرة الفن (فصياغة الانفعال في صورة تنقله إلى الآخرين وتثير فيهم نظير ما أثارته التجربة في الفنان من عاطفته ، هي التي تؤدي إلى إنتاج نوع من أنواع الفن) [52] .

إنّ إحساسنا بقبح الموضوع في الهجاء – في بعض الأحيان – لا ينبغي أن يدفعنا إلى الحكم على هذا الباب الشعري بالقبح والرداءة . ((ما دام يثير الإعجاب بالشاعر الذي استطاع أن يرسم بقلمه النقائص التي يراها فيمن يهجوه ، وبهذه المهارة التي رسمها بها ، كما يعجب المرء بصورة مصور ماهر صور بائساً بالي الثياب ، متغضن الوجه معروق العظام فهذه المهارة تثير فينا الإعجاب بمقدرة الشاعر على لمح هذه النواحي الناقصة ومقدرته على إبرازها في قوة وجلاء ، كالمصور الفني الذي يبرز ناحية النقص فيمن يصوره)) [53] .

4- الهجاء بين الفنون الشعرية :

تكاد تنحصر الفنون الشعرية العربية في الفن الغنائي وأما الشعر الغنائي فله في الأدب العربي مكان واسع والهجو نفثة النفس الحانقة والشعر العربي كله تقريباً

غزل وفخر ومدح وهجو وزهد ووصف ، وفي الشعر العربي ناحية لا يستهان بها من الدروس الأخلاقية والعبر وفلسفة الحياة وهي ذات قيمة فريدة [54] .

وشيوخ المدرسة القديمة لا يبرءون من الخلط أيضاً حين يذكرون فنون الشعر العربي ولا سيما في العصر الجاهلي ، فهم يعتمدون في ذكر هذه الفنون على طائفة من التقسيم أظهرها ما اشتمل عليه ديوان الحماسة لأبي تمام . وهم من هذه الناحية يضيفون إلى العصر الجاهلي فنوناً لعله لم يعرفها إلاّ لمحاً يقول الذين يدرسون الأدب العربي عادة إنّ للشعر فنوناً مختلفة ، منها الوصف والمدح والغزل والفخر والحماسة، والقدماء يزيدون في هذه الفنون وينقصون منها ، ويردون بعضها إلى بعض وهم يردون العتاب إلى الهجاء [55] (فالهجاء من الأغراض التقليدية ، وهو أهم الفنون وقد تطور تطوراً كبيراً في العصر العباسي الأول) [56] (إنّ تصوير الحياة العامة يحتاج إلى الألوان الكثيرة ، وربما دخل فيها أقبح الألوان فكان أحسن شيء لوقوعه مع المنافسة بين الألوان الأخرى) [57] .

ومن المؤكد أنّ الشاعر لا يكون هجّاءً إلاّ وهو في معنى المؤرخ ، فليس كل القبائل يعرف بعضها مثالب بعض ولا كل الناس يعرف ذلك ، فمتى سّير الشاعر قصيدة فكأنه نشر كتاباً في أمة كلّها يقرأ ويكتب . [58] وهذا ما سيرد علينا بعد قليل يحتل الهجاء مكاناً واسعاً في ديوان الشعر العربي الكبير ، فقد لا نجد شاعراً إلاّ تناول هذا الفن في شعره من قريب أو من بعيد ، ولا نجد باحثاً قديماً تحدث في فنون الشعر إلاّ جعل الهجاء في ابرز مكان فيها .

ولكن لا يجب أن نعجب بالغرض الشعري من خلال نوعية موضوعه ولا ينبغي أن نهتز طربين لصياح المفاخرين لأنهم يرفعون أصواتهم بالحديث عن فضائل الشجاعة والكرم والرجولة إنّ علينا أن نظهر إعجابنا بالمتغزل أو المفاخر أو المادح أو الهاجي حين نجدهم يؤدون أفكارهم أجمل أداء ويعبرون عن عواطفهم خير تعبير . فيثيرون في نفوسنا من الانفعالات والأحاسيس مثل ما أثير في نفوسهم ، دون

الالتفات إلى نوعية الموضوع الذي يعالجونه من حيث جماله أو قبحه ، فالجمال الأدبي في الشعر أو النثر يتوقف على شيء واحد فقط في موضوع الأدب ، هو أن يكون ممتزجاً بالمشاعر مختلطاً بالأحاسيس ، وان يكون الأثر الأدبي ممثلاً للانفعال النفسي مع وقائع الحياة أو خيالاتها . [59]

5- بواعث الهجاء في المجتمع :

تنحصر من خلال الدراسة ، بواعث الهجاء في عموم العصور ، وخاصة العصر العباسي الأول على الميادين الآتية :

1. كشف مساوئ الشخص الفردية .
2. كشف وتعرية الظواهر المدانة في المجتمع .
3. ملاحقة السلطة الحاكمة وفضح مساوئها .
4. تأشير حدود العلاقة العكسية بين السلطة والمعارضة السياسية .

ومن كل ما بحثناه وجدنا أنّ تلك المعايير ، تمكن الهجاء ، ولا سيما في العصر العباسي الأول ، من إعطاء صورة تاريخية واضحة عن الحياة الاجتماعية ، في جميع طبقاتها المختلفة ، المؤتلفة منها أو المتناقضة ، وطبيعة تحدياتها .

فالهجاء عاطفة فطرية وحديث مع الإنسان منذ القدم ، انصب لنقد النقائص وهو من الفنون الأدبية الغنائية أو المسرحية عرفتها الآداب العالمية، ووجدت عندنا منذ العصر الجاهلي ، وساغ هذا الفن بسبب وجود من يستحق الهجاء من خلال مجريين هما : المجرى الشعري ، والمجرى النثري .

ولقد أدلى العلماء دلاءهم لتفسيره في شتى المراحل ومنهم :

(الكلام في الهجاء يحتمل كثيراً في فلسفة النفس ، كتعريف العيوب والرذائل وما يتأثر بها من الأخلاق والأحوال) [60] فـ(الهجاء إفراغ طاقة عاطفية) [61] .

اذاً : أجد أنّ الشاعر قد يلجأ إليه ليخفف عن طريقه عمّا يحسّه في أعماقه من كبت وحرمان وأذى في الحياة كبير ، فهو وسيلة فنية يتوسل بها الشاعر لنفس ما تضيق به

نفسه من معاناة تثير فيه الغضب على المصاعب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات .

ومثلما كان الهجاء تعداداً للمعايب وكشفاً لبشاعة الرذائل والنقائص في الفرد والمجتمع ، فان هناك فريقاً من النقاد من عدّ الهجاء إصلاحاً للأخلاق لكونه ينبه أولئك أهل النقائص بشكل مباشر ويقول لهم أنّ نقائصهم مكشوفة معلومة فهو اذاً (في الظاهر هجاء وفي الحقيقة إصلاح وتهذيب) [62] . قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لرجل كان يبني مسجداً من مال حرام : [63]

سمعتكَ تبني مسجداً من خيانةٍ ... وأنتَ بحمدِ اللهِ غيرُ موفقِ
كمطعمةِ الزُّهادِ منْ كدّ فرجها ... لها الويلُ لا تزنِ ولا تتصدّقِ

وقال أبو تمام الطائي في هجاء بعض بني عمومته [64]:

إذا جاريتَ في خلقٍ دنيئاً ... فأنتَ ومَنْ تجاريه سواءُ
رأيتُ الحرَ يجتنبُ المخازي ... ويحميه عن الغدرِ الوفاءُ

وبسبب هذه القيمة المميزة التي تسمى اليوم (النقد والنقد الذاتي) اكتسب العرب قوة لا تقهر في إصلاح الذات والمجتمع ، فرداً كان أو جماعة ، حاكماً كان أو رعية . ولقد وجدت – كما أرى – إنما يخشى المرء في العادة – من القانون السماوي (الشريعة) أو من السلطان (الحكومة) ، كرادع مؤثر ، والعرب قبل الإسلام لم يحكم حياتهم رادع من ذلك ، فلم يبق لديهم غير الهجاء الذي يكشف العورات بقصد الإصلاح ، لذلك نشأت للشاعر عندهم منزلة تجمع بين اللاهوت والسلطة حتى ظنّ الشيخ الرئيس (ابن سينا) ان العرب : (كانوا ينزلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدقون بكهانته) [65] لذلك اتخذ العرب من باب الاحتياط للأمر سبيلين هما:

1. عدم التعرض للشاعر والتواري عنه ومحاولة استرضائه

2. الإكثار من الفخر لتغطية ما يشين لتجنب السيف المصلت على الرقاب وهذا بشار بن برد وصلت به الجرأة ان يوجه نباله ، لهجاء الخليفة المهدي:

خليفـــــةٌ يزنـــــي بعّماتـــــهِ   يلعـــــبُ بالــــدّبّوق والصـــولجان
أبـــــدلنا اللهُ بـــــه غـــــيرهُ   ودسّ موســى في حِـرِ الخيــزرانِ[66]

ولقد بلغ رعب الناس من الهجاء مبلغاً أنهم إذا ما هجاهم عن آمر لا يلحـق صاحبه به ذم تركوه . يقول الجاحظ (وربما قال الشاعر في هجائه قـولاً لا يعيـب بـه المهجو فيمتنع من المهجو) [67] .

ولم يقتصر الهجاء على ما ذكرناه بل عدّه بعض العلماء على انه تاريخ دقيـق غير قابل للطعن ، فهو شهادة شاهد حاضر على ما تناوله الهجاء [68] .
فالهجاء اذاً أيضاً (يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية الـتي ينبغـي أن يـتخلص منهـا المجتمع الرشيد) [69]

6- الهجاء تاريخ مسند :

إنّ من العلل التي تعرض لها التاريخ في الإسلام هو فساد الإسناد في الرواية، وذلك إن كان الراوي متعصباً لبعض الصحابة ومنحرفاً عن بعضهم الآخـر ، خاصـة إذا علم عن الراوي الحرص على الدنيا والتهافت على الاتصال بالملوك ، ونيل المكانة والحظوة عندهم . وقد بين رسول الله (ص) عن ذلك بحديث (ان الأحاديث سـتكثر بعدي ، كما كثرت عن الأنبياء قبلي ، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أو لم أقله)[70] .

أردت هنا أن أشير إلى حالة التمـزق الـتي طالـت الحقيقـة في التـاريخ حتـى أضحى خرقاً بيد المدارس ، والمحدثين ، والمذاهب ، والفـرق ، مـن العـرب والمـوالي لكن الهجاء في الشعر بقي تأريخاً مسنداً مطلقاً . لقد دخل سـلاطين نكـرات التـاريخ

بقصيدة هجاء فعرفوا بعد ئذ في الأقطار القصية والأجيال اللاحقة وهذا (كافور) صار خالداً يعرفه من لم يكن لديه معرفة بالتاريخ لان رائعات من هجاء أبي الطيب انصبت عليه كالحمم . قال أبو الطيب : [71]

العبدُ ليس لحرٍّ صالحٍ باخٍ   لو أنه في ثيابِ الحرّ مولودُ
لا تشترِ العبدَ إلاّ والعصى معه   انّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

واختلف الرواة – حتى الشيعة – فيمن قتل الحسين (ع) فبعضهم قال : انه شمر ،وقال آخرون : انه شبث بن ربعي ، وقال ابن الرومي : [72]

آبائي الروم توفيل وتوفيلسٌ   ولم يلدني ربعيٌّ ولا شبثُ

فهو يفخر على أهل الكوفة بآبائه الذين لم تلطخ أيديهم بدماء أهل البيت (ع) ويهجوهم لأنهم قتلوا الحسين وشبث بن ربعي منهم .
وهذا أبو تمام الطائي – من عصر بحثنا هذا – يمعن في هجاء الروم ويخلد عام المعركة (معركة عمورية)223هـ على انه من مآثر العرب الكبرى . فيقول [73]

السيفُ اصدقُ انباءً من الكتبِ   في حدّه الحدّ بينَ الجدّ واللعبِ

حتى قال :

لما رأى الحربَ رأي العينِ توفلسٌ
أبقت بني الأصفرَ المصفّر كأسمهم أبقت ل
والحربُ مشتقّة المعنى من الحربِ
صفرَ الوجوه وحلّت أوجه العربِ

والسيد الحميري ، يرد مخلداً وهاجياً في آن واحد ، من ينكر يوم الغدير جاحداً حق علي (ع) بقصائد عدة بعضها كان أمام الرشيد . ومن بعض ما قاله:[74]

أتى جبرئيلُ والنبيّ بصحوةٍ   فقال أقم والناس في الوخدِ يمتحنُ
وبلّغ وإلا لم تبلّغ رسالةً   فحطّ وحطّ الناس ثم توطنوا

ويشير هنا الى الآية الكريمة (يا أيها الرسولُ بلّغْ ما أنزلَ إليكَ منْ ربّكَ، وإنْ لمْ تفعلْ فما بلّغتَ رسالتهُ واللهُ يعصمكَ من الناسْ) [75]

7- هجاء الحضارة :

كان المجتمع العباسي ، وتحديداً في عصره الذهبي (العصر العباسي الأول) من أزهى المجتمعات وأرقاها، كان متعدد الألوان ، متحضراً ، رسخت فيه تقاليد وأصول لم تكن لغيره في الأمم التي سبقته . ويمكن حصر بعض أوجه التلون فيه.

1. ظهور الحياة الأرستقراطية الزاهية بالرفاه .
2. رسوخ الحياة العقلية المنفتحة على الثقافات الأخرى .
3. انتشار المدارس والمعاهد العلمية التي ترعاها الدولة .
4. نشوء التيارات الفكرية الفلسفية والمذهبية والسياسية .[76]

(وكان بشار بن برد أول من نزل بالشعر الرفيع من موضوعاته الرفيعة الى كل موضوع مهما بلغت تفاهته ، يعالجه شعراً يرضي به طائفة من الناس) [77] .

فهناك الشعر السياسي مثلاً يرضي نهم الطبقة العليا ورغبتها ، فيما يرضي شعر الغناء واللهو والمجون كل الطبقات وفي المقدمة منها الطبقات الشعبية . هذا النوع من الديمقراطية شجع شعر الهجاء أن يحتل مساحة كبرى من التطور حتى صار بحق هجاء الحضارة . وقد شقّ شعر الهجاء طريقه الشائك في مجتمع اشتدت به العقد وتعددت من خلال [78]

1. انقسام القبائل بالعصبية
2. ضم الخليفة إلى حوزته أجود الشعراء لإشاعة رضا الناس عنه .
3. إكرام الخليفة لشاعر القبيلة إكراماً للقبيلة .
4. الساسة يشجعون الشعراء نحو الهجاء والمديح لأغراض سياسية بحتة.

وكما تلونت الحركة الاجتماعية ، فان الشعر قد تلون أيضاً بسبب هجرة الشعراء إلى بغداد من أمصارهم مستبضعين ألوانهم بكل ما تعنيه الكلمة ، من ماضي وخصوصيات ولا سيما أنّ أكثر شعراء هذا العصر كانوا مخضرمين ، ولدوا وترعرعوا في حضن النظام الأموي ، وسلكوا دروب الشعر والهجاء ولا سيما في حاضرة العباسيين ، فالعصر هذا كان بحق مرآة للحياة الزخرفية والشكلية ، والوعي والانفتاح على الثقافات الاجنبية والامتزاج بها ، وحياة اللهو والجواري والفتيان والأرستقراطية الباذخة ، وكان الهجاء من أعم أغراض الشعر فيه .

8- الهجاء ليس سبّاً فاحشاً :

دأبت المعاجم ، على اختلافها ، على ذكر خطأ فادح ، تناقله بعضها من بعضها الآخر على ان السبّ والشتم الفاحش في الشعر هو هجاء ، والحقيقة ان العرب منذ القدم لم يعدّوا السبّ الفاحش هجاءً ، بل هو من كلام السفلة والسوقة ، فللهجاء تقاليد وأصول قائمة بذاتها لا صلة لها بالإفحاش . فالهجاء يرتبط بكشف المستور من العورات ، فيما يعتمد الشتم على الوقيعة زوراً وبهتاناً . وكان العرب لا يعبأون بالكلام الفاحش لأنه يصدر إما من جاهل وسنتهم في الرد (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) وإما من شاعر ضاق صدره فشتم سافلاً زنديقاً ، ويؤكد هذا المنهج قول حسان بن ثابت (79)

لنا في كلِ يومٍ منْ معدٍّ	قتالٌ ، أو سبابٌ ، أو هجاءٌ
فنحكم بالقوافي مَنْ هجانا	ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ

فترك السباب ، وذكر القتال والهجاء .

ويقول النابغة : (80)

فان يك عامراً قد قال جهلاً	فأن مطيّة الجهلِ السّبابُ

ولقد انتشر السباب الفاحش في هذا العصر انتشاراً مريعاً حتى صار ظاهرة بين أكثر الشعراء ، ولا سيما عند أولئك الذين جاءوا من ثقوب الزمن المجهول – الموالي– وبشّار هو احدهم وابرز أولئك الانتهازيين الذين تميزوا بسرعة الوثوب على الفرصة: ويقول : [81]

وقد جاءني من باهليّ يسبّني ... فأعرضتُ إنّ الباهليّ جنيبي
وقلت بدعوى عامر: يآل عامرٍ ... أيشتمني الزّنجيّ غير ذئيب
دعوني فاني من وراء معصّدٍ ... كفيتكم داء أسته بذبوبِ

9- الهجاء والصدق :

قال الشاعر : [82]

مَنْ يَهنْ يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلامُ

شعراء الهجاء لا يؤذون الدون من الناس وان كان الهجاء صادقاً ، ولا يؤذون الشريف من الناس إن كان كاذباً ، فلا بد للشاعر اذاً من أن يعي موضوع رميته إذا رمى ، والكلام الجزافي يعود بالضرر على صاحبه ، فالعرب لا تعتد بالكاذب ، وتريد هجّاءً صادقاً يبكي العدو . وهذا الرأي موروث لدى العرب . يقول أعشى باهلة : [83]

وفضّلني في الشعر واللّب آنّني ... أقول على علم ، وأعلم ما اعني

والهجاء الصادق حينما يتناول مثالب الآخرين الحقيقية يفخر بفضائله الشخصية او فضائل قومه لكي يكون الهجاء ممضّاً بالعدو مدمراً له ، فتهتز من عنفه الشخصية الفردية والجماعية للعدو ذعراً ، ويزهو بين قبيلته فخراً، ولولا الصدق لما اندمج الهجاء والحماسة معاً لإخراج حرب الهجاء المطلوبة . فالهجاء في الشعر العربي يجب ان يكون واقعياً مبتعداً عن الخيال لان : (صور الهجاء تقوم على الملاحظة

الدقيقة لأدق الحركات وألطفها وهي مستمدة من صميم الواقع ومن قلب الحياة الجارية) [84] .

10- الهجاء وجمال الأدب :

إنّ ارتباط فن الهجاء في الشعر العربي بالواقع هو ميزة تعمق فيه الاصالة ، والموضوعية ، وهذه الصفة ترتقي بهذا الفن إلى ارفع ألوان الأدب العربي لما يمتلكه من خصائص تثير الانفعالات وتؤجج الاعماق وتحريك اوتار الحزن أو الفرح بقوة ورومانسية رفيعة .

فالهجاء يكون مؤثراً تأثيراً بالغاً إذا ما صدر عن حس صادق ممتزجاً بالمشاعر ومختلطاً بالأحاسيس ، فكما تدبُّ ثورة الإحساس بالمتذوق أدب الغزل ، يتحقق ذلك أيضاً بذات العنف بالمتلهف لسماع هجّاء يهجو عدوه أو عدو قبيلته أو حزبه ، كذلك تثور الأحاسيس لدى من يسمع هجو عدوه له وإقذاعه .

(إنّ ذلك يدخل في باب الجمال لان الأديب استطاع بهذا الأدب من أن يؤثر فينا ومن أن يثير منّا كثيراً من الانفعالات الكامنة) [85] .

ولذا (فان الباحثين المعاصرين انتبهوا إلى هذه الناحية ووصلوا بعد البحث إلى هذا السرّ في عدِّ الهجاء لوناً من ألوان الأدب) [86]

11- الهجاء ثقافة وتأثير متبادل :

ما لا يحتاج إلى مصدر – مع وفرتها ووجودها بين يدي – حقيقة أنّ مجتمع العرب كان كله يقول الشعر ، ولا ينطقون إلا به فكل منهم كان يستطيع إن يقول الشعر ، قليلاً أو كثيراً . . مجتمع هذا شأنه لا بد من ان ينجب عدداً كبيراً من فحول الشعراء ، وقبيلة لم تنجب أحداً من الفحول ليس لها من يتحدث باسمها ولا سيما في (الحرب الباردة) كما تسميها أمم هذا العصر .

ولان العرب جميعهم يقولون الشعر ، أو جلّهم ، فقد جعلوا الشعر لهم ديواناً حقيقياً (اعلم أنّ الشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم) [87] فهو

متنفسهم ومستودعهم . من ذلك نفهم ان الشاعر الهجاء تلزمه ثقافة واسعة ودقيقة عن المجتمع ، مجتمع قبيلته والقبائل الأخرى ، ويلزمه أيضاً مصادر موثوقة يعلم من خلالها سقطات الناس وعوراتهم لكي لا يفتقد الصدق ، فيقترب كلامه من كلام العامة فينبذ ، فالعرب تعتد بالحقائق ، ولا تعبأ بكلام السفلة .

والشعر تاريخ العرب تعرف من خلاله كلياتهم وجزئياتهم ، ففيه كل ما يتعلق بهم ، لذا وجب على الشاعر ، والشاعر الهجّاء أن يعلم ذلك ، وما يقوله الشاعر لا يعتبر انطباعاً ذاتياً وإنما هو في صلب المعاناة الاجتماعية . فالشعر له النصيب الأوفر في توجيه الحياة وتوازن القوى ، ولذا يخشى العربي ولا سيما السادة من شعر الهجاء ويتقونه إذا ماكان ذلك الشعر مشحوناً بالمعرفة الكاملة والرؤية والحجة الدامغة .

12- الهجاء بين الفخر والحماسة :

كان الهجاء ينطوي على :

1. التظاهر بالقوة أمام العدو
2. الإعجاب بالملكات اللسانية والقدرة على امتلاك زمام الموقف .
3. امتلاك الأسلحة الفتاكة ، ونقاط ضعف الخصم .

فانه – الهجّاء – يختزن فيما يختزنه ، الأساليب التي تضمن تحقيق النصر ، اما الفخر ، فيقتصر على ما اختزنه التاريخ والواقع من منجزات ليست للعدو ، ويتداخل الفخر مع الهجاء حتى تظن أنهما واحد في ساحة المعارك ، فالاستعارة للصور قائمة بين الحماسة والهجاء ، وهذا يؤكد أصلاً أنّ الشعر لم يكن يوماً فنّاً خالصاً ، فالشاعر غالباً ما نجده يخلط الهجاء بالفخر لتبدو المقارنة عميقة وذات جذور ضاربة . فالفخر اذاً يستند على حجة ما تحقق من انجاز على طريق المجد، ثم التقليل من شأن الطرف المقصود ، وبذلك لن نجد فخراً – الاّ نادراً – الا" وكان برفقته الهجاء ولن تجد هجاءً إلاّ وتجد برفقته الفخر بالنفس أو بالقبيلة .

يقول عروة بن الورد : [88]

إنــي امــرؤ عــافى إنــائي شــركةٌ   وأنــتَ امــرؤ عــافى إنــاؤكَ واحــدُ

ويقول ربيعة الرقي (من هذا العصر) [89] :

لشتّان مـا بـين اليزيـدين في النـدى   يزيـــدُ سُـــلَيم والأغـــرّ بـــن حـــاتم

الحياة العامة في العصر العباسي الأول :

أ- الحياة السياسية :

قبل سنوات من قيام الدولة العباسية بدأت دولة بني أمية تترنـح تحـت ضـربات مناوئيها من الخوارج والشيعة والزبيريين وغيرهم ، فيما كان للعصبيات العربيـة وانقسام البيت الأموي على نفسه وانشـغالهم باللـذات الأثـر المباشـر في سـقوط دولتهم [90] ، كل تلك المظاهر استفادت منها الحركة العباسية الـتي كانـت تحمـل راية أهل البيت والرضى لآل محمد ، لكن العباسيين سرعان ما غـدروا بحلفـائهم أبناء عمهم العلويين واستأثروا بالسلطة . وأول من تعرض إلى بطشهم محمـد ذو النفس الزكية الذي سبق وان بويع له بالخلافة سراً وبايعه السفاح وإخوته[91] لقد كانت معركة الزاب عام 132 هـ إزالة لنظام برمته وقيام نظام آخـر مختلـف عنـه تماماً مكانه .

حركات المعارضة للبيت العباسي :

1. المعارضون العباسيون وفي مقدمتهم عبد الله بـن علـي ضـد السـفاح ، وموسـى الهادي ضد الرشيد والمأمون ضد الأمين .
2. ثورات الخوارج : الذين رفعوا شعار (لا حكم إلاّ لله) فرد عليهم الإمـام علـي (ع) (كلمة حق يراد بها باطل) [92] . ولقد وجد الخوارج في دولة العباسـيين مـا وجدوه في بني أمية فشنّوا حروباً كثيرة ضد الدولة الجديدة وتوالت في عام 134 ، 143 ، 148 ، 179 ، 185 ، 214 ، وقـد سمـاهم المستشـرقون أصـحاب

الديمقراطية المتطرفة [93] . وكان للخوارج فرق تربو على عشرين فرقة ، وهذا شاعرهم زيد بن جندب ينتقد من تفرقهم ويعطي سبباً لخروجه فيقول : [94]

كنّا أناسٌ على دينٍ ففرقنا طولُ الجدالِ وخلطُ الجدِ باللعبِ
ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيهمُ عن الجدالِ وأغناهم عن الخطبِ

فيما يقول شاعرهم الآخر وأحد قادتهم الوليد بن طريف [95]

أنا الوليدُ بن طريف الشاري قسورةٌ لا يصطلي بنارِ

جوركم أخرجني من داري

إلاّ أنّ أدب الخوارج لم يصل منه الشيء الكافي لخشية الكتاب والرواة من تدوينه، ولان ثوراتهم كانت تقوم في مناطق قصية . فالخوارج كانوا يعتمدون تطرف العواطف وصدق الحجة [96] .

1. العلويون : ورث العباسيون تركة ثقيلة من الأمويين ، تلك هي القضية العلوية التي تبلورت نظريتها حتى صار لها من القوة ما لا يمكن تجاهله ، لكن العباسيين باستئثارهم بالسلطة فعلوا ما فعله الأمويون بل زادوا في قسوتهم على أبناء عمهم ، فما زاد العلويين إلاّ قسوة وانتشاراً وتجذراً. [97] وتستقر نظرية العلويين وهي النظرية الشيعية على أفضلية الإمام علي(ع) على غيره من الخلفاء . يعضد هذه النظرية حشد هائل من الأدباء والمفكرين والشعراء ولهم في هجو بني العباس وبني أمية مداخلات كبيرة في الهجاء. لقد توجهت سهام بني العباس ضد ابناي عمهم ، فكانت حصيلتها ثورات زعزعت استقرار البلاد برمتها ، أبرزها : ثورة محمد ذي النفس الزكية عام 145هـ[98] ، وثورة عيسى بن زيد ، وثورة زيد النار ، وثورة يحيى بن زيد ، وثورة يحيى بن عمر بن الحسين ، وثورة الحسين صاحب فخ وثورة محمد الديباج وغيرهم . ومن الملفت إنّ التشيع لم يعتنق التطرف والغلو حتى دخله الموالي . وان أكثر غلاة الشيعة من الشعراء هم الموالي [99] .

2. ثورات القادة والولاة في الدولة العباسية في هذا العصر : خرج العديد من قادة الدولة وولاتها متآمرين طمعاً بالسلطة أو أملاً بالانفصال عنها أو بدوافع خفية

3. ومنهم : [100] ثورة استاذيس الذي ادعى النبوة في زمن المنصور وشريك بن الأعور الهمداني في زمن المنصور ، ورافع بن ليث بن نصر بن سيار في زمن الرشيد ، والسفياني خالد بن يزيد في زمن الأمين ، وثورة طاهر بن الحسين في زمن المأمون ، وثورة الافشين في زمن المعتصم ، وثورة العرب في الشام في زمن المعتصم ، وثورة الأكراد في زمن المعتصم أيضاً.

4. انفصال الأقاليم وقيام الدويلات في هذا العصر : ليس هناك أدنى شك في أنّ البلدان البعيدة والكثيرة التي افتتحها المسلمون لم تخضع للسلطة المركزية خضوعاً تاماً في مركز الخلافة ، وإنما أخذت شيئاً فشيئاً تسترد شخصيتها بعد الفتح ، ومن تلك الدويلات : (الأندلسية 138 – الادريسية في مراكش 172 هـ - الأغلبية في تونس 184 هـ الطاهرية في خراسان 207 – الزيدية في اليمن 203 هـ)[101]

فتن الافشين [102] و المازيار [103]، وحركة أستاذ سيس الذي ادعى النبوة [104] والمقنع الأعور [105] الذي ادعى الربوبية [106]

1. الفتن العسكرية الخارجية : زخر هذا العصر بالفتن الخارجية التي أضرمها الروم خاصة ، وابتدأت منذ عام 136 هـ بغزو عبد الله بن علي دولة الروم ، وتوالت الحروب في هذا العصر ضد الروم حتى بلغت أكثر من أربعين حرباً بإتمام عصر الواثق ، وفي جميعها كان الشعراء يواكبون الخلفاء والقادة فخراً بالانتصارات وهجاء بالأعداء.[107]

ب- الحياة الاقتصادية :

بلغ الرفاه الاقتصادي في عصر الرشيد مبلغاً لم تبلغه الدولة العربية من قبل ومن بعد انعكس ذلك ايجابياً على الميادين الأخرى السياسية منها والاجتماعية ،

والنمو العقلي كما شهد هذا العصر الحط من أعباء الضرائب عن كاهل الناس وتخفيض الخراج ، مما ساعد على حياة الرفاهية والبذخ وظهور الطبقات الارستقراطية ، التي مالت كثيراً إلى تقريب الشعراء والأدباء وأهل العلم ، كما ظهر على سطح الحياة الجديدة مظاهر أخرى كاقتناء الرقيق والجواري والقيان وانتشار المسارح وأماكن اللهو ، لقد اهتم الرشيد بكل ميادين الحياة تجديداً وتطويراً كالزراعة والنواظم واستثمار الأراضي والاهتمام بالرعي وتشييد الآبار في الصحراء وتأمين طرق المواصلات ، كما اهتم بتطوير الصناعة واستثمار المناجم لاستخراج المعادن ، الا ان هذه الصناعة كانت تتأثر دائماً بالأزمات الحربية . حتى صارت بغداد قبلة العالم [108]

ج- الحياة الاجتماعية

مما لا شك فيه أنّ عاصمة كبغداد لن تغيب الشمس عن أملاكها لا بد من أن تكون بلد بلد الرقيق والجواري والإماء ، وهذا مما سهل ظهور أجيال من الموالي المولدين الذين يمتهنون كل عمل فيها . وعلى وجه الخصوص فالطبقات فيها هي :

1. الطبقة العليا (خلفاء – سلاطين – وزراء – امراء)
2. الطبقة الوسطى (تجار رؤساء الحرف – الفقهاء المشتغلون بالعلم والأدب)
3. طبقة العامة التي تعيش من بيع جهد عضلاتها

أما الفرق في الإسلام فقد تعددت بموجب مدارس علم الكلام الذي عمّ الساحة الفكرية وكان لكل مذهب رؤية في كيفية التعبير وممارسة السياسة ، فمنهم السنة والشيعة والمرجئة ، والمعتزلة ، والمتصوفة وغيرهم .

وجميعهم يمارسون تدريس علومهم بحرية لا بئس بها ، ولجميعهم شعراء يمدحون ويهجون .[109]

د- الحياة الثقافية :

ارتكزت أسس النهضة الفكرية في العصر الأول من الحكم العباسي على:

1. الأسس الدينية
2. الأصول العربية
3. المؤثرات الأجنبية [110]

لقد امتزجت هذه المفاهيم امتزاجاً كاملاً لتضع الإنسان هنا في أرقى موقع بين الأمم ، إذ امتزج عدل الإسلام ومساواته وسماحته ، والمعايير الأخلاقية التقليدية للعرب ، إلى جانب الثقافات الأجنبية المتقدمة . ومما عزز الحركة الفكرية نحو الرسوخ السريع من خلال فتح المكتبات وتشجيع تأسيس المكتبات الخاصة ورواج الترجمة ، وتعميم العلم لجعله في متناول يد جميع أبناء المجتمع إلى جانب مفاهيم الإسلام التي تحضّ على طلب العلم . لقد تلاقحت الثقافات في بغداد تلاقحاً جعلت منها عاصمة كل الأمم ، فكانت موطناً لثقافات الشرق والغرب ولا سيما الفكر التراثي (الصيني واليوناني والروماني) فخلقت مناخات علمية لم تصلها مدن التاريخ من قبل [111] لقد اهتمت الدولة ببناء المدارس وانتشاء المكتبات ودور الترجمة ، الاّ أنّ المكان الأساس لاستيعاب الدارسين كان المسجد فضلاً عن كونه داراً للعبادة . تدرس في معاهد العلم العلوم العقلية كالفلسفة والرياضيات والهندسة والكيمياء وغيرها والنقلية : كالأدب واللغة والنحو والفقه والتاريخ والتفسير والحديث وغيرها .[112]

الباب الأول

الدراسة الموضوعية

توطئة : (أنواع الهجاء)

اتضح معنى الهجاء في اللغة والإصطلاح لدى النقاد القدماء والمحدثين في التمهيد السابق . وفي العموم كان الهجاء (فنّ شعريّ وغرض من أغراض الشعر الغنائي عند العرب) [113] أما الآن فحريّ أن أوضح أنواع الهجاء في إطار الدراسة الموضوعية ، ويعد التعريف الذي أرتئاه الدكتور محمد محمد حسين أفضل توضيح لأنواع الهجاء حيث قال : ((الهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء . وسواء في ذلك ان يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق والمذاهب)) [114] وعلى هذا فالهجاء على أنواع ، منه الهجاء الشخصي : وفيه يتناول الشعراء المهجو في عرضه ونسبه ، وخلقه وخليقته ، والهجاء السياسي : الذي ينال من القبيلة والسلطان والسياسة ، والهجاء الديني وهو يعرض للعقيدة والمذهب والدين ، والهجاء الاجتماعي : وهو يصف الأخلاق العامة وطبقات الأمة ويرسم انحلالها ، ولعلّ هذا التقسيم والتبويب يبدو قصير الحدود [115] لكنّه شامل لكل العصور ويحوي على العديد من الفروع المكملة للأصول السالفة الذكر ، ويذكر ان كثيراً من الدراسات تضع الهجاء الدينيّ في بوتقة الهجاء الاجتماعيّ لأنّ الدين يتصل بالمجتمع الذي يحوي على قضايا اجتماعية أخرى تكون ما يسمى بالهجاء الاجتماعي .

وما دام الهجاء صادراً عن العاطفة شأنه في ذلك شأن فنون الشعر الغنائي فهو إذن فن قديم في الأدب العربي ولكنه تطور تطوراً كبيراً منذ العصر الجاهلي بحكم تغير الأسباب الدافعة إليه ، وتطور الذوق العام من عصر إلى عصر [116] وللهجاء أثر كبير في توجيه الحياة العربية والمحافظة على القيم ، فالهجاء هو الفن الذي يقود حركة المجتمع ويكشف زيف الناس ، ويقوم الانحراف ، ويتتبع الفساد انّى كان[117]

ولهذا فإن أنواع الهجاء لم تظهر كلها مرة واحدة منذ العصر الجاهلي بل بدأت بالشخصي وأخذت بمرور العصور تتطور أنواع وتضمحل أخرى حتى وصلت إلى

العصر العباسي وظلّ منوال أنواع الهجاء في التطور والاضمحلال حتى بعد العصر العباسي الأول .

وكان الهجاء في الجاهلية غرضاً شعرياً يرهبه الأفراد والقبائل على حد سواء، (ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من أول كرمها) [118] فهم يخافون ويحاولون ما استطاعوا ان يتخلصوا ممن يتهددهم به .

وكان الهجاء الجاهلي يدور على كل ما يناقض مثل الجاهليين العليا وفضائلهم في حياتهم ، وما يعتزون به ويفخرون : من شجاعة ونسب صريح وكرم دافق ووفاء وتلبية صريخ ، وقد يتعدى الهجاء ذلك الى حد طعن الأعراض وقذف النساء [119] فمثلاً يقول الجاحظ (الشعراء يهجون بكل شيء ويهجون كل شيء) [120] لان الهجاء كان الغاية من شعرهم ، ومجال التفوق .

ان الهجاء الشخصي هو الأقدم الى النشأة والظهور (فالهجاء انتقل من الفردية الى الجماعية) [121] في الهجاء الشخصي الفرد وحده موضع الطعن والذم ، ولذلك فليس صحيحاً أنّ الهجاء (كان في الأصل جماعيّاً ثم تحول فرديّاً) [122] بل ان الهجاء الشخصي أقدم أنواع الشعر الهجائي [123]

ويرى الدكتور عباس بيومي عجلان أنّ الهجاء القبلي هو الهجاء الشخصي خرج به الشاعر من دائرة التحديد إلى التعميم ، ومن الجزء إلى الكل ، ومن الممكن أن نرجعهما إلى شيء واحد وهو الهجاء الشخصي ، سواء اتخذ صيغة فردية خاصة أم جنح إلى العموم والشمول ، والهجاء السياسي قليل في الشعر الجاهلي لان العرب لم يهتموا به نظراً لطبيعة حياتهم ووجودهم ، أمّا الهجاء الديني فلم يقف عليه في الشعر الجاهلي [124] .

وعندما انبثق فجر الإسلام كان الإسلام ثورة فكرية إنسانية ، عصفت بمظاهر التخلف الديني والانقسام القبلي والظلم الاجتماعي وتبنت مبادئ المساواة والإخاء والعدل . لقد كان الإسلام ثورة دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، أتى بمفاهيم

جديدة لم يعرفها العرب من قبل ولهذا كان لا بد للإنسان العربي من أن يتغير ويتبدل ويتأثر بهذه المفاهيم [125] . كان الهجاء من أوسع الأبواب الشعرية التي واكبت الإسلام في مسيرته... إذ كانت له رسالة خلقية فكان حسان بن ثابت يهجو في سبيل الدعوة ، ولهذا كان الهجاء الديني من ابرز أقسامه في هذا العصر [126] ، ظلت معاني الهجاء الجاهلي قوية في الهجاء الديني إذ اعتمد على رمي الأنساب والأحساب ، ولكن الأثر الإسلامي كان واضحاً في الأسلوب من حيث البساطة والوضوح والاقتباس لبعض المعاني القرآنية والاعتماد على النقاش والمحاججة [127] وفي بدء العصر الأموي دخل فن الهجاء طوراً جديداً بسبب ما صحب قيام الحكم الأموي من صراع سياسي عنيف تكونت على أثره أحزاب سياسية ، فقد اشتدت الخصومات بين الجماعات والأحزاب حول الخلافة ، ومَنْ هم أحق بها ، وكان ظهور الشيعة والخوارج والزبيريين وتصارعهم السياسي الدامي مع الحكم الأموي طوال عصره ، عاملاً خطيراً في نمو هذا اللون من الهجاء[128] .

الشعر السياسي هو الشعر الموجه نحو هدف واحد هو السياسة ، يصل اليه بطرق مختلفة تكون مدحاً او هجاءً او وصفاً ، انتشر مع استيلاء الأمويين على البلاد وكان مبدأ الوراثة الذي أحدثه معاوية في الخلافة الإسلامية مثار هجاء عنيف ، وطبيعة الحكم الأموي التي تميل إلى الملكية ، ويتضح أنّ الهجاء السياسي اقترن بالهجاء الديني في ذلك العصر إذ كان من العسير فصل الدين عن الدولة في الصراع حول الخلافة الإسلامية بين الأحزاب المختلفة[129] .

اتسعت دائرة الهجاء الشخصي الذي ظلّ يجري في تياره القديم طعناً في الأنساب والأعراض، وفي أسلوبه نزعة ساخرة مثيرة ترمي إلى تمزيق المهجو وإضحاك الناس منه وجرير أبرز شعرائها يقول (إذا هجوت فاضحك) [130] . الشعر الأموي مع محافظته على العناصر البدوية قد تطور وتجدد ككل شعر يتحول من عصر إلى عصر ولا سيما كان العصر الجديد يختلف عن العصر القديم في الدين والسياسة والحضارة

والثقافة ، لقد خرج العرب من جزيرتهم واتصلوا بالأمم الأجنبية [131] قد تميز العصر الأموي بظواهر جديدة في الشعر كانت بواكير للتجديد الذي أصابه في العصر العباسي، وهي آثارٌ للتبديل الذي طرأ على الحياة العربية فوصلها بالأمم الأخرى ومن أهم الظواهر :

1. مشاركة غير العرب في الشعر
2. تأثر الشعر بالحياة العقلية واستخدامه طريقة الحجاج والمناقشة والاستدلال
3. مسايرة الشعر للحياة الحضرية التي شاع فيها اللهو والشراب والغناء واتخاذها موضوعاً [132] .

واتخذ الهجاء الشخصي لهذا العصر من النقيضة شكلاً تعبيرياً بارزاً ، وكانت العصبية القبلية تضفي عليه نزعاتها ومقوماتها (فأساس الهجاء في النقائض يقوم على العصبيات القبلية) [133] ولعل العصبيات القبلية في العصر الأموي أقوى أسباب النقائض وبواعثها ، وأبعد مقوماتها تأثيراً في عناصرها ، على الرغم من أنها تعمل في ظلّ السياسة الاّ أنها كانت أقوى العوامل المباشرة لنشأتها [134] في النقائض (يتحول فنّ الهجاء من فنّ وقتي متقطع إلى فن دائم مستمر يحترفه الشاعر) [135] .

أما في العصر العباسي يصور بعض المؤرخين أن هناك (حدوداً فاصلة بين الدولتين الأموية والعباسية وأن للتاريخ صفحة قد ختمت وأخرى بدأت بقيام الدولة العباسية، وهذا التصوير ابعد ما يكون عن الصحة ! وعلى الأخص من الناحيتين الاجتماعية والعقلية) [136] بل التطور بدأ في العصر الأموي واستمر في العصر العباسي . لقد نشأت قومية عربية جديدة عن طريق انتشار العرب في الأمصار بعد الفتح ، وامتزاجهم بالزواج وتعرب الأمم المغلوبة، وغلبة النفوذ الفارسي وتحول العاصمة من الشام إلى العراق ، وبذلك الحياة الاجتماعية لونت العلوم والآداب بلون خاص [137] (وكان على رأس وسائل الإطلاع على المعارف ترجمة تلك الآثار إلى

العربية)[138] (لقد انتشرت الثقافات الأجنبية المختلفة وكان لكل ثقافة نزعة خاصة) [139] وكذلك ازدياد عدد الشعراء، وطول مدة العصر العباسي، واتساع مساحة البلاد، وكثرة الشعراء من غير العرب، واتصالهم بالخلفاء أو الشيعة العلوية أو الأمراء والوزراء [140]. والأدب أصبح أدب شعوب وأجناس مختلفة مع انه إسلامي ومركزه بغداد فضلاً عن إطلاق حرية الأزواج والأديان والمذاهب وشيوع المقالات المختلفة وكثرة الجواري والغلمان وما يستتبعان من خلاعة ومجون ، وتسمية خلفاء بني العباس بالألقاب على النمط الأجنبي [141] من الحياة الاجتماعية ، ومن آثار الثقافات المترجمة قد صبغت الحياة العقلية والاجتماعية بأصباغ جديدة ، فظلت لغة الشعر قريبة مما كانت عليه من حيث نضجت خيالات الشعراء وصياغاتهم الذهنية ، ويمتاز الأدب بظهور آثار الحياة العقلية وصدق تمثيله للحياة الاجتماعية [142] (لقد تغير الشعر في العصر العباسي تغيراً تاماً) [143] (من حيث الشكل والمضمون) [144] (ومن الظواهر المهمة التي تستحق التسجيل أنّ الشعر في القرن الثاني للهجرة قد أصبح قادراً على التعبير عن الحياة الحضرية ومسايرتها ، وأخذت صور الحضارة تتضح فيه) [145] فيما كان الشعر الرسمي يلازم البلاطات ، كان الشعر الشعبي ينتشر في الديار العباسية بسبب ازدياد الوعي وتعدد الدواعي التي هيأت تطوره ، فلم يكن الشعر الرسمي يمثل النفسيات لبعده عن الحقيقة والواقع وشعور الجماعة ، فقام الشعر الشعبي يصور المجتمع في شتى مظاهره ونزعاته ، والمجتمع العباسي بتلونه بالحياة الاقتصادية والحياة العقلية وتمثلت فيه التيارات المذهبية والفلسفية ، وهناك الانحلال الديني إلى جانب التدين وهنالك كل شيء وضده ، بحيث بلغ التفاوت والاختلاف بين الناس حد التناقض ونشب الصراع الشامل بين الطبقات ، والعنصريات والمذاهب ، وأرباب القديم والحديث [146] (واتصلت حياة الشعر السياسي الذي يرضي هوى الخاصة مع حياة الشعر الغنائي الخالص الذي يشبع هوى الخاصة والعامة جميعاً)[147] ، إذن شهد مطلع العصر العباسي تطوراً في مظاهر الحياة ذات المتغيرات السياسية والاجتماعية

والفكرية وانعكس في الشعر والشعراء لأنهما جزء من الحياة ، (والهجاء لشدة ارتباطه بالنفس كان أسرع الأغراض الشعرية استجابةً للتطور واتسعت موضوعاته السياسية والمذهبية والشخصية والاجتماعية ، فأصاب تحولاً عن هجاء العصبيات القبلية ، متغلغلاً في مطاعن خلقية ونفسية) [148] . الغرض نفسه ولكن تطور تناوله (تجدد لا يقوم على التفاصل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة ، بل يقوم على التواصل الوثيق) [149] لاحظ الدكتور محمد مصطفى هدارة إنّ (الهجاء في القرن الثاني قد تطور بأتجاهه ناحية شخصية في الغالب وتناوله للفرد بوصفه فرداً في المجتمع لا شأن لقبيلته وقومه به على الإطلاق ، والتغير نتيجة للتحضر الذي بلغه المجتمع والشخصية الاجتماعية لإفراده واستقلالها إلى حد كبير عن القبيلة ، أما معاني الهجاء فقد دخلها التغير بسبب تطور المجتمع فقد كانت مجرد نفي للفضائل الأربعة ومشتقاتها، أما في العصر العباسي اتسع نطاق الهجاء السياسي والمذهبي بصورة لم يعرفها القرن الأول مع أنّ الشعر السياسي كان مزدهراً) [150] كما في هجاء الشيعة للأمويين ثم العباسيين ، وأصبح الهجاء السياسي مقترناً بالواقعية المطلقة وتركيز هجائهم على الانحراف الديني عند المهجو وشذوذه الأخلاقي والأتهام بالتخنث وبادعاء النسب العربي وفساد الألسنة وتطرق اللحن إليها وهجاء المدن [151] إلى غير ذلك من الموضوعات التفصيلية .

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1. في العصر الجاهلي انتشر الهجاء الشخصي ويحوي تحت طيته الهجاء القبلي فهو يرجع إلى الهجاء الشخصي سواء اتخذ صيغة فردية خاصة أم جنح إلى العموم والشمول .
2. في العصر الإسلامي انتشر الهجاء الديني في الدعوة الإسلامية واتخذ معاني جاهلية فضلاً عن معاني إسلامية بحتة .

3. في العصر الأموي الممتد بين ظهور الإسلام ونهاية عصر بني أمية ، كان ذا تيارين : جديد يتمثل في الهجاء الديني والسياسي الذي قيل في ظل دولة ذات نظام إداري وكيان سياسي ، وقديم يتمثل في الهجاء الشخصي والقبلي فضلاً عن النقائض كفنّ منفصل .

4. في العصر العباسي :

- اتجه الهجاء الشخصي نحو الفرد نظراً للتحضر وتطور في معاني الهجاء الشخصي فضلاً عن المعاني القديمة .
- تطور أغراض أخرى كالهجاء السياسي والاجتماعي والديني نظراً لتطور متطلبات الحياة .

الهوامش

(1) ينظر : لسان العرب المحيط ، جمال الدين محمد المعروف بأبن منظور ، المطبعة الميرية ، بولاق – مصر ، 1307 هـ ، باب هجا ، ص 778 .

([2]) ينظر: الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز مصر 1947 ، ص14 .

([3]) مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الرسالة الكويت 1983 ص475 .

([4]) ينظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص 14 .

([5]) ينظر : الهجاء الجاهلي صوره واساليبه الفنية ، عباس بيومي عجلان، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، الاسكندرية ، 1985 ، ص126 .

([6]) أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، دار الكتب القاهرة 1923 ج2 ص535 - محيط المحيط ، بطرس البستاني ، ط1 ، بيروت ، 1945 ، مادة (هجا) ، ص163 .

([7]) ينظر : لسان العرب المحيط ، باب هجا .

([8]) المصدر السابق نفسه .

([9]) ينظر : المصدر السابق نفسه .

([10]) ينظر : الأدب العربي – أيهم عباس القيسي، ط1،مطبعة الميناء بغداد 2002، ص 25 و26.

([11]) ينظر : الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص 129

([12]) ينظر : الأمالي للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1904 ص211 .

([13]) ينظر :العمدة، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل 1972 ج2 ص138.

([14]) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، الدكتور محمد مصطفى هدارة،ط1 ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة 1988 ، ص44 .

([15]) الهجاء والهجاؤن في الجاهلية ص1 .

([16]) الهجاء فنون الأدب الغنائي ، سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1958 ، ص25 .

([17]) زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق الحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ط2 القاهرة ، 1969 ج3 ص53 .

(18) فن الهجاء وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، دار الثقافة ، بيروت ص157 .
(19) ينظر : الهجاء عند ابن الرومي عبد الحميد محمد جيدة المكتب العالمي بيروت ، 1974 ، ص88 .
(20) ينظر :الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة 1977، ص88 .
(21) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، حنا الفاخوري ط2 مطبعة شريعة إيران 1424 ، ج1 ، ص130 .
(22) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص304 .
(23) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الباب الحلبي ، القاهرة 1947 ، ج2 ص93 .
(24) ديوان المتنبي شرح وتحقيق عبد الرحمن البرقوقي مطبعة السعادة مصر ج1 ص 283 سنة 1930م .
(25) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ، ص 149 .
(26) ديوان جرير شرح مهدي محمد ناصر الدين ط1 الكتب العالمية بيروت 1986 ص61 .
(27) الهجاء ، سامي الدهان ص5 .
(28) ينظر : البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،ط1 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1948 ، ج3 ، ص347.
(29) المفضليات المفضل الضبي ، تحقيق عبد السلام هارون و أحمد شاكر ،ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1952 م ، مفضلية، رقم 30 ص157 .
(30) ينظر : عنوان الأريب ، محمد النيفر ، المطبعة التونسية ، 1351 هـ ، ص57 .
(31) ينظر : موسوعة المصطلح النقدي (الهجاء)، ارثر بولارد ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر 1979 بغداد ، ص11و12 .
(32) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ، ص 124 .
(33) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق احمد شاكر ط3 دار المعارف ، القاهرة مصر ، 1972 ج1 ، ص100 .
(34) المعاني لابن قتيبة ، المجلد الأول ، ص 118 ، حيدر آباد 1949 .

(35) الفاضل ، أبو العباس ، المبرد تحقيق عبد العزيز الميمني طبعة الهيئة المصرية للكتاب عام 1975 ص114.

(36) طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي ، السفر الأول ، بيروت ، 1971 ص 379 – 378

(37) ديوان المعاني – أبو هلال العسكري ، مكتبة القدس ، القاهرة 1352 ج1 ص31 .

(38) قواعد الشعر ، لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب مطبعة المرزباني ، القاهرة ، 1948 ، ص273 .

(39) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، 1963 م ، ص 298 .

(40) الموشح ، المرزباني ، تحقيق علي النجار ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة 1965 ص97 .

(41) نقد النثر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د. طه حسين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1948 ، ص81 .

(42) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، ص165 .

(43) ديوان المعاني ص91 .

(44) نقد الشعر قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1948 ص35.

(45) العمدة ، ج2 ، ص 113 .

(46) ينظر : ديوان الحماسة ، أبو تمام الطائي ، ط2 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1968 ، ص 27 .

(47) طبقات فحول الشعراء ص378 .

(48) ينظر : الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص115 .

(49) ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، ط 2 ، مطبعة نهضة مصر ، 1960 ، ص247 .

(50) ينظر : تيارات أدبية ، إبراهيم سلامة ، مطبعة احمد مخيمر ، 1951 ، ص12 .

(51) ينظر : تيارات أدبية ص12 .

(52) محاضرات في عنصر الصدق في الأدب ، محمد النويهي ، معهد الدراسات العربية العالية ، 1959 ، ص14-15 .

(53) أسس النقد الأدبي عند العرب ص248 .

(54) ينظر : الموجز في الأدب العربي وتاريخه – الأدب العربي القديم ، حنا الفاخوري ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1985 ، ج1 ص27 – 28 .

(55) ينظر: من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والاسلامي) ، د. طه حسين ، ط1 ، دار العلم ، بيروت ، 1970 ، ج2 ص73 .

(56) المصدر نفسه ج2 ص48 .

(57) الحيوان ج3 ص41 .

(58) ينظر : تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة الأخبار ، مصر ، 1911 ، ج3 ص88.

(59) ينظر : دراسات في الأدب العباسي ، عبد السلام سرحان ، ط2 ، الفجالة ، ص224 .

(60) تاريخ آداب العرب ، ص80 .

(61) علم النفس والأدب ، د. سامي الدروبي ، دار المعارف ، مصر 1971 ص 156 .

(62) فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف ط2 دار المعارف 1971 ص 212 .

(63) روائع الحكم في أشعار الإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق عبود احمد الخزرجي ، المكتبة العالمية بغداد ، 1988 ، ص76 .

(64) ديوان أبي تمام ، تقديم وشرح د.محي الدين صبحي ، ط1 ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1997 ، باب الهجاء ، قصيدة 1 ، ص 197 .

(65) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ، تونس ، 1966 ص12 .

(66) ديوان بشار بن برد ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، سنة 2000 (حرِ : نقص) ، ص 422 .

(67) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج3 ص271 ، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا ، احمد الزيات ، ط6 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939 ص 85 .

(68) ينظر : تاريخ آداب العرب ، ج2ص82 .

(69) تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ط2 ، دار المعارف 1969 ، ص175 .

(70) كتاب الإنصاف لأبي عبد الله بن محمد البطليموسي الأندلسي ، المتوفي سنة 521 ، طبع بولاق، 1952 ص103و104 .
(71) ديوان المتنبي مجلد 2 ص144 .
(72) ديوان العباس بن الرومي ، تحقيق الشيخ محمد شريف سليم ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي، سنة 1917 ، الجزء 2 ، ص20.
(73) ديوان أبي تمام الطائي المجلد الأول ، ص96 .
(74) ديوان السيد الحميري تقديم : نواف الجراح ، ط1 ، دار صادر، بيروت ، ، 1999 ، يوم الغدير ، ص 169 .
(75) سورة المائدة ، الآية 67 .
(76) ينظر : تاريخ آداب العرب ، ج2 ، ص75 – 80 .
(77) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب البهبيتي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة- مصر ، 1961 ، ص353 . .
(78) ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ، ط2 ، مطابع دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، 1978 ، ج1 ص361 .
(79) ديوان حسان بن ثابت ، طبعة الهيئة العامة للكتاب ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ص8 .
(80) العمدة ج2 ص 139 .
(81) ديوان بشار بن برد ص129 ، (جنيب : مقاد كالدابة – غير ذئيب : غير هيّاب الإست : الدبر)
(82) ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ص 217 .
(83) نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب المصرية ، 1939 ، ج3 ص200 .
(84) الهجاء والهجاؤن في الجاهلية ص 33 .
(85) تيارات أدبية ، ص12 .
(86) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص 247 .
(87) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المكتبة التجارية القاهرة ، 1969 ص 547 .

(88) شعراء الصعاليك ، د. يوسف خليف دار المعارف القاهرة 1959 م ، ص117 .

(89) ديوان ربيعة الرقي ، تحقيق يوسف حسين بكار ، دار الرشيد ، بغداد ، 1980 ، ص 97 .

(90) ينظر : الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا الفاخوري ، ج1 ص 175 ، ينظر : فكر ابن خلدون – العصبية والدولة ، تأليف: محمد عابد الجابري دار الشؤون الثقافية بغداد ص517، ينظر : تاريخ الأدب العباسي ، البروفيسور رينولد نكلسن ، تحقيق : صفاء خلوصي ،منشورات المكتبة الأهلية ، مطبعة أسعد ، 1969 ص22 ، ينظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، حسن إبراهيم حسن مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة 1964 ، ج2 ، ص6 .

(91) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن عباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار النهضة القاهرة 1964 ، ج2 ، ص6 .

(92) شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن أبي الحديد ، تحقيق الشيخ محمد عبدة ، ط2 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1963 ، ج1 ص 98 .

(93) ينظر : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية تأليف فان فلونت ، ترجمة حسن إبراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1974 ، ص69 .

(94) ينظر : الفرق بين الفرق ، أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي ، القاهرة ، 1910 ، ص65.

(95) البيان والتبيين ج1 ص42 ، ينظر محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، الشيخ محمد الخضري ، القاهرة ، 1952 ، ص27.

(96) ينظر : تاريخ الموصل ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبة ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1967 ، ص343 ، ينظر : الكامل في التاريخ ، عز الدين علي بن الأثير ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1967 ، ج5 ص 25 .

(97) ينظر: الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سعد كيلاني ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، 1967 ، ج1 ص139 ، ينظر : مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني ، دار إحياء علوم الدين ، مصر ، 1961 ، ص257 .

(98) ينظر: تاريخ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن ذهب الكاتب ، نشر المكتبة المرتضوية في النجف ، مطبعة الغري ، 1358 هـ ، ج 2 ص 453 ، تاريخ الشعوب الإسلامية – كارل بروكلمان ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط6 ، بيروت ، 1974 م ص176 .

(99) ينظر: الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، د. حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ، 1974 ص211 .

(100) ينظر : تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط ليدن ، 1901 ، ج6 ص271 وينظر : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ج2 ص 53 ، ينظر : أبو العتاهية حياته وشعره ، د. محمد محمود الدش ، طبع دار الكتاب العربي ، القاهرة، 1968 ، ص72 .

(101) ينظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، ص 65 – 70 .

(102) ينظر : تاريخ بخارى ، أبو بكر محمد بن جعفر البخاري ، ترجمة أمين عبد المجيد ونصر الله الطرازيس ، دار المعارف ، مصر ، ص94- 104 .

(103) ينظر : الفهرست ، لابن النديم محمد بن إسحاق ، ط القاهرة ، 1348 هـ ، ص483 ، وينظر : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تأليف أدوار سنحاو ، طبعة ليبتزج ، 1878 م ، ص210 .

(104) ينظر : تاريخ الطبري ، ج 8 ص 29 ، ينظر: البداية والنهاية في التاريخ ، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط دار السعادة ، القاهرة ، 1966 ، ج10 ص106 .

(105) حديث الأربعاء ، طه حسين ، ط 10 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1958 م ، ج2 ص81.

(106) ينظر : حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول ، محمد جابر عبد العال ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1954 م ، ص305 ، وينظر : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، د. عبد الرحمن بدوي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1945م ، ص28 .

(107) ينظر : تاريخ الأمم والملوك ،ج6 ، ص 290 .

([108]) ينظر : هارون الرشيد ، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية ، الجومرد ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1956 ، ص370 ، وينظر : حضارة الإسلام في دار السلام ، محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي ، القاهرة ، 1933 م ، ص23 ، وينظر : تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج2 ص25 ، وينظر: المدخل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ناجي معروف، ط3 ، بغداد ، ص110 .

([109]) ينظر : تاريخ التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ، ط . ونشر دار الهلال ، القاهرة ، 1958 ، ج4 ، ص26 – 55 .

([110]) تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، د. محمود اسماعيل ، ط1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1989 م ، ص39 .

([111]) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1964 ، ص 64 .

([112]) ينظر : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص 45 .

([113]) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، مجاهد مصطفى بهجت ، ط1 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد – العراق ، 1982 م ، ص269.

([114]) الهجاء والهجاوؤن في الجاهلية ، ص12.

([115]) ينظر الهجاء ، الدكتور سامي الدهان ، ص10 .

([116]) ينظر الهجاء عند ابن الرومي ، ص88 .

([117]) ينظر الهجاء الجاهلي – صوره وأساليبه الفنية ، ص130-139 .

([118]) الحيوان ، ج1 ص364 .

([119]) ينظر تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ص201 .

([120]) الحيوان ج1 ص352 .

([121]) تيارات أدبية ، ص335 .

([122]) دائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية مادة (satirr)

([123]) ينظر الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ص19 .

(124) ينظر : الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص159 – 160 .

(125) ينظر : الهجاء عند ابن الرومي ص91 .

(126) ينظر : المصدر نفسه ، ص95 .

(127) ينظر : اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، دار المسيرة ، بيروت لبنان ، ص26 .

(128) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص 26 – 27

(129) ينظر : الهجاء عند ابن الرومي ص104 ص105 .

(130) العمدة ، ج2 ص172 .

(131) ينظر : التطور والتجديد في الشعر الأموي د. شوقي ضيف ط4 دار المعارف مصر ص5 .

(132) ينظر : المصدر السابق ، ص178 .

(133) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري . دراسة في الحياة الأدبية في العصر العباسي ، أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة دار الكشاف ، بيروت ، 1956 ، ص66- ص67 .

(134) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ،الدكتور شوقي ضيف ، ط7 دار المعارف ، مصر 1963 ، ص245 .

(135) تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة – مصر – 1966 ، ص188 .

(136) ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، ط10 ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، 1936 ، ج1 ، ص6 .

(137) ينظر : أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، ط13 ، دار العلم للملايين بيروت – لبنان ، 1980 م ، ص38-42.

(138) الشعر في الحاضرة العباسية ، وديعة طه نجم ، ط1، مطابع دار السياسة ، الصفاة الكويت 1977 م ص25 .

(139) تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، المطبعة البوليصية ، لبنان ، ص356 .

(140) ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج1 ص361 .

(141) ينظر : تاريخ الأدب العباسي ، رينولد نكلسن ، ص5-6.

(142) ينظر : الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، 1990 م ، ج2 ص76 ، ص78 .

(143) من تاريخ الأدب العربي ،ج2 ، ص38 .

(144) الأدب العربي ، أيهم القيسي ، ص88 .

(145) الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا الفاخوري ، ص672 .

(146) ينظر: الجامع من تاريخ الأدب العربي ، (الأدب القديم)، حنا الفاخوري ، ص672 .

(147) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهبيتي ، ص381 .

(148) فصول في الشعر ونقده ، ص61 .

(149) تاريخ الأدب العربي : العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ، ص159 .

(150) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص450 .

(151) ينظر : الهجاء عند ابن الرومي ، ص108 – 109 .

الفصل الأول

الهجاء الشخصي

الجانب النظري :

هو (الشعر الذي يدور حول شخص معين لأنه ارتكب إثماً أو اكتسب جريرة أو أتى ما يغضب الشاعر وان كان محقاً أو محسناً عند نفسه) [1] وفيه (يتناول الشاعر المهجو في عرضه ونسبه وخلقه وخلقته) [2] وكان مثار الهجاء الشخصي هذه المنازعات الفردية والخلافات التي لا بد من أن تنشأ من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم ، ويميل الكثير من النقاد إلى الغض بمن قيمة هذا الفن في جملته ، واعتباره أحط أنواع الهجاء ، وربما لم يكن ذلك صحيحاً على إطلاقه ، فقد استطاع كثير من الهجائين المتأخرين في الأدب العربي ، أن يفتنوا في الهجاء الشخصي ، ويبلغوا به درجة ممتازة ، والهجاء الشخصي يعتمد مهاجمة الأفراد ، وهو أقدم أنواع الشعر الهجائي ، متأثر بالأهواء الشخصية ، بعيد عن العدل والإنصاف ، لأنه لا يرتقي إلى عناصر الحياة العامة إلا في القليل من نواحيه ، فهو اقرب للسباب والفحش وهذا الشعر قد يعجب المعاصرين فيرددونه ساخطين أو شامتين ، ولكنه يفقد جزءاً كبيراً من قيمته بتداول العصور ، ويتحمس له الناس بمقدار ما يشتمل عليه من نادرة طريفة ، ويكون الهجاء ناجحاً إذا استطاع فيه الشاعر أن يخفي حقده نحو الأفراد ، فيبدو غضبه منصباً على رذائل سائدة ، تعرض فيها أسماء الأشخاص على سبيل التوضيح والمثال [3] . (قد ولد الهجاء عند العرب منذ نشأته في الجاهلية ، وتأثر بالبيئة والإقليم والوسط والثقافة والوعي والمفاهيم)[4] وكان (الهجاء الشخصي هو أصل الهجاء ، ومنه نما وتطرق إلى موضوعات أخرى) [5] ولهذا الشعر قيمة كبيرة عند مؤرخي الأدب لما فيه من تصوير للقيم الأخلاقية والاجتماعية ،(فالهجاء سجل لمعركة بين فردين يتشاتمان ، ترى فيها ألوان العنف الذي يصحب هذه الظاهرة) [6] ويلاحظ الدكتور شوقي ضيف أنّ هذا الغرض تحول واتجه إلى المطاعن الخلقية

والنفسية بعد ان كان سخرية وتهكماً واستهزاءً بالأنساب والأحساب والوقائع (وكأنما يريد الشاعر أن يطهر المجتمع العباسي من كل ما فيه من مثالب فردية) [7] ، يندفع الشعراء إلى هذا الضرب من الهجاء بعوامل أبرزها وأقواها الغضب والحسد ومركب النقص والمنازعات والخصومات الشخصية ، إلى جانب روح النقد لدى الإنسان : وتحتم الحياة العامة الاحتكاك بين الناس ، والشعراء كغيرهم تدفعهم الحياة بما فيها من روح المنافسة والاضطراب إلى خصومات وحروب كلامية قد تطول وتقصر ، وهذه تمثل البغض فيستخدمون ألسنتهم يرمون بها خصومهم ، وقد تدفع طبيعة النقد المتأصلة في النفس الإنسانية الشاعرَ إلى هجاء مَنْ يستقبح مظهرهم أو أخلاقهم وسيرهم دون خصومة ، فهو يرمي بالذم كلّ ما لا يرتضيه من مظاهر الحياة.

اتضح مما سبق القول فيه أنّ الهجاء الشخصي يقسم على ثلاثة أقسام ، وهناك خاصية لكل قسم وللأقسام مجتمعة ، ففيما يخص عيوب الخلقة والسحنة وجدت بعضها يذكر عيباً واحداً وبعضها يذكر العيوب مجتمعة ، أما الأعراض والأنساب فبعضهم يذكر بشكل مفرد أو مشترك (الأم ، الأخت...) أما قصائد المعايب الخلقية والنفسية فبعضها يرد مفردة أو مجتمعة .

جدول بأغراض الهجاء الشخصي لدى شعراء العصر العباسي الأول[8]

ت	الشاعر	عيوب الخلقة والسحنة	الأعراض والأنساب	المعايب الخلقية والنفسية
1-	بشار بن برد	2	10	35
2-	الحسين بن مطير	لا يوجد	لا يوجد	1
3-	السيد الحميري	1	1	1
4-	مروان بن أبي حفصة	2	1	2
5-	بكر بن النطاح	لا يوجد	لا يوجد	5
6-	العباس بن الأحنف	لا يوجد	لا يوجد	1
7-	أبو الشيص الخزاعي	لا يوجد	لا يوجد	2

-8	أبو نواس	10	4	11
-9	ربيعة الرقي	لا يوجد	لا يوجد	2
-10	الإمام الشافعي	لا يوجد	لا يوجد	16
-11	أبو العتاهية	لا يوجد	لا يوجد	4
-12	العكوك	لا يوجد	لا يوجد	2
-13	محمود الوراق	8	لا يوجد	17
-14	أبو تمام	8	6	27
-15	الزيات	6	لا يوجد	2
-16	ديك الجن	1	5	3
-17	عبد الصمد بن المعذل	3	1	12
-18	الخريمي	1	لا يوجد	3
-19	دعبل الخزاعي	20	10	45
-20	علي بن الجهم	2	1	8
-21	الحسين بن الضحاك	4	2	2

الباب الأول / الفصل الأول

المبحث الأول : عيوب الخلقة والسحنة ويشمل :

الرأس ـ الصلع ـ الشيب ـ العور ـ الأنف ـ الفم الكريه ـ صفرة الأسنان ـ اللحية ـ وصف الوجه وقبحه لدى الإنسان ـ وصف سيقان النساء الهزيلة ـ كبر السن ـ أعمار النساء ـ عيوب الخلقة والسحنة بشكل عام .

المبحث الأول

عيوب الخلقة والسحنة

قد تناول الشعراء في هجائهم الشخصي كل ما يزري بالمرء ويحط من مكانته، واستمدوا معانيهم مما تواضع الناس على انه من الرذائل والعيوب ، فهجو بها خصومهم والساخطين عليهم ، وسلبوهم الفضائل النفسية التي يعتزون بها ، وقد جعل قدامة بن جعفر هذه الفضائل أربعاً هي : (العقل والعفة والعدل والشجاعة) [(9)] وقد دأب الشعراء العرب في جاهليتهم على رمي مهجويهم بما يناقض هذه الفضائل النفسية ، ولم يكونوا يحفلوا كثيراً بهجائهم من جهة خلقتهم وأوصافهم الجسدية ، فقليلاً ما كانوا يعيبون فيهم الدمامة والقبح وصغر الجسم وما إلى ذلك ، يقول قدامة : (انّه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسية ، كان ذلك عيباً في الهجاء مثل أن ينسب إلى انه قبيح الوجه أو صغير الحجم أو ضئيل الجسم) [(10)] ويقول أبو هلال العسكري متابعاً قدامة في قوله المتقدم : (والهجاء إذا لم يكن بسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ، ويثبت الصفات المستهجنة التي تختصها أيضاً لم يكن مختاراً . والاختيار ان ينسب المهجو إلى اللؤم والبخل والشره وما أشبه ذلك ، وليس بالمختار في الهجاء أن ينسبه إلى قبح الوجه وصغر الحجم وضؤولة الجسم) [(11)] ويؤيد العسكري هذا المفهوم للهجاء الجيد فيقول : (وأبلغ الهجاء ما يكون بسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً) [(12)]. وينحو ابن رشيق نحو سابقيه في تحديد ما يتناوله الهجاء الشخصي وينطلق في ذلك من ذات المنطلق فيقول (فأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ذلك) [(13)] ويحدد بعضهم ما يتناوله الهجاء الشخصي بالرذائل النفسية فحسب ، فيقول : (ما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء) [(14)] وواضح

في الأقوال المتقدمة تأكيد الأقدمين أنّ أفضل الهجاء وأجوده وأبلغه ، ما تناول العيوب النفسية ورذائل المرء في طباعه وأخلاقه ، أما الهجاء الذي يعمد على انتقاص المهجويين من جهة خلقتهم وعيوبهم الجسدية فأنهم ذهبوا إلى التقليل من قيمته وأهميته ، ولكن إذا كان النقاد القدامى قد جوزوا أن يمدح المرء بالأوصاف الجسدية العارضة كجمال الوجه وطلاقة المحيا) (15) مثلاً على أن (تضاف هذه الأوصاف إلى الفضائل النفسية التي يتحلى بها الممدوح) (16) جاز لنا ان نقبل الهجاء بالعيوب الجسدية مع العيوب النفسية ، (وإذا كانت النفس مجبولة على الميل الى الوجوه الحسان) (17) فذم سواها أمر مقبول في الهجاء على ان هذا يتنافى مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

إنّ هدف الشاعر الهجاء رسم المهجو في صورة ساخرة ، صادقة او كاذبة ، تقربه من الدمامة وتثير الضحكات لتخيله ، فألحّوا على عيب فيه ضخموه كما يصنع الرسامون الهزليون اليوم – الكاريكاتوريون فقد صرفوا ريشتهم الى القصر ، أو دمامة الوجه ...الخ ، فذكروا العيب الخلقي وأرادوه يثير الزراية ويشيع النكتة ، كما اخترعوا للرجل والمرأة صوراً داعرة لعلهما منها براء .وسوف أتناول إن شاء الله تعالى عيوب الخلقة والسحنة حسب ترتيبها لدى أعضاء الجسم مع الأخذ بالحسبان ورودها حسب التسلسل التأريخي لدى الشعراء ومن خلال الدواوين على ان هذه المعايب وجدت بعضها وردت لدى شاعر ولم ترد لدى الآخر أو الآخرين وبعض المعايب وردت بكثرة لدى شاعر أو أكثر . أول المعايب والمثالب هو (الرأس) فنجد الشاعر ديك الجنّ الحمصي يصف رأس رجل من أقاربه وكان يحسده وينهاه عن زوجه، فيقول :

(بحر المنسرح)

1. يحْملُ رأساً تنبو المعاولُ عنْ   صفحتهِ والجلامدُ الوَعِرَه
2. لو البغالُ الصُّلْبُ ارتقتْ سنداً   فيه لمدّت قوائماً خدرَه

3. انظـرْ إلى موضـعِ المقـصّ مـنَ الهـا ... مـةِ ، تلـكَ الصـبيحةِ العَجِـرَه
4. فلـو أخـذتم لهـا المطـارقَ حـراً ... نيّـة صـنعةَ اليـدِ الخـبره
5. إذنْ لراحـتْ أكـفُ جلـتهمْ ... كليلـةً والأداة منكسـرة [18]

يوضح الشاعر أنّ رأس المهجو تنبو المعاول عن إيذائه وأن البغال لو أرادت الصعود على رأسه لخدرت، إنّ هذه الصورة تعطي معناً نفسياً أكثر منه واقعياً أو تعضده لأن رأس الرجل مكمن الأفكار والأفعال (والهجاء يأخذ أحياناً طابع المزاح والظرف) [19] إلا انه يعبر عن القبح الداخلي أكثر من القبح الخارجي بل ان القبح الخارجي يشير إلى قبح الداخل . والذين أصابهم صلع شديد يجزعون من وصف الشاعر ويتلمسون رؤوسهم خوفاً من أن يصيبَهم رشاش هذا الرسم ، فيقول الشاعر الزيات في الصلع[20] (من بحر البسيط)

1. أمّـا شـبابي فلـم أذمـمْ صـحابتهُ ... والشيبُ حين علاني زادني ورعاً
2. أصبحتُ بين الفتى والشيخ مرتدياً ... ثوبَ الشبابِ بثوبِ الشيبِ مقتنعا
3. في الشيبِ عافيةٌ ، ما لم يكن صلعٌ ... فـأن ذاك وذا عـارٌ إذا اجتمعـا
4. لـونُ المشيبِ إذا مـا شبتَ يسـترهُ ... لـونُ الخضابِ فماذا يسترُ الصّلعا

يقول الشاعر يدل الصلع والشيب على الكبر ولكن الشيب في أوله يدل أن الرجل صاحب تجربة في الحياة ولونه جميل في الرأس ولكن الصلع يشوه الوجه .
(الشاعر يركز على الوجه لأنه مركز الجمال) [21] ومن عيوب السحنة هو (الشيب) حيث يقول الوراق :

1. طويتَ عوارَ الشيبِ من فرطِ قبحهِ ... بـأقبحِ منـه فافتضحتَ ومـا انطـوى
2. وأصـبحتَ مرتـاداً لنفسـك حيلـةٍ ... وقبلك مـا أغنـى الفلاسفَة الأولى[22]

نجد الشاعر ينقد المهجو بمعنيين : ظاهريّ ، من حيث يريد التخلص من الشيب لأنه يقبح شكله ، وباطني فهو يعير المهجو بالابتعاد عن الحكمة بعد العمر

والتجربة بان الإنسان في رحلة والطريق يسلك لمرة واحدة فقط وهو كلام قاس خرج به من الشكل إلى اللب وهو اتجاه لدى شعراء العصر العباسي في دلالة قصائده على السحنة. ويردف قائلاً:

كفاكَ بالشيبِ ذنباً عند غانيةٍ   وبالشبابِ شفيعاً أيّها الرجلُ [23]

ويقول الزيات في هجاء صاحب دب به الشيب في مقدمة لقصيدة في مدح المعتصم (بحر الكامل)

1. ما للغواني مَنْ رأينَ برأسهِ   يققاً مللنَ وصالهُ وشنينهُ
2. وإذا عذارُ المرءِ قلّ قتيرهُ   لاحظنهُ ببشاشةٍ وهوينهُ
3. صدفتَ خناسكَ عنك بعد مودّةٍ   ورأت شبابكَ بالياً وغضونهُ [24]

يهجو صاحب الشيب بأن الغواني يبغضن الشيب ويبحثن عن الشباب ، في الظاهر هجاء الشيب ، وفي الباطن هجاءه بأن يرعوي عن غيه ويتوب الى الله تعالى في كبره وشبابه .

ومن عيوب السحنة (العور) فيقول الشاعر عبد الصمد بن المعذل في أعور عشق عوراء :   (بحر الخفيف)

1. هي عوراءُ باليمينِ وهذا   أعورُ باليسارِ وافق شنّا
2. بينَ شخصيهما ضريرٌ إذا ما   قعدتَ عن شمالهِ تتغنّى [25]

(في الهجاء نجد اللمحات الساخرة السريعة أو اللقطات ، والى جنبها صور متكاملة ساخرة طريفة حقاً) [26] ففي القصيدة تناول الشاعر السحنة بطريقة تهكمية وبرسم صور هزلية يصف بها طريقة النظر لدى هؤلاء الجماعة من الناس .

والسحنة الأخرى التي هجا بها الشعراء هي (الأنف) حيث يقول الزيات في رجل يدعى عيسى بن زينب :   (بحر البسيط)

1. يا أنفَ عيسى جزاك اللهُ صالحةً   وزادكَ اللهُ إشراقاً ومتّسعا

2. نعـم ، ولا زلـتَ تجـري فيـك أوديـةٌ ... مـــن المخـــاطِ رواءُ يطّـــردْنَ معـــا
3. حصـــنٌ حصـــينٌ ، وعـــزٌ لـــو تناولـــه ... كســـرى الملـــوك أنـــو شـــروان لأمتنعـــا
4. تركـــتَ عيســـى فمـــا عنـــدي مخاطبـــةٌ ... لـــه وخاطبـــتَ أنفـــاً طـــال وارتفعـــا
5. عيســى غـــلامٌ ، ولكـــن أنفـــه رجـــلٌ ... والقـــرن يَحْسُـــنُ منْـــهُ كـــلُّ مـــا صـــنعا
6. رأيـــــت أنفـــــاً ولم أعلـــــم بصـــــاحبه ... فقلت (مَنْ صاحبُ الأنفِ الذي طلعا)؟
7. قالوا:(فتى غابَ فيه)قلت:واعجبي ... مـــا إن رأى مثـــلَ ذا راءٍ ولا سمعـــا
8. يـا ويلكـم ! أخرجـوه ! قـال نـاطقهم: ... هيهـات !مـا إن نـرى في نيلـهِ طمعـا[27]

يهجو الشاعر أنف رجل يتسم بالضخامة ملئان بالشعب المخاطية واستخدم عنصر الفكاهة (يعبر عن خفة الظل ورقة الحاشية ولا هدف لـه إلا الإضحاك في ذاتـه وان عبر في بعض الأحيان عن روح النقد أو المعارضة) [28] وخلط به (عنصر المبالغة الـتي تعتمد تهاويل الخيال ولم تصل إلى حدّ السخف) [29] .

ونصل إلى عيب آخر وهو (الفم الكريه) وهو عيب خصوصاً عند النساء يقول دعبل في ذلك : (بحر الطويل)

كـأن ثناياهـا ومـا ذقـتُ طعمهـا ... لِبـا نعجَـةٍ سـوّطته بـدقيقِ [30]

(وفيما يبدو أنّ العرب كانوا يحبون الفم الضيق) [31] فيهجو الشاعر فم المرأة ويعتمد على عنصر السخرية ويصف ثناياها التي تصلح للقبل كأنه حليب نعجة لأول مرة مر ثخين مخلوط بطحين فطعم الطحين مع اللباء يمتاز بالخشونة والمرارة .

وهناك نوع آخر لعيوب السحنة هو (صفرة الأسنان) عنـد الإنسـان (حيـث تشيع في كثير من قطـع هجاءهـا روح السـخرية المريـرة، وقـد تشـيع روح الفكاهـة المضـحكة)[32] فيقول عبد الصمد بن المعذل في هجاء شخص ضحك وبـرزت صـفرة أسنانه : (بحر المتقارب)

إذا افــترَ أبــرزَ قلــح الأصــولِ   كمــا كشــرَ العــيرُ للنهقــة [33]

استخدم الشاعر عنصر السخرية من المهجو وله معنيان ظاهر جعل منظر الأسنان كريهاً بشعاً يضحك كضحك الدابة ، والباطن ضحكه يدل على الغباء لكونه (كشر) واللون الأصفر يدل على الوسخ والقباحة والأمراض ، ولفظ (الأصول) يدل على النية والعقل لدى المهجو ومن عيوب السحنة هي (اللحية) وتجد (استخدام الشعراء الهجاء الساخر الذي يعتمد على توليد المعاني واستقصائها في مهارة ودقة) [34] وقد ورد عند أبي نواس يقول: (بحر الكامل)

1. فــاليومُ إذ نَبَتَــتْ بوجهــكَ لحيــةٌ   ذهبتْ بملحك ملء كـفٍّ القـابضِ
2. مثـلُ السـلافةِ عـادَ خَمْـرُ عَصِـيرِها   بعدَ اللّذاذة خـلَّ خمـرٍ حـامضِ [35]

حيث يشبه شعر الوجه بالخمرة الفاسدة وقال أبو تمام كذلك : (بحر الخفيف)

1. خلــقَ اللهُ لحيــةً لــك لــو تحــ   ــلقُ لم يـدرِ مـا غـلاءُ المسـوحِ
2. وذراهــا في الـريح إن كنـتَ ترجـو   سـير شـعري في نعتهـا بـالريحِ [36]

يستخدم الشاعر عنصر المبالغة في وصف اللحية الطويلة فيقول لو حلقت استخدمت مكنسة ولو ذّرها في الهواء انتشرت .

يصل الشعراء في عيوب السحنة إلى (وصف الوجه وقبحه لدى الإنسان) ومما يلاحظ في هجاء الوجه وبالتحديد الوجه منفصلاً عن باقي أجزاء الجسم لدى شعراء العصر العباسي الأول يقسم على قسمين : أولهما: يوجد تفسير نفسي بدلالة الشيء الظاهر على أشياء باطنية عديدة حيث أنّ الشعراء يشبهون الوجه بحيوانات ووحوش قبيحة ومفترسة ، وهذه التشبيهات والأوصاف للمهجوين المأخوذة من الحيوانات تتصف بخلال وصفات إنسانية بذيئة وتعبر عن النوايا العقلية لدى الإنسان وثانيهما : تصنيف بحت .

فمثال القسم الأول قول مروان بن أبي حفصة   (بحر السريع)

1. يا وجهَ مَنْ لا يرتجى نيلهُ ولست بالآمن منْ ضيرهِ
2. كأنهُ القردُ إذا ما مشى يعتلّه القرّادُ في سَيْرهِ [37]

يهجو الشاعر وجه الشخص ويستخدم عنصر السخرية (و الهجاء الكاريكاتوري الساخر الذي يعتمد التصوير لاعلى اللفظ بل على التجسيم والمقارنة)[38] فيقول إنّ الشخص بمشيه كالقرد يعتله القراد فمشيه فيه قفز وانبطاح فهو يضر بمشيه ويدل على الغدر وعدم الأمان .

اما النوع الآخر وهو التصنيف البحت فقول أبي نواس : (بحر المضارع)

1. فلما تمادى هجرها قلتُ واصلي فقالت بهذا الوجهِ ترجو الهوى عندي؟
2. فقلتَ لها لو كانَ في السوقِ أوجهٌ تباعُ بنقد حاضرٍ وسوى نقدِ
3. لغيّرتُ وجهي ، واشتريتُ مكانه لعلّك إن تهوي وصالي منْ بعْدِ
4. وان كنتِ ذا قبحٍ ، فإنّي شاعرٌ فقالت ولو أصبحتَ نابغة الجعدي[39]

يهجو الشاعر نفسه بواسطة التصنيف عن القبح وكبر السن حيث (القبح وحده سبب الهجاء) [40] فالمرأة تعيره بوجههِ لكبر سنه أو لتصابي المرأة .

ومن عيوب السحنة وصف سيقان النساء الهزيلة قال دعبل : (بحر الرجز)

1- تمشي على قوائمٍ عجافِ
2- كأنما جُمّعْن منْ خلافِ [41]

في هذه القصيدة (يعتمد الشاعر صور لفظية وتلاعب بحروف اللغة) [42] ويصف حالة واقعية لدى هذه المرأة فيصف قوائمها بأنها هزيلة وضعيفة بل يزيد في إيضاح الهزال كأن القوائم بالمقلوب .

من عيوب الخلقة والسحنة يوجد ما يعاب من أعضاء الجنسين مما يعفُ البحث عن ذكره [43] وعرض ديك الجنّ في هجاء أعضاء الجنسين في ذكر القباحة والجمال[44].

وهناك أمور استتبعت عيوب الخلقة والسحنة وهما : (كبر السنّ) ، (أعمار النساء) لأنها تدل على الكبر وتغير أعضاء الجسم .

لقد ذكروا (كبر السن) وما يستتبع ذلك من أمور جسمية (حيث إنّ بعض الشعراء سلطوا هجاءهم على أنفسهم والناس .. أما تعابثاً وتظرفاً جرياً وراء النادرة المسلية أو انتقاماً لأنفسهم وإيلاماً لمنافسيهم)[45] حيث يقول عبد الصمد بن المعذل في جارية شيخ قبيح الوجه وجاريته تعشقت فتى جميلاً كاتمته أمره وهربت معه وقال ابن المعذل في ذلك : (بحر المتدارك)

أيّ أمـــرِ حـــازم ركبـــتْ   أيّ (مـــرءٍ) عـــاجزٍ تركـــتْ [46]

وتناول الشعراء أعمار النساء وهجو الزواج من المرأة المسنة يقول دعبل (من الوافر)

1. مطيـاتُ السـرورِ فويـقَ عشـرٍ   إلى العشـرين ، ثـمّ قـف المطايـا
2. فـان تـزْدد لهـنّ فـزد قلـيلاً   وبنـتُ الأربعـينِ مـن الرّزايـا [47]

(هذا الوصف اشمئزازي وسخري في آن واحد وهو مليئ بالحياة التي تتمثل فيه أروع تمثيل ، في أوجز لفظ ، وأشد حركة ، وأقوى فاعلية ، وأنه ليسير في بدء أمره سيراً وئيداً ثم يطالعك فجأةً بما يفجر الضحك تفجيراً ويطلقه إطلاقاً) [48] وجدت بعض الشعراء يذكر مجموعة من عيوب الخلقة والسحنة بشكل جماعي وليس انفرادي فوجدت بعضها يذكر كل عيب سحنة ليدل على دلالة نفسية معينة ، وبعضها يذكر كل عيب سحنة من غير أن يدل العيب على دلالة نفسية معينة .

فمثال القسم الأول قول أبي تمام : (بحر الرجز)

1. نعمَ الفتى ابنُ الأعمشِ الغرِ الذفر   لـولا الحـلاقُ والجنـونُ والبخـرْ !
2. كأنمـا أسـنانهُ اذا كشـر   حـبٌ مـن القـرعِ مـؤدَّرٌ نخـرْ
3. يـا حبـذا أمـكِ امـرأةُ البشـر   وجزيـت صـالحةٌ عـن الكمـرْ

مَنْ غال بعد صدعها فلا انجبر ! [49]

يستخدم الشاعر (نعمَ) عكس معناها ويقصد (بئس) المهجو صاحب الرائحة الكريهة والفم النتن الرائحة وأسنان كأنها القرعُ المفتت حيث (هناك نفوس مطبوعة على الشر والفسق والفجور تدفع الآخرين إلى الهجاء ، بل هي تسعى إليه فيتحدث الشاعر عن هؤلاء الذين يستحقون الهجاء لجهلهم وحماقتهم [50] ثم يهجو بأمه ويكني عن سوء شرفها فدلالة الرائحة والفم والأسنان هي تعبير عن مدلول نفسي بفساد عرض المهجو ولكن ليس كل من كان سحنا ليس شريفا ولكن هذه الأوصاف مع رجل سيء السمعة تدل عليه دلالة غير مباشرة .

أما النوع الآخر الذي يذكر عيوب السحنة من غير أن يدل العيب على دلالة نفسية بل يذكرها بسبب تهاج طريف مع صديق أو الرجل وزوجه أو امرأة رآها في الشارع أو بيت القيان أو لدى خمار . يقول السيد الحميري يمازح جاراً له : (بحر الوافر)

1. أعاركَ يومَ بعناه رباح — مشافرهُ وأنفكَ ذا القبيحا
2. وكانت حصّتي إبطيّ منه — ولوناً حالكاً أمسى فضوحا
3. فهل لكَ في مبادلتيكْ بابطي — بأنفكَ تحمُد البيعَ الرّبيحا
4. فأنكَ أقبحُ الفتيانِ أنفاً — وإبطي أنتنِ الآباطِ ريحا [51]

فالشاعر يعرض بلونه ولون صاحبه ورائحة إبطه ومشافر رباح بطريقة تحمل روح النكتة والطرافة والتهكم .

إنّ التطور الفني الذي حدث أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف إضحاك الناس على المهجو وسخريتهم منه ولهذا يعتمد فناً أصيلاً في رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية ، ولكنه ليس رسماً تصويرياً بل هو رسم كاريكاتوري يبعث على الضحك ، ويستفيد الشاعر في هذا النوع الأصيل من الهجاء بكل معارف عصره ، ويجمع عناصر الفكاهة والغزل الشائعة بين الناس [52] .

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1- عيوب الخلقة والسحنة بعضها ورد لدى شاعر ولم يرد لدى الآخرين وبعض المعايب وردت بكثرة لدى شاعر أو عدد من الشعراء .

2- في كل عيوب الخلقة و السحنة غالباً ينقسم الهجاء على قسمين : ظاهري وباطني . فالتفسير الظاهري يهجو السحنة بذاتها والتفسير الباطني يعبر ويربط من خلال السحنة الظاهرية عن النوايا والأفكار الباطنية .

3- التطور الفني الذي حدث أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف إضحاك الناس على المهجو وسخريتهم منه ولهذا يعتمد فناً أصيلاً في رسم شخصية المهجو من ناحية معنوية أو جسمية ولكنه ليس رسماً تصويرياً دائماً بل كذلك رسم كاريكاتوري يبعث على الضحك ويستفيد الشاعر في هذا النوع الأصيل من الهجاء بكل معارف عصره ، ويجمع عناصر الفكاهة والهزل الشائعة بين الناس .

الباب الأول / الفصل الأول

المبحث الثاني :الأعراض والأنساب :

أقارب المهجو – فساد الأسرة – النسب وصحة نسب الأسر – مغمور الأب – هجاء الأمهات – هجاء الأخوان – هجاء الأزواج – هجاء الرجال والنساء بالفحش الشديد – هجاء الخنّث – هجاء الأعراض عامة – هجاء أبناء الحرام – هجاء الغلمان والجواري .

المبحث الثاني

الأعراض والأنساب

حرص العربيّ منذ نشأته على السمعة الحسنة والصيت الطيب ، فنزع إلى التعلق بالشرف والأرومة ، وتمسك بطيب النسب فافتخر به ، وخاف أن يأتيه من لدن النسب عار يلحق به فلن ينجو ابد الزمان ، وعرف أنّ هذا العار لا يصيبه إلا من لدن المرأة .. لأنه باب يلجه الصّهر فينتقل بها عن سبيل الزواج أو السبي إلى قبيلة معادية . والذكور يعينون آباءهم في كل شيء ويقاتلون في الحرب . والشعراء ألحوا أشدّ الإلحاح حين الخصومة والقتال على تناول المرأة بألسنتهم ، يضعون منها ليضعوا من قدر أهلها وأسرتها وعشيرتها ، فيصفونها بأسوأ الأوصاف ، يذكرون منها سؤاتها ويصورون انحطاط عفتها بالحق أو بالباطل ، وذلك ورد في العصور كلها ولعلهم حين يقلدون في فن الهجاء يصيبون منها مقتلاً إلى اليوم في أحاديثهم وخصوماتهم السياسية والحزبية والدينية والاجتماعية فهي ضحية الألسنة المتطاولة ترد فجأة ، حين يكون الحديث في المهجو يخصها الشاعر بغضبه وعدائه ، وهي لا تدري من الأمر شيئاً ولا تعرف أنها موضع الاهتمام ولكنها مكرهة على ان تخوض في الميدان وأن تكون فريسة للهجاء . وفي شعر الهجاء يتناول المرأة على صور شتى ، بعضها مقذع لأنه يعلق بالجسدية المنحطة يذكر ويصف ما لا يوصف ، في خيال جامح يتصل بالفن حيناً ويبتعد عنه أحياناً ، وكذلك (الطريقة التي كانوا يتناولون بها المهجو نفسه فيصورون النساء عنده أو يهجون المرأة وهم يقصدونها) [53]

وكان التعرض للأنساب من ابرز ما تناوله الشعراء في هجائهم ، فكثيراً ما طعنوا الأفراد من جهة أصولهم وذلك يدل على مدى حرص الناس على سلامة محتدها وأصالة نسبها ، ولم تكن الحياة الحضرية لتقلل من أهمية أن يكون المرء ذا أرومة أصيلة ونسب عريق ، فذلك ما يعزز مكانته في مجتمعه ويحفظ كرامته بين الناس [54] ولقد تفنن الهجاؤون في طرق تناول مهجويهم من جهة أنسابهم وأصولهم .

فهجاء الأعراض يعتمد مهاجمة الفرد وهو متأثر بالأهواء الشخصية بعيد عن العدل والإنصاف لأنه لا يرتقي إلى عناصر الحياة العامة إلا في القليل من نواحيه فهو أقرب للسباب والفحش، ومثل هذا الشعر قد يعجب المعاصرين فيرددونه ساخطين ولكنه يفقد جزءاً كبيراً من قيمته بتداول العصور ، فلا يتحمس له الناس ولا يجدون فيه متعة، إلا بمقدار ما يشتمل عليه من نادرة طريفة [55] فالهجاء هنا سجل ساذج لمعركة بين فردين يتشاتمان ، وترى فيها كل ألوان العنف، وفيه التباهي على الخصم بالمال والأهل والحسب ، وفيه السباب المقذع والذي يتعرض لأغلظ العورات دون احتشام وفيه التعيير والتهديد ، وتجد فيه الفخر والتهديد بالسيف وبالشعر الذي يبقى على كل لسان . وهذه المعاني لا يخرج الشعر عنها ولكن لا يخلو من بعض المتعة الفنية . وربما افترى الشاعر الكذبة ثم يكررها حتى تروج ومن ذلك يخاف الناسُ الشعراءَ .

(إنّ كثيراً من معاني الهجاء الشخصي ظل تقليدياً كالطعن بالأنساب والأحساب ورمي الأعراض فكان يهجى بالضعف والخور وخمول النسب والبخل والفقر والجبن والقعود عن الغزو وعدم حماية الجار) [56] وهذه المعاني (ولا سيما الهجاء الشخصي) ظلت في هجاء العصور التي تلت العصر الجاهلي في نظر المجتمعات عيوباً تكسب الأفراد والجماعات العار والصغار ومع الأخذ بالحسبان أثر الحياة الحضرية في إضعاف دائرة بعض هذه العيوب .

فلمّا كان العصر العباسي وسرت لوثه الأعاجم وفسد الذوق العربي ظهر الفحش في الهجاء على أسلوب آخر ، وكان من المبتدعين فيه بشار بن برد يقول (انّي وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع فبالغ فيه وأسهب ، وذكر الأمّ والأخت والأسرة وجعلهن في الخنا وجعل الرجال شهوداً عليهن) [57] وكان بشار يرى ان الهجاء أمضى وسيلة لمعاملة الناس .

كان دعبل مطبوعاً على الهجاء ، وقد قال له مرة أبو خالد الخزاعي : (ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً ... فقال دعبل: ويحك : إنّي تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة ، ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً إذا لم يخف شره ، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم .. فإذا رآك أوجعت عرض غيره إتقاك)[58] ويردف ياقوت الحموي في معجم الأدباء يقول (دعبل شاعر مطبوع مفلق.. وكان هجّاءً خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء والوزراء وأولادهم ، .... وكان بينه وبين الكميت بن زيد وأبي سعد المخزومي مناقضات) [59]

إنّ هجاء الأعراض والأنساب كان أثراً من آثار العصبية والخصومة السياسية، وكان منه مرجعه إلى السخرية والتنادر والتهكم إظهاراً للبراعة في التقبيح وتوليد المعاني . لقد كان من أثر المدنية انتشار المفاسد وتغيير الأذواق حتى لم تعد تسيغ الكثير من المناظر والعادات المألوفة من قبل فلمّا ضعف الوازع الديني ، ولان جانب العيش، وجد الشعراء في هذه المثالب والمناظر الشاذة والعادات القديمة مادةً ومنبعاً يستمدون ما يتندرون به ، وما يتسابقون فيه من إظهار البراعة في الوصف والسخرية والإضحاك ، ولقد راحوا يتتبعون العورات ويرمون بما شاع من لواط وأبنة ورشوة ونحو ذلك ، شعر مقذع مضحك يغريك بالضحك من التصوير[60] .

يقول الأستاذ حنا الفاخوري : (ظهر الأقذاع في مهاجيات المثلث الأموي جرير والفرزدق والأخطل ، وكان في بعضها شيء من فحش ، ولكن الفحش لم يستفحل في الهجاء إلا في صدر الدولة العباسية ، ولا سيما عند بشار وأبي الشمقمق وحماد عجرد وأبي هشام الباهلي) [61]

الجديد في هجاء الأعراض والأنساب أنها صور حضرية عباسية فيها ابتكار وإبداع بعيدة عن جفاف المثلث الأموي ، الشاعر قصد إلى فجور المرأة وعبثها كما قصد القدماء ، ولكنه سلك إلى ذلك سبيلاً من الصور المستحدثة ليس فيها ذكر

الأعضاء وجفاف العبارة وقسوة اللفظ ، وإنما رمى إلى مجمل المعنى فأصاب الهدف ووقع في النجاح هذا من جانب ، ومن جانب آخر قد تجد في اللفظة لذع كثير ، ومجاهرة بالوصف وتحدّ للأخلاق وقد يعرضون في هجائهم لشذوذ الرجال مع الرجال أو النساء مع النساء ، بغية الحط من قيمة المهجو ، وتناول عرضه .

تجد عند تناول العيوب الجسدية بصورة عامة إنّ الحياة الحضرية الجديدة أدت إلى أن يتمتع الفرد بشيء من الانفصال عن ارتباطاته القبلية والأسرية ، فكان في كثير من الأحيان مستهدفاً في الهجاء دون قومه ، وهذا دون ريب أثر من آثار التحول الحضاري الذي تعرض له شعراء المدن خاصة ، عموماً (الهجاء أصبح ألصق بطبيعة المجتمع الحضري من حيث إنّ الفرد هو الوحدة الاجتماعية التي تقوم عليها الاعتبارات الاجتماعية المختلفة ، ولا شأن لأسرته أو قبيلته أو قومه بما يستحق من لوم أو تأنيب أو عقوبة) [62] وهذا الحكم لا يصلح أن يكون عاماً بل هناك علاقة الحزب السياسي ، والمذهب الطائفي ، والانتماء القومي ، والفكر الفلسفي ، فالأمة أصبحت في العصر العباسي متعددة الأهواء السياسية ومتشعبة الفرق المذهبية ، ومتلونة الانتماءات القومية ، ومتغيرة المفاهيم الثقافية ، هذا مع وجود الافتخار بالانتساب إلى الأصل العربي لان السلطة الحاكمة تنتسب له.

إنّ هجاء الأعراض والأنساب يرد كثيراً لدى شعراء هذه الحقبة ولكن القليل منه يبقى ضمن هذا الفصل لان نفس العيوب تخص أناساً يوضعون ويصنفون ضمن الفصول الأخرى . في هذا النوع قد يهجو الشاعر أحد الأقارب او مجموعهم ومن العناصر التي هجوا الأعراض والأنساب بها (أقارب المهجو كخالته وما شابه) حيث يقول بشار بن برد : (بحر البسيط)

1. يروحُ في الغي يعبوباً له شرفٌ — وفي الرشادِ بليداً غير يعبوبِ
2. وقد عرفتَ عريفاً ناك خالتهُ — وقد تلفعَ شيباً غير مخضوبِ
3. يصبّ في فلسها من ماءِ فيشته — صبّ الوليدةِ في المصحاةِ بالكوبِ

4. والعبدُ زوجُ الزواني قد نفحتَ لـهُ ... منّي بسجلٍ ذنوباً غيرُ مشروبِ
5. يمشي بـاير مهيبٍ في عشيرته ... ومـا الفتى بمهيبٍ في المقانيبِ
6. مِمَنْ يروعك مطلوباً برؤيته ... وقد تراه مصيخاً غير مطلوبِ[63]

(إنّ القصيدة من الفحش والبذاءة تعبر عن المحيط الخاص بالشاعر ، وأثرها في شعره وتفكيره وإيصال بيئته وحياته بطريقة شعرية) [64] .

ومن الشعر الذي قيل عن فساد الأسرة قول بشار بن برد: (بحر الوافر)

1. فيا عجباً مـن الخبِّ المؤتي ! ... وحسبك بـالغيورِ مـن القحابِ!
2. يُضيع نساءه ويظّل يحمي ... نساءَ العالمينَ من اللعابِ[65]

(يوسع المهجو تعبيراً ويرميه بالذلة فيصوره حقيراً ويصور أهله موطناً للمخازي فينشر مثالبهم ويفحش في النيل من أعراضهم متهكماً عارضاً صوراً شتى تمثل خساسة المهجو في نفسه وأهله)[66] ومما قيل عن النسب وصحة نسب الأسر قول السيد الحميري عن نسبه أثناء مدح آل البيت(ع):

(بحر المنسرح)

1. جعلتُ آلَ الرسولِ فيّ سبباً ... أرجو نجاتي به منَ العطبِ
2. على مَ ألحى على مودةِ مَنْ ... جعلتهم عدّةً لمنقلبي
3. لو لم أكنْ قائلاً بحبِّهم ... أشفقتُ من بغضهم على نسبي[67]

وذلك إشارة إلى ما روته المصادر عن أنس بن مالك انه قال : ما كنّا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض الإمام علي بن أبي طالب (ع) وما روي عن الإمام علي (ع) انه قال (لا يحبّني ثلاثة : ولد زنا ومنافق ورجل حملت به أمه في بعض حيضها)[68] .

وقال دعبل في (مغمور الأب ، المنتسب الى أمه) (وقد تميز بالاستخفاف بالمهجو وتهوينه وتحقيره) [69] (بحر المجتث)

1. سَـــألته : مَـــنْ أبـــوه ؟ فقـــال : (دينـــار) خـــالي !
2. فقُلْـتُ : (دينـارُ) مَـنْ هـو ؟ فقـــال : والـــي الجِبـــالِ [70]

ولا يعرف للجبال والٍ ولكن إيغالاً في التحقير والتهوين .

ومما قيل في (هجاء الأمهات) قول ديك الجن الحمصي : (بحر الطويل)

1. إذا لم تكـن في البيـتِ ملـحٌ مطيـبٌ وخـلٌ وزيـتٌ حـول حـبِ دقيـقِ
2. ولم يـك في كـيسِ دراهـمَ جمّـةٍ تنفّـذ حاجـاتي بكـلّ طريـقِ
3. فـرأسُ صـديقي في حِـرِأم قـرابتي ورأس عـدوّي في حِـرِ أم صـديقي [71]

الشاعر يهجو الصديق والقرابة بأمهاتهم لغرض التهكم والأبيات لا تحتاج إلى شرح وتوضيح .

ومما قيل في الأعراض (هجاء الإخوان) قول أبي تمام يهجو عثمان بن إدريس الشامي ومحمداً أخاه : (بحر الكامل)

1. عثمـانُ لا تلـهج بـذكر محمـدٍ ينهـاك طـولُ الجـدِ عنـه وعرضـهُ
2. يغتـالُ ذلـك كلّـهُ إمسـاكهُ ويفـوتُ بسـطك في المكـارمِ قبضـهُ
3. فكأنَ عرضك في السهولةِ وجههُ وكأنّ وجهك في الحزونـةِ عرضـهُ [72]

الشاعر يهجو أخوين ويهجو الأول بوساطة الثاني من خلال العرض (يبدو أبو تمام شديد العسف والحنق مهاتراً غير مهاود في التجريح والتمزيق مفحشاً في السباب والتعيير) [73] .

ومما قيل في هجاء الأعراض هجاء الأزواج وقد ورد لدى ابن المعذل في (هجاء الزوج والزوجة) بفساد العرض حيث قال في رجل زان من أهل البصرة وكانت امرأته زانية أيضاً : (بحر السريع)

1. إن كنتِ قد صفّرة أذن الفتى فطالما صفّر آذانا

2. لا تعجبي إن كنت كشختنه فإنما كشختِ كشخانا [74]

لجأ الشاعر إلى التجريح والسبّ والطعن في فحش وإقذاع مسرفين ، حيث صفرت الأذن دلالة على العار ، والكشخ : الرجل صار لا يغار واتهم الدياثة وهو أن يرى العمل الفاضح في أهله ولا ينكره [75] والقصيدة واضحة لا تحتاج إلى شرح .

ومما قيل في هجاء الأعراض (هجاء رجال ونساء بالفحش الشديد) من ذلك قول بشار وهو مما أفحش فيه : (بحر الكامل)

1. عجلُ الركوبِ إذا اعترته نافضٌ فإذا أفاق فليسَ بالرّكّابِ

2. وتراهُ بعدَ ثلاثِ عشرةَ قائماً مثلَ المؤذّنِ شكَّ يومَ سحابِ

3. يتنفسّ الصعداءَ عند مراسلٍ ويكادُ يخلعُ جلده لكعابِ [76]

القصيدة فاحشة حيث (ظهر بشار مولعاً بالحياة الواقعية وقد شهد تغيير البيئة اثر الأنقلاب في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، وقد صادف الانقلاب ميلاً في نفس الرجل والجنوح إلى الانطلاق من التقاليد ومخالفة الأخلاق) [77]

وقال بشار يهجو رجلاً بالخنث : (بحر الوافر)

1. أتفخرُ بعد يوم بني قشيرٍ وأنتَ مخنّثٌ فيكَ اعوجاجُ

2. تغادي في الصباحِ عمودَ قردٍ كما تغدو على القذرِ الدجاجُ [78]

فالشاعر يهجو بأحد أوجه العار الشائعة .

وتكلم دعبل الخزاعي في الأعراض حيث قال يهجو : (بحر الطويل)

1. وما (منْ) دونِ عرضكَ للقوافي شبا قفلٍ يشدّ ولا رتاجُ

2. لججتَ فعادَ ذاك عليك ذمّاً وأسبابُ البلاءِ من اللجاجِ [79]

يقول بأنه تناول المهجو بالأعراض وانتشر شعره بوساطة الشعر ذي القوافي السريعة الانتشار ولن يستطيع التغطية على المهجو .

وكذلك قال علي بن الجهم عن (أبناء الحرام) : (بحر الخفيف)

1. لك وجهٌ كآخرِ الصكِ فيه لمحاتٌ كثيرةٌ من رجالِ
2. كخطوطِ الكتابِ مشتبهات شاهدات أن لست بابن حلالِ [80]

يستخدم الشاعر أسلوباً خاصاً في اللذع يقوم بتتبع حياة المهجو وذويه وتعداد نقائصه والكشف عن عوراته واحدة فواحدة ، ذاكراً تفاصيلها ، مبيناً كل ما من شأنه أن يجعل المهجو موضع احتقار الناس ، فهو يشير بالوجه وخطوط الكتاب إشارة إلى معرفته بتأريخه وسيرته وأصله . (لقد كثر في هجاء هذا العصر هتك الأعراض)[81]

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1- حرص العربي على السمعة الحسنة والصيت الطيب وعرف أنّ العار أكثر ما يأتيه في هجاء الأعراض والأنساب من لدن المرأة حيث يصورون انحطاط عفتها بالحق أو الباطل.

2- التعرض للأنساب وطعن الأفراد من جهة أصولهم دليل واضح على مدى حرص الناس على سلامة محتدها وأصالة نسبها حتى في الحياة الحضرية يعزز مكانته بين مجتمعه ويحفظ كرامته بين الناس ، وهذا بدوره يفسر شعور أبناء الفرس بالحاجة إلى الأحتماء بالولاء وبالأنتساب إلى العرب .

3- هجاء الأعراض والأنساب متأثر بالأهواء الشخصية بعيد عن العدل والإنصاف لا يرتقي إلى عناصر الحياة العامة الاّ القليل من نواحيه فهو أقرب للسباب والفحش .

4- لما كان العصر العباسي وسرت لوثه الأعاجم وفسد الذوق العربي ظهر الفحش في الهجاء وضعف الوازع الديني ولان جانب العيش وجد الشعراء في المثالب والعادات القديمة مادةً ومنبعاً للهجاء وراحوا يتتبعون العورات.

5- الجديد صورٌ حضرية عباسية فيها ابتكار وإبداع إمّا قصدٌ إلى فجور المرأة وعبثها كما قصد القدماء ولكنه سلك سبيلاً من الصور المستحدثة ليست فيها ذكر الأعضاء وجفاف العبارة وقسوة اللفظ وإنما رمى مجمل المعنى فأصاب الهدف ووقع في النجاح ، وأما في اللفظ لذع كثير ومجاهرة بالوصف وتحد للأخلاق وعرض لشذوذ الرجال مع الرجال والنساء مع النساء .

الباب الأول / الفصل الأول

المبحث الثالث : المعايب الخلقية والنفسية :

البخل : (النوع الأول ، والثاني ، والثالث) – الجبن – الحسد – الكذب والنفاق والرياء – هجاء قلة الوفاء والإخاء – الجهل – الحمق – الثقل

المبحث الثالث

المعايب الخلقية والنفسية

وصف المؤرخون جزيرة العرب فقالوا أنها قاسية عنيفة ولذلك جعلوا الشجاعة والبطولة من مزايا الرجال ومحامد الصفات . فلم يكن فيما يبدو لهذه الجزيرة من مثل أعلى في نظر القوم غير القوة الجسدية لأنها وحدها رمز النضال وشارة القتال . ولا يلام قوي جسديا إذا اغتصب ، وإنما يلام الضعيف ، وليس قبل الإسلام قانون يعاقب على الظلم ، ولايفل الحديد إلا الحديد . ولما جاء الإسلام ونشأت الدولة ظل العربي يلجأ إلى القوة والعصبية والقبيلة يعتمد على أقرانه وأبناء عشيرته وأسرته ، واحتقر العربي أصحاب الصناعة والزراعة والتجارة ، ونظروا إليهم كأنهم وادع خائف لايسعى إلى مغامرة ولا يقاتل ويترك مكانه واتهموهم بالجبن ، ومدحوا الشجاع البطل. وكانت حياة البادية تتطلب محاربين وكان البطل يدخل المغامرة على جسد نحيل شديد النشاط لذلك ذموا عكسه السمين الضخم القصير الذي يركن إلى الخمول (ونتج من ذلك مثل عليا هي : الكرم والشجاعة والبطولة كما نظروا إلى ما يخل بها نظرة الاحتقار ، فكانوا يهجون العربي بالضعف والخور والكذب واحتراف المهن الحقيرة ودناءة الأصل)[82] .

إنّ كثيرا من معاني الهجاء ظل تقليديا ألفناه في الهجاء القديم ،فكل ما يهجى به العربي راجعٌ إلى الضعف والخور وخمول النسب والبخل والفقر والجبن والقعود عن الغزو وعدم حماية الجار وبالقعود عن الثأر وقبول الدية والتخلص إلى النساء في السلم والحرب والاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة [83] وهذه المعاني في الهجاء القديم ظلت في هجاء العصور التي تلت العصر الجاهلي . فكثير من هذه المعاني يبقى في نظر المجتمعات عيوبا ورذائل تكسب الأفراد والجماعات العار والصغار ومع الأخذ بالحسبان اثر الحياة الحضرية في إضعاف دائرة بعض هذه العيوب ان معاني الهجاء كانت في الهجاء القديم مجرد نفي للفضائل الأربع ومشتقاتها ولا يختلف اثنان في أنّ

الإنسان بفضائله النفسية قبل محاسنه الخلقية فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه والعربي يفخر بما يتحلى به من صفات حميدة ، ومحامد جليلة ، ولا يضيره كثيرا ما يكون عليه من طول وعرض.

إنّ قدامة بن جعفر قد جعل الفضائل النفسية أربعاً هي (العقل والعفة والعدل والشجاعة)[84] وقد دأب الشعراء على رمي مهجويهم بما يناقض هذه الفضائل النفسية ،يقول قدامة : (انه لمّا كانت فضائل الناس من حيث أنهم ناس ، لامن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا) [85] وما دام الهجاء عنده ضد المدح فينبغي إذن أن يعتمد نقض الفضائل النفسية . وكلما كثرت اضداد المديح في الشعر كان أهجى[86].

أكد النقاد العرب صفات الهجاء الذي يمتاز بالجودة الفنية ، يقول قدامة: (انه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء)[87] .

ويؤيد أبو هلال العسكري قول قدامة المتقدم :((والهجاء إذا لم يكن بسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ، ويثبت الصفات المستهجنة التي تختصها أيضاً لم يكن مختارا ، والاختيار ان ينسب المهجو إلى اللؤم والبخل والشره وما أشبه ذلك))[88]

ويؤيد العسكري هذا المفهوم للهجاء الجيد فيقول : ((وأبلغ الهجاء ما يكون بسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعدل والعقل وما يجري مجرى ذلك))[89]

وقد أفرد العسكري من ديوان المعاني باباً لخصال الإنسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم و الحلم والحزم و العقل.

ويجري ابن رشيق كسابقيه في تحديد ما يتناوله الهجاء الشخصي وينطلق من المنطلق نفسه يقول : ((فأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض)) [90]

وبعضهم يحدد الهجاء بالرذائل النفسية حسب ، فيقول : ((ما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء))[91] ، ويقول حازم القرطاجني : ((فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه ، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له ، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه))[92] .

ولكن الإنسان لا يستطيع تغيير الصفات النفسية لأنها رزق من الله سبحانه وتعالى . واضح مما تقدم تأكيد الأقدمين على أن أفضل الهجاء وأجوده وأبلغه ما تناول العيوب النفسية ورذائل المرء في طباعه وأخلاقه .

إنّ هجاء المعايب الخلقية والنفسية يتنكب عن الألفاظ البذيئة والصور الدعرة ويستخدم التحليل النفسي الذي يظهر المهجو بصورة تخالف تمام المخالفة الصورة التي ينبغي أن يكون عليها ، فأذا كنا نتوقع منه أن يكون شجاعاً ، فأنه يرسمه في تصرف في غاية الجبن والحقارة ، فيكون الهجاء بالتناقض والغرابة في الأصول والأحوال النفسية .... وهذا النوع أشد صعوبة وأكثر بقاءً لأنه يعتمد تحليل النفس البشرية وما يشخص فيها من تعقد وازدواج يستثيران السخرية والضحك[93] (فالشاعر يعتمد في تعبيره وحدة الشعور الذي يتولد من مظهرين مختلفين أو من مظاهر مختلفة ، فهو لا يعبر عن الأحوال النفسية بالمعاني والذهنيات وإنما ينقل الحالة الداخلية بحالة خارجية قد تخالفها مظهراً ، لكنها تشابهها تمام الشبه في الشعور الذي تعتري به النفس ولعل ذلك أوفى دلالة على حقيقة التجربة الشعرية ، لأنه ينقلها نقلاً إلى القارئ ، بدلاً من ان يوضحها إيضاحاً) [94]. ولقد اعتمد الشاعر أسماء الحيوان في سبيل تمثيل المعاني التي تصدى لها ، فالشاعر يمثل المعاني بما يشهده من الغرائز الحيوانية التي تشابهها ، فالغريزة بما فيها من اطراد على طبع واحد لا يختل بها ولا تحيد عنه ، كانت تجسد المثل الأعلى لبعض ما يشهده من أخلاق الناس ، فالشاعر يمثل مثله العليا في

الأخلاق والعادات بالغرائز الحيوانية أو بالمشاهد الطبيعية وتمثل الشاعر بالحيوان للدلالة على الشجاعة والجبن واللؤم فضلاً عن الحلم والحمق[95].

(الشعراء الهجاؤون لم يتركوا مثلبة خلقية أو نفسية في شخص إلا صوروها وكأنما يريدون أن يطهروا المجتمع منها ، وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح ، فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية ، والهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد ، لان الهجاء يتأثر ويؤثر كباقي الأغراض بل يفوقها بالبيئة والإقليم و الوسط والثقافة و الوعي و المفاهيم)[96].

وكأن الشعراء أرادوا أن يعالجوا جانباً تربوياً في مجتمعهم فراحوا ينتقصون هذه الجوانب المعيبة المذمومة التي تحط من الأفراد والمجتمع على حد سواء . وإذا كان هذا الضرب من الهجاء لا يخلو من المبالغة والإسراف فإن فيه مع كل هذا توجيهاً تربوياً غير مباشر للآخرين يدفعهم إلى التخلص من مثل هذه العيوب التي تحقرهم في أنظار غيرهم فهو ((إصلاح للأخلاق لما تحمل عليه من تجنب الرذائل الموجبة للهجو))[97] فهو ((إصلاح وتهذيب وتقويم لكل إعوجاج في المجتمع سواء ما إتصل بالفرد أو ما إتصل بالجماعة))[98] .

ولا يعني ما تقدم إنّ الهجاء عامةً في غايته نشدان للإصلاح والتهذيب والتقويم فليس من شك في أنّ جانباً من هذا الهجاء صدر عن نفوس حاقدة لئيمة تتميز بالأنانية المظلمة وأكثر ما تتجلى هذه الأنانية في الهجاء ذي الدوافع الفردية البحتة ، على أن جانباً من هذا الهجاء ((قوة بنائية إلى جانب هذا المظهر الهدام ، الذي هو أول ما يطالع المتصفح له ، فهو حين يهاجم شخصاً من الأشخاص أو نظاماً من النظم أو نزعة من النزعات ، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى بأشخاصها ونظامها وأسلوبها، هي مثله الأعلى الذي يطمح إليه ويدعو له ، فالهجاء له فلسفة في الحياة يريد أن يؤديها إلينا))[99] . ولذلك فليس صحيحاً أن الهجاء بشكل مطلق

(يعبر عن وجوه القبح واليأس ، وأنه تجسيد لملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف))[(100)]

إن المعايب الخلقية والرذائل النفسية كثيرة في هجاء مختلف العصور عامة وفي هجاء العصر العباسي الأول خاصة بسبب الابتعاد عن البادية وما يهجى بها من الشجاعة و الفروسية ، وبسبب دخول عناصر أعجمية بعيدة كل البعد عن أخلاق النبل العربية . ولكن توجد نقاط أكثر ذكراً ومنها أقل ذكراً . ان المساوئ والمعايب تشير إلى صفات خلقية سلبية لدى أفراد المجتمع وبشكل واسع بحيث تشكل ظواهر إجتماعية بارزة كالبخل والجبن والكذب والثقل والمطل وغير ذلك .

أول هذه المعايب هو (البخل) : وهذا الموضوع لدى شعراء العصر العباسي الأول يقسم على ثلاثة أقسام رئيسة :

1- بخل عام ينقد ظاهرة البخل من غير الإشارة إلى شخص بعينه وينقد من يحاول أن يطلب من البخيل ويصور البخيل والبخل بصورة مزرية مقيتة بغير شخص محدد .

2- بخل يتصل بأشخاص بأعينهم كأن يكونوا أصدقاء أو أقارب أو أناساً يمرون به صدفة في الحياة العامة .

3- بخل يتصل برجالات الدولة من خلفاء و وزراء و ولاة و قادة جيش و ممدوحين أثرياء ، يهجون بسبب عدم إعطاء المال أو قلة الهدايا ، ووضعت هذا النوع في الهجاء الشخصي لأن الشاعر ليس شخصية سياسية ولا يهجوهم بسبب سياسي بل بسبب شخصي وهو عدم الحصول على المال فمن النوع الاول : قول بشار بن برد في هجاء البخل وفي سخاء الناس وبخلهم .

(بحر الطويل)

(1) وما الناسُ إلاّ صاحباك فمنهمُ سخيٌّ ومغلولُ اليدينِ من البخلِ

(2) فسامح يداً ما أمكنتك فأنها تقلُ وتثري و العواذلُ في شغلِ[101]

إنّ الهجاء الخلقي أهم الضروب الهجائية وأخطرها ، إذ انه يتناول نواحي ذات اتصال متين بحياة الناس . حيث يقول الشاعر الناس قسمان : إما سخي أو بخيل ويكني عن البخل بغلة اليد إشارة إلى قوله تعالى : (ولا تبسط يدك كل البسط ولا تجعلها مغلولة إلى عنقك) . ويقول سامح في المال والتعامل ولا تخاف الفقر لان رزق الله يزيد أضعافاً ولا ينقص ؛ ويبقى العاذلون في اشتغال بعذلهم وحسدهم .

ومما قيل في البخل قول الشافعي بان الناس كلهم بخلاء وان الكرم لله سبحانه وتعالى وحده حيث قال قصيدة في الرضا بقضاء الله وقدر الله

(بحر الوافر)

ولا ترجُ السماحةَ منْ بخيل فما في النارِ للظمآنِ ماءُ [102]

إنّ أعمال الناس رزق وتوفيق وهداية من الله سبحانه وتعالى

وقال أبو العتاهية في ذم الحرص والبخل وجمع المال : (بحر المنسرح)

1- ما استعبدَ الحرصُ مَنْ له أدبٌ للمرء في الحرصِ همةٌ عجبُ

2- لله عقلُ الحريصِ كيفَ له في كلِ ما لا ينالهُ ، أربُ

3- مازال حرصُ الحريصِ يطعمه في دركهِ الشيء دونه الطلبُ

5- البغيُ والحرصُ والهوى فتنٌ لم ينج منها عجمٌ ولا عربُ [103]

في هذه القصيدة يذم الشاعر الحريص وهو البخيل الذي يقوى شرهه إلى الشيء ورغبته فيه ويمنعه عنه تمسكه وحرصه ، فالهجاء يقدم لنا هذه النماذج البشرية، ولا شك في ان هذه الصور البشرية الكالحة التي يعرفها هذا الهجاء تؤثر في الكثيرين من متلقيه تأثيراً معاكسا لما تثيره في النفوس من اشمئزاز ونفور ، فيسلكون مسلكا يجنبهم أن يكونوا هدفا للذم والانتقاص ، معتبرين بهؤلاء الذين تولاهم الشعراء بسهام الطعن والثلب .

ويفسر محمود الوراق البخل بأنه دليل على عدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، بل البخيل كافر فتراه يقول : (بحر البسيط)

مَــنْ ظَــنَ بــالله خــيرا جــادَ مبتــدئا والبخلُ من سوءِ ظَـنِ المرءِ بـاللهِ[104]

ويشير ديك الجن الحمصي إلى أنّ البخل طبيعة عند الإنسان فيقول:

(بحر الطويل)

1- وانــي بــريءٌ مــن أخــي وانتســابه إلـــي إذا ألفيـــتُ في طبعـــهِ بخـــلا

2- فــانْ لم تكــن بــالطبعِ نفســي كريمــةٌ وإنْ كَــرُمَ الآبــاء لم أره فضـــلا[105]

فالشاعر هنا يشير الى عدة نقاط :

1- الإخاء بين الناس بالصفات والطباع وليس النسب .

2- النسب لا يشفع للإنسان من غير صفات وأعمال الإنسان ومن ذلك قول الرسول(ص) (آتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم) .

3- البخل والكرم طبيعة لدى الإنسان لا يشاركه فيها غيره .

وتجد عبد الصمد بن المعذل يرد على العواذل الذين يدعون إلى استخدام البخل للحفاظ على المال واستخدام عذر البخل من عدم إعطاء الصدقة حيث يقول :

(بحر الرمل)

1- زعمـــت عـــاذلتي إنـــي لمـــا حفـــظَ البخـــلُ مـــن المـــالِ مُضـــيعُ

2- كلّفـــتني عـــذرةَ الباخـــلِ إذ طـــرقَ الطـــارقُ والنـــاسُ هجـــوعُ

3- لـــيس لـــي عـــذرٌ وعنـــدي بلغـــة إنمـــا العـــذرُ لمَـــنْ لا يســـتطيع[106]

ويقول دعبل الخزاعي في ذم البخل والمطل : (بحر الطويل)

فــان تجمــعْ الآفــات فالبخـــلُ شــرها وشرٌّ من البخلِ المواعيدُ والمطل[107]

ومن النوع الثاني : قول بشار بن برد يصف بخل شخص على الضيف :

(بحر البسيط)

1- أضيافُ عثمانٍ في خفضٍ وفي دعةٍ　　وفي عطاءٍ لعمري غيرُ ممنوعِ
2- وضيفُ عمروٍ وعمروٌ يسهرانِ معًا　　هذا لكظتهِ والضيفُ للجوعِ (108)

الشاعر هنا يقارن بين الكريم وضيفه وبين البخيل وضيفه ، فالكريم يحسن معاملة الضيف ويكرمه ، ويصور تعامل البخيل مع الضيف باستخدام عنصر السخرية المريرة فيقول إنّ الضيف وعمرواً يسهران ولكن عمرواً يسهر بسبب الكظة ، وهي (البطنة ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام)(109) والضيف يسهر بسبب جوعه فيتخيل القارئ بشاعة تعامل عمرو مع الضيف .

إنّ العطاء مكرمة قديمة ومفخرة أصيلة في النفوس العربية ، فالعربي يحرص كل الحرص على أن يذيع صيته ويطير ذكره من جهة الإغداق والكرم ، ومن اجل هذا ذموا البخل وشح اليد ، وعدوه رذيلة ما بعدها رذيلة ، وإذا كان كرم العربي مدح، فبخله سبة ومذمة .

ويذم عبد الصمد بن المعذل أخاه احمد بن المعذل على بخله الشديد الذي لم يرزقه الله سبحانه وتعالى بان يجعله سببا لفائدة الآخرين حيث يقول :

(مجزوء الخفيف)

1- لي أخٌ لا يرى له　　سائلٌ غيرُ عاتبِ *1
2- أجمعَ الناسُ كلهم　　للئيمِ المذاهبِ *2
3- دونَ معروفِ كفهِ　　لمسُ بعضِ الكواكبِ
4- وتراخي مصيبتي　　فيه إحدى المصائبِ
5- ليتَ لي منكَ يا أخي　　جارةٌ مِنْ مُحاربِ *3
6- نارها كلُ شتوةٍ　　مثلُ نارِ الحباحبِ *4 (110)

*1 (يروى صاحب غير عاتب) . *2 (يروى للئام المناقب) . *3 (جارة من محارب : هي جارة القطامي) . *4 (نار الحباحب : استخدمت للنار التي لا يستفاد

منها ، الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج ، الحباحب : رجل من أحياء العرب وكان بخيلا لا يوقد ناره بليل كراهية ان يراها راءٍ فينتفع بضوئها فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقدها ثم بصر بمستضيء بها أطفأها فضرب العرب بناره المثل وذكروها عند كل نار لا ينتفع بها . مع أنّ القصيدة لا تخلو من التجاوز الديني .

ومن طريف الهجاء يخرج بها لنا شعراء الهجاء بان البخلاء يتهالكون على طعام الآخرين حيث يقول دعبل الخزاعي ؛ حين أجرى المأمون على احمد بن أبي خالد ألف درهم في اليوم ليكف عن قبول الأطعمة والهدايا حيث يقول :

(بحر المتقارب)

1- شكونا الخليفةَ إجراءهُ ... على (ابن أبي خالدٍ) نزلهْ

2- فكفّ أذاهُ عنِ المسلمينَ ... وصيرَ في بيتهِ أكلهُ

3- وقد كان يقسمُ أشغالهُ ... فصيرَ في نفسهِ شغله،[111]

ويهجو دعبل احد جيرانه البخلاء ويسمى (زور) : (بحر الوافر)

1- أرى منا قريباً بيتُ (زورٍ) ... و (زورٌ) لا يزورُ ولا يُزارُ !

2- ولا يهدي ولا يُهدى إليهِ ... وليسَ كذاكَ في العربِ الجوارُ [112]

والنوع الثالث : ويقسم على : الخلفاء ؛ الوزراء ؛ الولاة ؛ القادة العسكريين.

لقد قال الشعراء بهجاء البخل لدى الخلفاء واسر وأولاد الخلفاء حيث قال بشار يهجو آل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[113] : (بحر البسيط)

1- يا أيها الراكبُ الغادي لطيته ... لا تطلب الخبزَ بين الكلبِ والحوتِ

2- دينارُ آلُ سليمان ودرهمهم ... كالبابليينَ حفا بالعفاريتِ

3- لا يوجدانِ ولا يرجى لقاؤهما ... كما سمعتَ بهاروتٍ وماروتِ

هنا يعتمد الشاعر (عنصر المبالغة التي تعتمد الخيال ، ولا تصل إلى حد السخف، بل لا تقرب منه قط) (114) وهو في هجاء إحدى اسر العباسيين بالبخل يكني عن المال بالخبز ويكني عن الحيوانات المفترسة ذوات الأسنان الحادة القاطعة ببخل المهجو وحرصه على ماله ويردف ويقول ان دنانيرهم ودراهمهم لشدة حرصهم عليها محاطة بالعفاريت كما هو لدى البابليين ؛ بل إنّ أموالهم لشدة ذهاب نفوسهم عليها لا يرجى الحصول عليها لأنها نقمة .

والشعراء كذلك يهجون الوزراء وأولادهم بالبخل ويقول ابو نواس

(بحر الطويل)

1- لعمرك ما العباسُ من ولدِ الفضلِ   فيرجى لفضلٍ أو يعينُ على بذلِ

2- فتى كلما ناديتهُ للمةٍ   دعوتَ مثالاً لا يمرُ ولا يحلي

3- وكيفَ يُرجى الفضل مِمَنْ خلافه   تراثٌ لفضلٍ والربيعُ أبو الفضلِ (115)

وقد اتخذ الشعراء من رذيلة البخل مادة غنية لاهاجيهم ، فراحوا يرمون بها مهجويهم بالحق والباطل ، فكثيرا ما يريد الشاعر مالا أكثر من الممدوح فينقلب ذاما مشهرا ، فيرميه بالسقوط والشين ، ويقذفه بكل رذيلة ويصمه بكل عيب . والشاعر هنا يستخدم عنصر الواقعية فيربط بين المهجو وأبيه وجده وبين فصول الخريف والصيف والربيع فيقول كيف ترجو الخير من فصل الخريف المجدب ويقصد المهجو وبين فصلي الصيف والربيع ويقصد أبا المهجو وجده.

ومما قاله الشعراء في هجاء الولاة بقلة المال مقابل المدح وبخلهم بالمال ؛ فقد قال بكر بن النطاح في مالك بن طوق عند ما مدحه ولم يعطه المال الكافي فقال يهجوه :

(بحر المتقارب) (116)

1- فليتَ جدا مالكَ كلهُ   وما يرتجى منه مِنْ مطلبِ

2- أصبتَ بأضعافِ إضعافهُ   ولم أنتجعهُ ولم أرغبِ

3- أساتُ إختياري منك الثوابُ   لي الذنبُ جهلاً ولم تذنبِ

إنّ الشاعر قد تجاوز الحدود لان الطلب من الله سبحانه وتعالى والعطاء من الله سبحانه وتعالى واضح أنّ إعطاء المال وحده هو العامل المحرك للشاعر نحو المدح أو نحو الذم .

وقال الشعراء في هجاء القادة العسكريين حيث قال دعبل يهجو أبا نصر بن حميد الطوسي بعد أن مدحه فلم يعطه المال الكافي :   (بحر البسيط)

1- (أبا نصيرٍ) تحلحل عن مجالسِنا   فانّ فيكَ لَمنْ جاراكَ مُنتقصا
2- أنتَ الحمارُ حرونا إنْ رفقتَ به   وإن قصدتَ إلى معروفه قمصا
3- إني هززتك لا آلوك مجتهداً   لو كنت سيفا ، ولكني هززت عصا [117]

يقول للمهجو : ابتعد عن مجالسنا فأنت كالدابة التي تمتنع عن الحركة ويكني بذلك عن النفور والإعراض وانك لا نفع بك كالعصا وليس سيفا يقاتل الشجاع به الأعداء ؛ ويكني بالسيف عن الذب والدفاع .

لقد لقي البخلاء من الشعراء كل ما يكرهون من هجاء مر وطعن مؤلم في تناولهم لعادة البخل ، وربما بالغوا في ذلك وأسرفوا ؛ وليست هذه المبالغة وهذا الإسراف إلا طريقة يتبعها الشعراء للنيل من أهل المطل ، ولا شك في أنّ الهجاء المتزن المدعوم بالصورة الطريفة ابلغ غاية وانجح وسيلة من السباب والقذف ؛ هذا من جانب .

ومن جانب آخر ؛ لقد كان البخل وما يزال صفة ذميمة وعادة كريهة ، ويبدو ان الشعراء عملوا ما استطاعوا لمحاربة هذه الصفة بشعرهم للحد من سريانها في مجتمعهم ولكن نلوم الشعراء لأنهم يهجون ما كانوا يمدحون .

من المعايب الخلقية والنفسية التي هجا بها الشعراء هي (الجبن) : وإذا كانت الشجاعة فضيلة أثيرة في النفس العربية طالما تغنى بها الشعراء على مر الزمن ، فان

الجبن وما إليه من هزيمة وفرار رذيلة تلبس صاحبها العار والضعة والهوان . وكثيرا ما ردد الشعراء هذا المعنى في معرض أهاجيهم للنيل من المهجويين والحط من موقعهم الاجتماعي .

وممن هجا بالجبن الشاعر دعبل الخزاعي يهجو المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي يهجوه ساخرا من هزيمته في معركة : (بحر المتقارب)

1- تنوطُ (مصر) بك المخزيات ... وتبصقُ في وجهك (الموصلُ)
2- ويومَ الشراةِ تحسيتها ... يطيبُ لدى مثلها الحنظلُ
3- توليتَ ركضا وفتياننا ... صدور القنا فيهم تعسلُ
4- إذا الحربُ كنت أميراً لها ... فحظهم منك أن يقتلوا
5- فمِنك الرؤوسُ غداةَ اللقاءِ ... ومِمَنْ يُحارُ بكَ المنصلُ
6- شعاركَ في الحربِ يوم الوغى ... إذا انهزموا ! عجلوا عجلوا !
7- هزائمكَ الغرُّ مشهورةٌ ... يقرطسُ فيهن مَنْ ينصلُ
8- فأنتَ لأولهم آخرٌ ... وأنتَ لآخرهم أولُ (118)

الشاعر هنا يهجو الوالي بالجبن في المعركة ويعيره بان موقعه الخلفي في المعركة والجند صدور القنا وهو عكس صفات القائد العسكري الذي يكون على رأس الجيش ، ويردف ان مصير الجيش الذي يقوده الخسارة وان جيشه لا يفتأ يقدم الخسارة البشرية وان الجيش المقابل منه السيوف وان شعاره في سوح الوغى يقول للجيش الهارب عجلوا بالهرب وان هزائمه مشهورة عكس القائد الذي انتصاراته مشهورة ويقول بأنه لا يكون في مقدمة الجيش بل هو آخر الواصلين إلى ساحة القتال وأول المنهزمين من ساحة القتال .

إذا كانت الحياة القبلية قد خلفت لنا قديما صفحات من هذا اللون (هجاء الجبن) على مستوى الأفراد والقبائل ، فان ضعف هذه الحياة في العصر العباسي أدى

إلى ضيق دائرته في المنحى القبلي واتساعه في منحى آخر ، هو هجاء الولاة وقادة الجيش.

وهناك هجاء الجبن لغير القادة والولاة كهجو النفس بالجبن [119] وكذلك هجاء الجبن عامة فتجد الشاعر الخريمي يعطي صورة جميلة مقارنة بين الجبان والشجاع فيقول :

(بحر الطويل)

يفرُ جبانُ القوم ِعن عرسِ نفسه ويحمي شجاعُ القوم ِمَنْ لا يُناسبه[120]

فالشاعر هنا يعطي صورة واقعية مريرة عن ارتباط الجبن بذهاب المروءة والشرف فالجبان لا يحمي حتى أبيه وأمه وزوجته وهو بذلك فقد إنسانيته وأرومته وصار عبدا ذليلا حقيرا وبعكسه الشجاع يتصدى للدفاع عن كل من يعتدي عليه ويحمي حتى الإنسان الذي لا يعرفه .

من المعايب الخلقية والنفسية التي هجا بها الشعراء هي (الحسد) :

ويعرف الجاحظ الحسد بأنه ((عقيد الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، وحرب البيان))[121] .

والحسد داء قاتل لا يلقى منه صاحبه غير الأذى والعذاب النفسي وسوء العشرة مع الآخرين . ومن هنا ذم الحسود واستقبحت صحبته وتناوله الشعراء بما يشينه ويعيبه .

والحسد ظاهرة شخصية يكون صفة لدى الحسود بسبب عدم الايمان بالله سبحانه وتعالى . والشعر الذي يتناول الحسد ورد لدى شعراء العصر على شكلين:

1- أما قصائد مستقلة بذاتها تتناول هذا العيب .

2- أو مع الأغراض الأخرى عندما يصفون الحاسد العاذل .

فمن النوع الأول : قول بشار بن برد في الفخر بنفسه بأنه محسود وفي عذر حساده والدعاء لنفسه وعليهم : (بحر البسيط)

1- إنْ يحسدوني فاني غير لائمهم   قبلي مِنَ الناسِ أهلُ الفضلِ قد حُسدوا
2- أنا الذي وجدوني في حلوقهم   لا أرتقي صُعدا منها وازدردُ
3- وما أؤملُ من أمرٍ يسوءهمُ   إلا وعندي لهم من مثلهِ مددُ [122]

ويرى السيد الحميري أنّ الحسد يزداد بمعرفة خصال المحسود يقول معرضا بحساده :

(بحر البسيط)

1- وعصبةٍ فتشت عني وعن حسبي   فزادها حسداً بحثٌ وتفتيشُ
2- يخفي على أغبياءِ الناسِ معرفتي   أني النهارُ وهم فيه الخفافيشُ [123]

والجاحظ يوضح ذلك بقول أحد الأعراب : ((ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد؛ نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم)) [124] .

ويرى الشافعي ان الحاسد لا يمكن مصداقته ولا يمكن التعامل معه بحذر بل يجب عدم التعامل معه ؛ يقول :   (بحر الطويل)

1- وداريتُ كلّ الناس لكنْ حاسدي   مداراتهُ عزتْ وعزّ منالها
2- وكيفَ يُداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ   إذا كان لا يرضيهِ إلا زوالها [125]

فالشاعر هنا يحلل الحسد تحليلا نفسيا ويعزل الحسود عن دائرة المجتمع فالحسود إنسان مريض نفسيا ويجب على الفرد المؤمن بالله تعالى نبذ الحسود والابتعاد عنه لأنه مريض يجب مقاطعته .

ويأتي محمود الوراق ليذم الصديق الحاسد [126]:   (مجزوء الكامل)

1- لا تحسدنّ أخاكَ ور   ع له على الأيامِ عهده
2- حسدُ الصديقِ صديقهُ   وأخاهُ مِنْ سُقمِ المودة

قصيدة الشاعر رسالة مركزه تحمل معاني دينية لتشمل المجتمع لان الدين الإسلامي الحنيف يدعو إلى الإخاء والصداقة والمودة والقبول الحسن لدى كل أفراد المجتمع ،

وفي سبيل تجنب الأذى الاجتماعي فأن الجاحظ يوصي بالإقلال من مخالطة الصديق الحاسد ، وان يتنبه الإنسان إلى مخاطر هؤلاء الجماعة ما أمكن ذلك وتجنب اصطناع هؤلاء الناس ، ويرى أنّ من نتاج الحسد وعلامته ما يدل عليه الحقد ، ولذا فأنه يقول: ((والغل نتاج الحسد ، وهو رضيعه ، وغصن من أغصانه ، وعون من أعوانه))[1].

ودعبل الخزاعي يصف الحسود بالمنافق : (بحر الطويل)

1. وذي حسدٍ يغتابني حين لا يرى — مكاني ، ويثني صالحاً حينَ أرجعُ
2. تورعتُ أن اغتابهُ من ورائه — وما هو إن يغتابني متورعُ
3. ويضحكُ في وجهي إذا ما لقيته — ويهمزني بالغيبِ سراً ويلسعُ
4. ملأتُ عليه الارضَ حتى كأنما — يضيقُ عليه رحبها حين أطلعُ[2]

فالشاعر يعطي وصفاً للحسود هي أوصاف المنافق الذي يظهر خلاف ما يعلن وهي التفاتة نفسية لأنه لو أراد أن يظهر حسده بشكل معلن نبذه المجتمع.

أما النوع الآخر في تناول الحسد: يقول بشار في عشيقته عبده ثم يذكر العاذلين والحاسدين (بحر الوافر)

تراختْ في النعيمِ فلم تنلها — حواسدُ أعينِ الزرقِ القباحُ[3]

فالشاعر يربط بين الحاسدين وبين زرقة العيون والوجوه القبيحة فهو يستخدم عنصر السخرية في رسم الحاسد وصفاً نفسياً تصور وجهاً قبيحاً ذو عينين زرقاوتين فهو يرسم منظراً قبيحاً لنوايا الحاسد وزرقة العيون وكان مشهورٌ لدى العرب بأن أصحاب العيون الزرقاء يحسدون .

من المعايب الخلقية والنفسية التي هجا بها الشعراء هي (الكذب والنفاق والرياء) حيث كانت الجوانب الخلقية لدى الناس موضوعاً واسعاً في الهجاء . فلقد عاب الهجاؤون هؤلاء المهجوين ما يتصفون به من الخلال البذيئة وكل ما يتصل

بالسلوك السيء والخلق الذميم ؛ وكأن الشعراء أرادوا في هذا اللون الهجائي أن يعالجوا جانباً تربوياً في مجتمعهم فراحوا ينتقصون هذه الجوانب المعيبة المذمومة التي تحط من الأفراد والمجتمع على حد سواء .

قد قال الشاعر بشار بن برد في (كاذب) : (مجزوء الكامل)

1- لــي حيلــةٌ في مَـنْ يـنمُ وليـس في الكـذابِ حيلـه

2- مَـنْ كـان يخلـقُ مـايقولُ فحـيلتي فيـه قليلـه[127].

بشار مع إستخدامه ألفاظ بعيدة عن الدين ولكنه يريد أن يقول إنّ النميمة مرض وان الكذب والكذابين داء في المجتمع لان لايمكن التعامل معهم ومعرفة حقهم من باطلهم . ويشير الشعراء إلى الكذب والنفاق في المديح والشعراء ينقدون ويهجون أنفسهم كذلك يقول بكر بن النطاح (بحر الكامل)

إنـي إمتـدحكَ كاذبـاً فـأثبتني لما إمتدحتك مايثابُ الكاذبُ [128]

يقول بكر بن النطاح إنّ الخليفة أو الوالي يعرف كذب ونفاق الشاعر ولكنه يريد ذلك .

وتكلم الشعراء عن(النفاق وتلون المجتمع)فنجد بشاراً يقول[129]: (بحر الطويل)

1- تـوقَ النـاس يـا بـأبي وأمـي فهـم تبـعُ المخافـةِ والرجـاءِ

2- ألم تـرَ مظهـرينَ علـيّ عتبـاً وكـانوا إخـوتي عنـد الصـفاءِ

3- بليـتُ بنكبـةٍ فغـدوا وراحـوا علـيّ أشـد أسـبابِ الـبلاءِ

4- أبـت أفكـارهم أن ينصـروني بمـالٍ أو بجـاهٍ أو بـراءِ

5- وخـافوا أن يقـال لهـم خـذلتم صـديقا فـادعوا قـدمَ الجفـاءِ

ويشير الشعراء إلى أنّ هذا النفاق والتلون الاجتماعي غايته تخريب العلاقات الاجتماعية كقول : العباس بن الأحنف : [130] (بحر المنسرح)

1- يـا لعبُ لـو كنـتِ تفهمـينَ لحـ دّثتـكِ مـا كـانَ هـيّجَ الغضـبا

2- إنّ الـــتي أرســـلتكَ شـــافعةً   تســـيء ظنّـــاً وتقبـــلُ الكـــذبا
3- تقبـــلْ مـــنْ معشِـــر يســـرهمُ   لـــو أنّ حبلـــي مـــن حبلـــها انقضـــبا

وكذلك قال الشعراء في النفاق والتنسك المبطن حيث يقول الشافعي[131]:

(بحر الكامل)

ودع الـــذين إذا أتـــوكَ تنســـكوا   وإذا خلـــوفهم ذئـــابُ خـــرافِ

يقول الشاعر إنّ هناك أناساً يمارسون التنسك المبطن وإذا ابتعدوا عن الأنظار كانوا كذئاب الخراف كناية عن غدرها فهي تعبث فسادا بكل مايقع أمامها الصغير قبل الكبير .

وقال الشعراء في هجاء قلة الوفاء والإخاء ، حيث قال بشار يصف إخوته :

(بحر المنسرح)

1- قد ألبسَ العيشُ ذا الرقاعِ ولا   ألـــبسَ ثـــوبَ الإخـــاءِ مُنخرقـــا
2-أصبحتُ مثلَ الســرابِ يــدنو فــلا   يوجــدُ شــيئاً وإن نــأى خفقــا [132]

يشبه الشاعر نفسه وبحثه عن الإخوة كالذي يقترب من السراب فيظنه ماءا ، فإذا ابتعد عنه ارتفع عن وجه الأرض وأصبح بعيد المنال حتى في النظر .

ويقول أبو الشيص الخزاعي في قلة الوفاء عند الأصدقاء :

(بحر المنسرح)

وصـــاحبٍ كـــانَ لـــي وكنـــتُ لـــه   أشـــفقُ مـــن والـــدٍ علـــى ولـــدِ
كنـــا كســـاقٍ يمشـــي بهـــا قـــدمٌ   أو كـــذراعٍ نيطـــت إلى عضـــدِ
حتـــى إذا دانـــت الحـــوادثُ مـــن   خطـــوي وحـــلّ الزمـــانُ مـــن عقـــدي
إحـــول عنّـــي وكـــان ينظـــر مـــن   عـــيني ويرمـــي بســـاعدي ويـــدي

وكـــانَ لـــي مؤنســـاً وكنـــتُ لـــه ... لـــيس بنـــا حاجـــة إلى أحـــدِ
حتـــى إذا اســـترفدتُ يـــدي يـــده ... كنـــتُ كمســـترفِد يـــدِ الأســـدِ(133)

ويقول الشافعي في قلة الإخوان عند الشدائد : (بحر الطويل)

ولما أتيتُ النـاسَ أطلـبُ عنـدهم ... أخـا ثقـةٍ عنـد إبـتلاءِ الشـدائدِ
تقلبـتُ في دهـري رخـاءً وشـدةً ... وناديتُ في الأحياءِ هـل مِـنْ مسـاعدِ
فلم أرَ فيما سـاءني غـيرُ شـامتٍ ... ولم أرَ فيمـا سـرني غـيرُ حاسـد(134)

وقال الشاعر أبو العتاهية في قلة الإخوان ويذم صعوبة الإخوان وعدم تسامحهم وعجرفتهم وعدم الثقة بهم : (بحر المضارع)

أحـبُ مـن الإخـوانِ كـلّ مـؤاتِ ... وفيٌّ يغـضُ الطـرفَ عـن عثراتـي
ومَنْ لـي بهـذا ليـتَ أنـي أصبتهُ ... فقاسمتـهُ مـالي مـنَ الحسـناتِ
تصـفحتُ إخـواني فكـانَ أقلـهم ... على كثرةِ الإخـوانِ أهـلُ ثقـاتِ(135)

وقال عبد الصمد بن المعذل في ابن أخيه احمد بن المعذل : (بحر البسيط)

لو كان يعطى المنى الأعمـامُ في ابـنِ أخٍ ... أصـبحتُ في جـوف قرقـورٍ إلى الصـينِ
قـد كـان همـاً طـويلاً لا يقـامُ لـه ... لـو كـان رؤيتنـا إيـاكَ في الحـينِ
فكيـفَ بالصـبرِ إذا أصـبحتَ أكثـرَ في ... مجـالِ أعيننـا مـن رمـلِ (يـبرين)*
يـا أبغـضَ النـاسِ في عسـرٍ وميسـرةٍ ... وأقـذرَ النـاسِ في دنيـا وفي ديـنِ
تيـهُ الملـوكِ إذا فلـسٌ ظفـرتَ بـهِ ... وحـينَ تفقـده ذلُ المسـاكين(136)

يهجو الشاعر ابن أخيه لبعده عن الإخاء والوفاء ولتكبره في العسر واليسر .

وقال ابو نواس في قلة وفاء الأصدقاء وعدم رزق الله لهم بتمشية الأمور وانجاز المعاملات : (بحر الرجز)

وأخٌ إن جاءني في حاجةٍ ... كان بالانجازِ مني واثقا
وإذا فاجأتهُ في مثلها ... كانَ بالردِ بصيراً حاذقا[137]

ومن العيوب الخلقية (الجهل) ويقول دعبل الخزاعي في ذم الجهل والجهال (بحر الكامل)

1. العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العلا ... والجهلُ يقعدُ بالفتى المنسوبِ
2. وإذا الفتى نالَ العلومَ بفهمهِ ... وأعينَ بالتشذيبِ والتهذيبِ
3. جرت الأمورُ له فبرزَ سابقا ... في كلِ محضرِ مشهدٍ ومغيب[138]

إنّ نيل العلم وغير العلم رزق من الله سبحانه وتعالى .

وقال محمود الوراق في المقارنة بين الجاهل والعاقل : (بحر الخفيف)

1. ليس شيءٌ ،مما يدبره العا ... قل إلا وفيه شيءٌ يريبه
2. فأخو العقلِ ممسكٌ يتوقى ... ويخافُ الدخولَ فيما يعيبه
3. واخو الجهلِ لايقدرُ في الام ... ر وان أشكلت عليه ضروبه
4. راكبٌ ردعهُ[139] كحاطبِ ليلٍ ... يخطئ الأمرَ كله أو يصيبه
5. تتأتى له الأمورُ على الجه ... ل إذا ما أرادها وتجيبه
6. وأخو العقلِ بعدُ ينتجُ الرأ ... ي فيرضى ومرةً يستريبه[140]

ومما قيل في هجاء الجاهل قول بشار بن برد : (بحر الطويل)

1. إذا اعتذر الجاني اليّ عذرتهُ ... ولاسيما إن لم يكنْ قد تعمدا
2. فمَنْ عاتبَ الجهالَ أتعبَ نفسهُ ... ومَنْ لام مَنْ لايعرفُ اللومَ أفسدا[141]

فالشاعر يدعو إلى التسامح في التعامل ويبين حقيقة اجتماعية فالجاهل بالأخلاق والشرف والعلم لا يستعتب لأنه لايعرف مقاييس المجتمع وأصول التعامل.

ويبين الشاعر الحسين بن مطير الاسدي أنّ الإنسان الحليم لا يمكن ان يتعامل مع الجاهل لأن الأول يمتاز بالعقل والأناة والأستحياء والتحسس النفسي في حين أنّ الثاني يمتاز بعكس صفاته فيقول :[142] (بحر الطويل)

1- يضعّفني حلمي وكثرةُ جهلهم ... عليّ وإني لا أصولُ بجاهلِ

2- دفعتكم عني وما دفعُ راحةٍ ... بشيءٍ إذا لم تستعنْ بالأناملِ

فهو لا يستطيع التعامل معهم لان لغة العقل هي قليلة السيرورة في المجتمع .

ومن المعايب الخلقية هي (الحمق)، حيث قال دعبل الخزاعي في الصاحب الأحمق .

(بحر السريع)

1. عداوةُ العاقلِ خيرٌ إذا ... حصلتها من خلةِ الأحمقِ

2. لانّ ذا العقل إذا لم يزعْ ... عن حلمهِ، آستحيا فلم يخرقَ

3. ولن ترى الأحمقَ يبقِ على ... دينٍ ولا وُدٌّ ولا يتقي[143]

فالأحمق يتخلى عن كل القيم ومن اجل أتفه الأشياء ، لأنه لا توجد في نفسه قيمة لشيء ولكني لا أوافق الشاعر فالعدو عدو ويجب مجابهته والحيطة منه

ولقد هجا الشعراء (الثقل) حيث قال بشار بن برد في ثقيل : (بحر الخفيف)

1. ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا ... نَ خفيفاً في كفةِ الميزانِ

2. ولقد قلتُ حين وتدَ في الار ... ضِ ثقيل أربى على ثهلانَ

3. كيفُ لا تحمل الأمانةَ أرضٌ ... حملت فوقها أبا سفيانِ[144]

وخلاصة القول : إنّ أكثر الشعراء استخلصوا من خلال حياتهم إنّ هذه الرذائل وأمثالها تشين أصحابها والمتخلقين بها ، ولذلك كانت موضع هجائهم ، ولكن بشيء

من هدوء الأسلوب لان الغاية هنا اقرب إلى الكشف عن المثالب والنواقص في الإنسان منها إلى التشهير ، نعم إنّ بعض الشعراء اتخذوها مثلبة للانتقاص والتحقير ، ولكن أكثرهم أرادوا أن يعالجوا جانبا تربويا في مجتمعهم فراحوا ينتقصون هذه الجوانب المعيبة المذمومة التي تحط من الأفراد والمجتمع على حد سواء .

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1. تأثر العرب في مثلهم العليا ببيئتهم الصحراوية ولذلك جعلوا الشجاعة والبطولة من محامد الرجال وليس في جزيرة العرب قبل الإسلام قانون يعاقب الغاصب بل كانوا يحترمونه ويلام الضعيف في نظرهم .
2. عند نشوء الدولة الإسلامية وانفتاحها على الأمم ظل العربي يلجأ إلى العصبية والقبيلة ، واحتقر العربي أصحاب الزراعة والصناعة والتجارة ونظروا إليهم كما ينظرون إلى وادع خائف مستقر لايسعى إلى مغامرة ولايخوض في زحام وبهذا مدحوا الشجاع البطل وذموا الخائف الجبان . وكانوا يهجون العربي بالضعف والخور والكذب واحتراف المهن الحقيرة.
3. إنّ كثيرا من معاني الهجاء الشخصي في العصر ظل تقليديا ألفناه في الهجاء القديم ، فكل مايهجى به العربي كان راجعا إلى الضعف والخور وخمول النسب والبخل والفقر والجبن والقعود عن الغزو وعن الثأر وقبول الدية وعدم حماية الجار والتخلص إلى النساء في السلم والحرب والاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة . وهذه المعاني في الهجاء القديم ظلت في هجاء العصور الأخرى ، فكثير من هذه المعاني يبقى في نظر المجتمعات عيوبا ورذائل تكسب الأفراد والجماعات العار والصغار ، ومع الأخذ بالحسبان اثر الحياة الحضرية في إضعاف دائرة بعض هذه العيوب .
4. لا يختلف اثنان في أنّ الإنسان بفضائله النفسية قبل محاسنه الخلقية فـ ((المرء بأصغريه قلبه ولسانه)) ، وقد جعل قدامة بن جعفر الفضائل النفسية أربعا

هي : العقل والعفة والعدل والشجاعة . ويؤكد العسكــري ابلغ الهجاء مـا يكون بسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقـل وما يجري مجرى ذلك والاختيار أن ينسب المهجو إلى اللؤم والبخـل والشـره وما أشبه ذلك

5. هجاء المعايب الخلقية والنفسية يتنكب عن الألفاظ البذيئـة أو الصـور الـدعرة ويستخدم التحليل النفسي الذي يظهر المهجـو بصـورة تخـالف تمـام المخالفـة الصورة التي ينبغي أن يكون عليها .

كانت الجوانب الخلقية لدى النـاس موضـوعا واسـعا في هجـاء العصـر فلقـد عـاب الهجاؤون في هؤلاء المهجويين ما يتصفون به من رياء وحسد وحمـق وكـل مـا يتصـل بالسلوك السيء والخلق الـذميم ، وكـأن الشـعراء أرادوا في هـذا اللـون الهجـائي أنْ يعالجوا جانبا تربويا في مجتمعهم فراحوا ينتقصون هذه الجوانب المعيبـة المذمومـة الـتي تحط من الأفراد والمجتمع على حد سواء . وإذا كان هذا الضرب مـن الهجـاء لا يخلـو من المبالغة والإسراف فان فيه مع كـل هـذا توجيهـا تربويـا غـير مباشـر للآخـرين ، يدفعهم إلى التخلص من مثل هذه العيوب التي تُحقّرهم في أنظار غيرهم .

الهوامش

(1) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ، ص162 .
(2) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ص269 .
(3) ينظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص95 .
(4) الهجاء ، سامي الدهان ، ص43 .
(5) الهجاء الجاهلي ، صوره وأساليبه الفنية ، ص162 .
(6) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ص95 .
(7) فصول في الشعر ونقده شوقي ضيف ص183 .
(8) ينظر : طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط4 ، مطابع دار المعارف ، مصر ، 1956م .
(9) نقد الشعر ، ص318 .
(10) المصدر نفسه ، ص319.
(11) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، 1952 ، ص104 .
(12) ديوان المعاني ، ج1 ، ص202 .
(13) العمدة ج2 ص174 .
(14) الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن أبي فرج البصري ، مطبعة مجلس دار المعارف ، 1964 م ، ج1 ص3 .
(15) سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، تحقيق علي فودة ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1932 م ، ص250 .
(16) العمدة ج2 ص135 .
(17) سر الفصاحة ص250 .
(18) ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق احمد مطلوب ، عبد الله الجبوري ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ق3 ص81 – ص82
(19) الأدب العربي في العصر العباسي ، الدكتور ناظم رشيد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل – العراق ، 1989 م ، ص32 .
(20) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، نشر وتقديم الدكتور جميل سعيد ، مطبعة نهضة مصر الفجالة – مصر ، 1949 ، ق 65 ص42
(21) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص165 .

(22) ديوان محمود بن حسن الوراق ، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي ، ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ، بغداد 1969 ، ق5 ص35.
(23) المصدر السابق نفسه ، ق142 ، ص112 .
(24) ديوان الزيات ، ق147 ، ص89 .
(25) ديوان عبد الصمد بن المعذل ، تحقيق وتقديم الدكتور زهير غازي زاهد ، ط1 ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1998 ، ق158 ص191 .
(26) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص461 .
(27) ديوان الزيات ق66 ص42 .
(28) الهجاء عند ابن الرومي ص328 .
(29) المصدر السابق نفسه ص 331.
(30) شعر دعبل بن علي الخزاعي ، صنعة عبد الكريم الأشتر ، مطبوعة المجمع العلمي العربي دمشق ، سوريا ، 1964 م ، ق41 ص314 ، ق53 ص324 .
(31) الهجاء ، سامي الدهان ، ص27 .
(32) تاريخ الأدب العربي : العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ص169 .
(33) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق21 ص89 .
(34) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص463 .
(35) ديوان أبي نواس ، دار مكتبة الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد – العراق ،ق270 ، ص146 .
(36) ديوان أبي تمام الطائي ، م2 ق21 ص217 .
(37) ديوان مروان بن أبي حفصة ، تحقيق : حسين عطوان ، نشر دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ق38 ص59 . ديوان أبي نواس ق351 ص182 ، ديوان محمود الوراق ق101 ص88 ، ديوان أبي تمام ق87 ص267 ، ديوان عبد الصمد بن المعذل ق128 ص170 ، ديوان أبي يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي ، جمع وتحقيق د. علي جواد الطاهر ومحمد جابر المعيبد ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ، 1971 م ، ق32 ص46 ، ديوان دعبل ، ق117 ص126 ، ديوان الحسين بن الضحاك ، جمع و تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط في مجلة شعر بيروت 1960 ، ق74 ، ص69 ، ق15 ص29 .
(38) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص461 .
(39) ديوان أبي نواس ، ق63 ، ص111 ، ديوان أبي تمام ، ق51 ، ص238 .
(40) الهجاء عند ابن الرومي ، ص127 .

(41) ديوان دعبل الخزاعي ، ق37 ، ص311 .
(42) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص463 .
(43) ينظر ديوان بشار بن برد ، ق275 ص386 ، ديوان دعبل ق 56 ص87 .
(44) ديوان ديك الجن الحمصي ، ق23 ص162 .
(45) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ص338 .
(46) ديوان عبد الصمد بن المعذل ، ق19 ،ص88 .
(47) ديوان دعبل الخزاعي، ق 64 ، ص333 .
(48) الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم ، ص766 .
(49)ديوان أبي تمام الطائي م2ق41 ص 233 ، وينظر ديوان بشار بن برد ق92 ص140 ، ديوان أبي نواس ق517 ص267 ، ديوان دعبل ق99 ، ص113 ، ديوان علي بن الجهم ق35 ص86 .
(50) الهجاء عند ابن الرومي ص127 .
(51) ديوان السيد الحميري ، تقديم نواف الجراح ، ط1 ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1999 م ق40 ص53 ، وينظر ديوان ابي نواس ق62 ص42، ديوان الزيات ، ق138 ، ص84 ، ديوان دعبل ، ق159 ص158 ، ديوان الضحاك ، ق104 ، ص94 .
(52) ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص460 .
(53) الهجاء ، سامي الدهان ، ص13 .
(54) ينظر :تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، أحمد محمد الحوفي ، مطبعة نهضة مصر ص148 .
(55) ينظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص19- ص20 .
(56) الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام ، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة – مصر ، 1948م ، ص82 .
(57) الموجز في الأدب العربي وتأريخه ، الأدب المولد ، حنا الفاخوري ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت، 1985م ، ج2 ، ص291 .
(58) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ج2 ، ص738 .
(59) معجم الأدباء ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط2 ، مطبعة هندية بالموسكي 1923م ، ج11 ص101 – ص102 .
(60) ينظر الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ج2 ، ص213 .
(61) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ج2 ، ص686 .
(62) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص247 .

(63) ديوان بشار بن برد ، ق57 ،ص87 – ص88 .
(64) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط2 دار المعارف ، مصر 1968م ، ج1 ص6 .
(65) ديوان بشار بن برد ، ق33 ، ص58 .
(66) تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، ص289 .
(67) ديوان السيد الحميري ق29 ص45 ، وينظر ديوان مروان بن ابي حفصة ق5 ص284 ، ديوان دعبل ق5 ص284 .
(68) ديوان السيد الحميري ، شرح القصيدة 29 ص45 .
(69)الأدب العربي أيهم القيسي ص19
(70) ديوان دعبل الخزاعي ق183 ص176.
(71) ديوان ديك الجن الحمصي ق56 ص182 ، وينظر ديوان أبي نواس ق132 ص72 ، ديوان أبي تمام باب الهجاء م2 ق76 ص260 ، ديوان الحسين بن الضحاك ق71 ص68 .
(72) ديوان أبي تمام ، م2 باب الهجاء ، ق51 ، ص238 .
(73) تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، ص486 .
(74) ديوان عبد الصمد بن المعذل ، ق147 ص182 ، وينظر ديوان أبي تمام ، م2 باب الهجاء ق85 ص266 .
(75) ينظر شرح القصيدة في ديوان عبد الصمد بن المعذل ص182 .
(76) ديوان بشار بن برد ق87 ص135 .
(77) تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، ص375 .
(78) ديوان بشار ، ق119 ، ص173 ، وينظر ديوان أبي تمام ، م2 ق39 ، ص231.
(79) ديوان دعبل الخزاعي ، ق54 ، ص86.
(80) ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، ط3 ، دار صادر ، بيروت – لبنان 1996 ، ق135 ، ص187 .
(81) الأدب العربي ، أيهم القيسي ، ص91 .
(82)الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ، ص 163 .
(83)ينظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص82 .
(84)نقد الشعر ، ص318 .
(85) المصدر السابق نفسه ، ص 318.
(86) ينظر الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص 7 .

(87) نقد الشعر ، ص318 .
(88) الصناعتين ، ص104 .
(89) ديوان المعاني ج1 ، ص 202 .
(90) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ج2 ، ص 174 .
(91) الحماسة البصرية ، ج1 ، ص3 .
(92) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 169 .
(93) ينظر فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص22 .
(94) فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 24 ، 25 .
(95) ينظر فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 25،24 .
(96) تأريخ الأدب العربي : العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ، ص 167 .
(97) عنوان الأريب ، ص 65 .
(98) فصول في الشعر ونقده ، ص 135 .
(99) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، ص 19 .
(100) فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 7 .
(101) ديوان بشار بن برد ق329 ص403 وينظر ديوان بكر بن النطاح ، صنعت حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1975 ، ق1 ص5 .
(102) ديوان الشافعي ، لأبي عبد الله بن إدريس الشافعي ، جمعه وعلق عليه : محمد عفيف الزعبي ، ط4 ، مطبعة اوفسيت الوسام ، بغداد – العراق ، ق 1 ص16 .
(103) ديوان أبي العتاهية ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : د . عمر فاروق الطباع ، ط1 ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت – لبنان ، 1997 م ، ق27 ص35 .
(104) ديوان محمود الوراق ق176 ص133 .
(105) ديوان ديك الجن الحمصي ق98 ص212 ، وينظر ديوان علي بن الجهم ق130 ص183.
(106) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق78 ص134 ، وينظر ديوان الخريمي ق6ب ص17 .
(107) ديوان دعبل الخزاعي ق43 ص316 وينظر ديوان الحسين بن الضحاك ق114 ص100 .
(108) ديوان بشار بن برد ق279 ص387/ وينظر ديوان أبي نواس ق432 ص224 / ديوان الوراق ق2 ص33 / ديوان أبي تمام م2 ق28 ص224 / ديوان الزيات ق11 ص4.
(109) المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت – لبنان ، باب الكاف ، ص688 .
(110) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق11 ص83.

([111]) ديوان دعبل الخزاعي ، ق188 ، ص178.
([112]) المصدر نفسه ، ق90 ، ص107 .
([113])ديوان بشار ق110 ص159 ، وينظر ديوان علي بن الجهم ، ق148 ، ص198 .
([114]) الهجاء عند ابن الرومي ، ص331.
([115]) ديوان ابي نواس ق433 ص224 ، وينظر ديوان مروان بن أبي حفصة ق17 ص34 .
([116])ديوان بكر بن النطاح ق10 ص8
([117]) ديوان دعبل الخزاعي ق130 ص134 ، وينظر ديوان بكر بن النطاح ق49 ص29 ، ديوان ربيعة الرقي ، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1980 ، ق18 ، ص96 .
([118]) ديوان دعبل الخزاعي ، ق165 ، ص165 ، وينظر ديوان بشار بن برد ق169، ص253 .
([119]) ينظر ديوان محمود الوراق ق64 ص69 ، ديوان أبي تمام ق5 ص200 .
([120]) ديوان الخريمي ق6د ص17 ، وينظر ديوان علي بن الجهم ق62 ص119 .
([121]) في الحاسد والمحسود (رسائل الجاحظ) القاهرة ، 1979م ، ج3 ص4 .
([122]) ديوان بشار بن برد ، ق196 ، ص284 .
([123]) ديوان السيد الحميري ، ق113 ، ص105 .
([124]) في الحاسد والمحسود (رسائل الجاحظ) ، القاهرة 1979م ، ج3 ص5 .
([125]) ديوان الشافعي ، ق100 ، ص 73
(5) ديوان محمود الوراق ق41 ص56 .
(1) في الحاسد والمحسود (رسائل الجاحظ) ، القاهرة ، 1979 ، ج3ص21 .
(2) ديوان دعبل الخزاعي ، ق138 ، ص143 .
(3) ديوان بشار بن برد ق123 ، ص 179 .
([127])ديوان بشار بن برد ق 334 ص404 ، ينظر ديوان مروان ق35 ، ص55 ، ديوان أبي العتاهية ق5 ص11 ، ديوان أبي تمام م2 ق29 ص225 ، ديوان ديك الجن ق17 ص59 ، ديوان الضحّاك ، ق7 ، ص25 .
([128])ديوان بكر النطاح ، ق3 ، ص6.
([129]) ديوان بشار ، ق5 ، ص434 .
([130]) ديوان العباس بن الأحنف ، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ، ط1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1373هـ - 1954م ، ق10 ص24 .
(131)ديوان الشافعي ق75 ص62

(132)ديوان بشار بن برد ق292 ص 391.

([133])ديوان أبي الشيص الخزاعي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف ، 1967م ، ق12 ، ص 37 ، وينظر ديوان محمود الوراق ق180 ص135 .

([134])ديوان الشافعي ق31 ص37 ديوان العكوك علي بن جبلة ، ت أحمد نصيف الجنابي ، مطبعة الآداب، النجف، 1967 م ، ق18 ، ص116 .

(135)ديوان أبي العتاهية ، ق82 ، ص69 .

* يبرين اسم موقع في البحرين كثير الرمل (مختصر كتاب البلدان ، أبو بكر احمد بن إبراهيم الهمداني ابن الفقيه ، ليدن ،1302هـ ، ص28).

([136])ديوان عبد الصمد بن المعذل ، ق153 ، ص 186.

(137) ديوان أبي نواس ق357 ص186 ، وينظر ديوان دعبل الخزاعي ، ق22 ، ص60 .

([138]) ديوان دعبل الخزاعي ، ق22 ، ص60 .

([139]) الردع : العنق . ينظر لسان العرب المحيط ، باب (ردع) .

([140]) ديوان محمود الوراق ، ق8 ، ص36. .

([141]) ديوان بشار بن برد ، ق45 ، ص443،

([142]) ديوان الحسين بن مطير الأسدي ، جمعه وحققه الدكتور محسن غياض ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1391هـ - 1971م ، ق33 ص69 .

([143])ديوان دعبل الخزاعي ، ق156، ص156 .

([144])ديوان بشار بن برد ، ق374 ، ص418. .

الفصل الثاني

الهجاء السياسي

الهجاء السياسي شعر يصور الحرية ومقاومة الطغيان ويستند إلى عاطفة إنسانية دائمة ، فالشعر السياسي هنا موجه نحو هدف واحد هو السياسة ، يصل إليه بطرق مختلفة تكون مدحاً أو هجاءً أو وصفاً ، وهو ذو اتجاه جماعي يدور الهجاء فيه من خلال نقده وثورته على نظام حكم ما ، أو مجتمع إنساني أو دين من الأديان ، (ولا يتناول الهجاء الأشخاص هنا لذواتهم ، وإنما لأنهم رجال دولة أو دين أو قبيلة وهكذا)[1] .

فالهجاء السياسي ، في المقام الأول ، يقوم على العصبية للوطن ، يهاجم الشاعر كل ما يؤذي وطنه ويهدد كيانه ، أرضاً وشعباً وتاريخاً ، ويتميز هذا الهجاء بان صاحبه يرى مثله الأعلى في حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائص ومعايب تتمثل في أنصار خندق آخر غير خندق الوطن . والشاعر هنا لا يكاد يمسّ شخصيته إلاّ في حدود المجموعة التي يرتبط مصيره بها كل الارتباط ، فهو يفني فيها وجوده ، ويتجرد عن نزعاته وأهوائه ليحس بإحساسهم ، ويرى بأعينهم ويسمع بآذانهم ، فالشخصية الفردية هنا ضئيلة لأنها تذوب في شخصية المجموع المنافح من أجله ومن خلاله ، والدولة أو الوطن شيء حي له وجود قوي ، وكيان ظاهر ملموس ، بكل ما فيه من حيوية نابضة ، ولذلك (يلحق بهذا القسم الهجاء للمذاهب والطوائف)[2] إذ قد استخدمت في العصر المذاهب والطوائف استخداماً سياسياً ضد الدولة أو معها.

وللهجاء السياسي جذور ضاربة منذ القدم ، ولم يكن يوماً وليد الحضارة العباسية ، لأنه – الهجاء السياسي – ولد من رحم العصور التي سبقته فالوجه السياسي لأي عصر تحدد تقاليده مصالح المجتمع ولذا فان هجاء المسلمين للكفار وبالعكس في عصر البعثة يعد سياسياً وان كان ذا شكل اجتماعي أو قبلي

ففي العصر الجاهلي كان الهجاء القبلي وهو الهجاء الشخصي خرج به الشاعر من دائرة التحديد إلى التعميم ومن الجزء إلى الكل ، سواء اتخذ صيغة فردية خاصة أم جنح إلى العموم والشمول [3] .

فالهجاء القبلي ، كما وجدناه في واقع العصر الجاهلي ، ليس شعراً سياسياً بالمعنى الدقيق لكنه يصور الشعر السياسي في طوره البدائي عند العرب ، لأنهم لم يعرفوا نظام الدولة ولا الشريعة الدينية المحددة ، ولم تكن لهم أحزاب منظمة تتقيد ببرامج نظرية خاصة ، ولكن العربي كان يحترم قبيلته وله من الحقوق ما يشبه حق المواطن على وطنه ، وللقبيلة أن تحرم أحداً من جنسيته (الوطنية) بأن تتبرأ منه وتعلنه طريداً . لكن الشاعر يصور جماعة من الناس تربطهم أواصر من النسب ، وقد إنبنت عليها حياتهم وارتبطت مصالحهم ، وعلى وفق الأنساب قامت أحلافهم وحروبهم منذ عهد بعيد [4] .

أهتم العرب بالشعر السياسي في الجاهلية بالمعنى المحدد بسبب طبيعة حياتهم ووجودهم ، فلأن أكثر الشعراء من نجد والحجاز ، وهما لا يرتبطان بأطراف الجزيرة وأهلها لا يعرفون الشعر السياسي ، فقط أولئك الذين سكنوا الإمارات المتاخمة للجزيرة عرفوا أنماطاً ضيقة من الشعر السياسي كبعض شعراء بكر مثلاً ، وتلك نماذج فردية لا يعول عليها في تكوين ظاهرة فنية أو اجتماعية [5]

على الرغم من ذلك ، فان ما وصل إلينا من ذلك النمط من الهجاء صور شتى يمكن عدّه هجاءاً يخدم أغراضاً سياسية على الرغم من الاعتبارات الأخرى التي ذكرنا آنفاً، لأنه اختص بحالتين أساسيتين لهما مساس بحال الناس وآلامهم هما :

الأول : الحال القبلي وما فيه من منازعات .

الثاني : نزاعات بين الملوك والقبائل بسبب فرض الإتاوات .

ويتداخل فيهما الغضب والحماسة . ويتميز هذا الهجاء بالظاهرة العامة لدى العرب وهي الرجوع الكثير إلى التاريخ والأنساب ، ويبدأ الشاعر بالمقدمة ، ثم ينتقل إلى

غرض القصيدة ، ثم بعتاب وتقريع فتعيير ومهاجمة عنيفة ، ويعرض الشاعر لقومه فيصورهم في تاريخهم الطويل وأيامهم المظفرة .

فكأن الشاعر هنا له صفتان بارزتان :

- محامٍ يتولى الدفاع عن قومه مستخدماً الأسلوب الخطابي الرائع يجمع بين التأثير والإقناع .
- مؤرخ قصاص للتاريخ والأنساب .

وأقوى ما وقع من هذا النمط من الهجاء ما توجه ضد الملوك والدول ، لان الشعر في هذه المواطن معبر عن عاطفة إنسانية أعم وأشمل من هجاء يصور نزاعاً بين القبائل قريب من النزاع الفردي ، وهو شعر يقوم على منفعة الفرد و معظم هجاء الدول من القبائل القريبة من العراق يصور رفضاً لمظالم المناذرة..[(6)] .

تميز العصر الجاهلي في هذا المضمار بما يلي :

1. القبيلة هي الوطن الصغير للفرد .
2. رؤساء القبيلة هم الزعماء السياسيون، فهم أهل العقد والحل، يعقدون الأحلاف، ويعلنون الحروب.
3. الشاعر لسان تلك الدويلة، فهو لسان السياسة في القبيلة، ثم أصبح لسان السياسة في الدولة.

وعلى الرغم من ذلك فلم يقع لنا من شعر الهجاء السياسي بالمعنى المفيد كبير أمر خلال الجاهلية الآ ما ورد عن (المتلمس) و(الأعشى) في المناذرة ، ولكنّ الشعر كان حماسة وفخراً قد مزجا بالهجاء،(وكان هجاؤهم القبلي قبل الإسلام يعتمد التاريخ حول المكارم العربية والأخلاق الرفيعة)[(7)] وبما أنّ الدافع الأساس لوجود الهجاء في القصيدة العربية الجاهلية هو الدفاع عن القبيلة فقد صار الناس يفدون على القبيلة مهنئين إذا نبغ فيها الشاعر وذهب صيته [(8)] ويمتاز الهجاء الجاهلي (في هذا المضمار) عامة بعدم استقلال القصيدة به ، بل يرد جزءاً ضمن القصيدة وهي تتناول

موضوعات كثيرة ، لإتباع الشعراء بناءً معيناً للقصيدة لا يتجاوزونه إلاّ نادراً وكذلك الابتعاد عن الفحش ، ولكنه يرتبط بالقيم الخلقية ، وأنواع الهجاء الجاهلي ترتبط جميعاً بالنظام ذاته . ولم يحدث أنّ أفرد الشعراء الجاهليون قصائد مستقلة ، للهجاء من هذا النوع بل كانوا يسوقونه في أثناء فخرهم وحماستهم ، وقد يتصل الهجاء الشخصي بالقبائل فيكون ظاهره موجه لشخص وفي حقيقته موجه للقبيلة ، وهذا الشعر يكون عادة قليل الحظ من الصور والخيال وذا معان محددة .

ولأن الشاعر لسان دولته (القبيلة) وزعيم أعلامها ، فانه قادر على مهاجمة أية جهة مهما كان شأنها وان كان ملكاً من أجل حقوق قبيلته ، ممثلاً قناعات هيئتها السياسية بتلك الجهات ، لأنه يهاجم مطمئناً وهو في حماية أمته[9] .

فهذا جابر بن حُنّى التغلبي يخاطب الملك النعمان ، قائلاً : (من السريع)

نعمانُ إنّك خائنٌ خدعُ ... يخفي ضميركَ غيرَ ما تبدي

فإذا بداك لكَ نحتُ أثلتنا ... فعليكها إنْ كنتَ ذا حَردِ [10]

و للأعشى قصيدة دالية طويلة يهجو بها كسرى قبل موقعة (ذي قار) التاريخية وقد خلدها رسول الله (ص) بحديثه الشريف (هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا)[11]

يقول الأعشى : (من السريع)

مَنْ مبلغٌ كسرى إذا ما جاءهُ ... عني مآلكُ مخمشات شُرّدا

لَنُقاتلنّكم على ما خيّلت ... ولنجعلّن لَمنْ بغى وتمرّدا

ما بينَ عانةَ والفراتِ كأنّما ... حشّ الغواةِ بها حريقاً موقدا [12]

وهذا الهجاء ينحو منحى سياسياً واضحاً ، بعفة اللفظ وبساطة العبارة ، وثورة العواطف ، واصطراع الانفعالات .

وفي العصر الإسلامي صحب الهجاء السياسي نشأة الدين الإسلامي الذي ظهر في الجزيرة وما رافقه من كفاح وتضحيات وفداء من أجل بسط شريعته وإقراره، وفي مقدمة أسباب ثورة الهجاء السياسي التي رافقت ولادة الدين ، انقسام العرب بادئ الأمر ، بين مسلم وكافر واشتد النزاع فتحول النزاع القبلي الجاهلي من نزاع ذاتي ضيق النزعة إلى نزاع موضوعي واسع الأغراض والأهداف ، لأنه كان بين الإيمان كله وبين الكفر كله ، ونتج عن هذا ظهور أدب إسلامي يدافع به أصحابه عن المسلمين ويهجون الأعداء ، كما ظهرت طائفة من الشعراء الكافرين تدافع عن الأحساب بلغة تخلّفت عن عجلة التاريخ ، إلى حد ما إذ بقيت مرتهنة في محطة لم تعد قادرة على إيواء الناس كما كانت قبل انبعاث الدين الجديد لكن سلاح حرب الأحساب بقي مترافقاً مع الهجاء السياسي الديني المحض دون أن يستطيع هجاء الأحساب الوقوف بقوة قاهرة أمام الهجاء الديني لانّ المعادلة التاريخية كانت لصالح الشعر الديني السياسي أكثر منه إلى الصيغ القديمة التي عرفها العرب فالأحساب لم تعد السلاح الذي يعهد وقد جبّ الإسلام ما قبله ، ولذا كان القتال والهجاء متلازمين ولكنهما غير متكافئين ، فسرعان ما نجد إنّ حرب الأحساب قد إنحسرت ولم تعد سلاحاً وحسب .

يقول حسان بن ثابت : (من الوافر)

لنا في كلّ يومٍ منْ معدٍّ قتالٌ أو سبابٌ أو هجاءُ

فنحكمُ بالقوافي مَنْ هجانا ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ[13]

إذاً فقد اقترن الهجاء بالدعوة الإسلامية بوصفه أحد أسلحة الكفاح ضد المشركين وكان في المعركة أوسع الأبواب الشعرية خاصة في ساحات الميدان الحربي أو القتالي . وأول من دعّم البعثة النبوية بالشعر هو أبو طالب عمّ النبي (ص) وله في ذلك شعر كثير يقول : [14] (من السريع)

أفيقــوا بــني عمِّنــا وانتهــوا ... عــن الغــيّ مــنْ بعــضِ ذا المنطــقِ

وإلاّ فــــاني إذاً خــــائفُ ... بوائــــقُ في داركــــم تبــــؤُقُ

كمـا ذاقَ مَـنْ كـان مِـنْ قـبلكم ... ثمــودٌ وعــادٌ ومــاذا بقــي

وله في أخرى يخاطب قريشاً :

لا تسـفهوا أحلامكـمْ في محمـدٍ ... ولا تتبعـوا أمـرَ الغـواةِ الأشـائمِ [15]

ويزجر أمير المؤمنين علي (ع) بعنف شديد عمّه أبا لهب ، دفاعاً عن الدين فيقول: (من الطويل)

أبـا لهـبٍ ، تبّـت يـداكَ ، أبـا لهـبِ ... وتبّـت يـداها ، تلـك حمّالـةُ الحطـبِ

خذلت نبيّاً خيرَ مَنْ وطيءَ الحصى ... فكنتَ كمَنْ باعَ السلامةَ بالعطـبِ [16]

ويلاحظ أنّ الهجاء الديني السياسي ، اعتمد رمي الأنساب بسبب المنافسة بين الحزبين فكان هجاء أشبه بالهجاء القبلي بادئ ذي بدء ، ولكنه سرعان ما أنصب على المبادئ الإسلامية الجديدة ، فذكر جنّة ، وذكر ناراً ، ممّا استمده من تعاليم القرآن الكريم ، (فالأثر الإسلامي كان واضحاً في أسلوب الهجاء من حيث بساطته ووضوحه واقتباسه لبعض المعاني القرآنية وربما اعتمد النقاش والمحاجّة)[17] وساعد على ترسيخ وتجذير الرؤية الهجائية في السياسة (قيم الدين الجديد ومفاهيمه ، وإعجاز القرآن وبيانه ، واتساع الدعوة الإسلامية وامتدادها) [18] وكانت الفتوحات الإسلامية الميدان الجديد ، ويصدر عن روح الجماعة الإسلامية ، إذ تذوب داخلها القبليات والنعرات الجاهلية ، حيث طرأ على الأغراض التقليدية في صدر الإسلام التغير في مضامينها ومعانيها فهو (في ظلال الإسلام صوره للحياة الجديدة تدور أغراضه وألفاظه ومعانيه تبعاً لما تقتضيه الدعوة ، متأثرة ببيانها الحكيم)[19] فتظهر اللمحات الإسلامية في المديح والهجاء .

وفي العصر الأموي : دخل فن الهجاء السياسي طوراً جديداً بقيام النظام الأموي ، وازداد عنفاً ودموية عندما انحرفت القيادة الأموية عن جادة الصواب الإسلامي إلى

حيث النظام الوراثي فتكونت على أثر ذلك الأحزاب التي خاضت حروباً دامية كل يدافع عن وجهة نظره واعتقاده ضمن النظرية الدينية ، فأهل بيت النبي – العلويون الفاطميون – وجدوا أنهم أصحاب الحق الشرعي في خلافة النبي بوصية منه لعلي ، ورأى الزبيريون أنّ الخلافة تكون في قريش بلا تمييز ، فيما رأى الخوارج أنّ الأمر حق لكل المسلمين باختيار حر مباشر .

والتمس الأمويون لنظامهم خيرة فحول الشعراء لينافحوا دون سور الدولة التي يحكمونها ، فكان أولئك الشعراء يمدحون الأمويين ويهجون أعداءهم ، فيما كان لكل من الأطراف الأخرى شعراء لديهم الحجج والبراهين [20] التي تحكم بصحة منهجهم ، لقد عادت في هذا العصر الحزازات القبلية القديمة وأججت النوازع المتخلّفة لتسخيرها في حرب السياسة ، وابرز ما يميز هجاء هذا العصر تطور معانيه وأفكاره من ناحية الارتباط بالقيم الإسلامية ووجهات النظر السياسية[21]

(لقد بدا واضحاً في صفحة الهجاء السياسي السخط على الخلفاء والحاكمين، وظلم الولاة وانحراف العمال) [22] وابرز ما يميز الهجاء السياسي لهذا العصر قوة الأسلوب وجزالته ووضوح عبارته ، وغالباً ما يجيء الهجاء في قصيدة متعددة الأغراض .

وفي العصر العباسي : وهو عصر الاضطراب والتنازع السياسي ، مثلما هو عصر التحضر والاختمار بمعطيات الفلسفة والفقه والعلوم. وبعد أن كان الناس يتنازعون في العصر الأموي تنازعا سياسيا قبليا، اخذ النزاع السياسي في هذا العصر شكله الفكري المصيري الذي يستند إلى عمق التأمل والنتاج العقلي الرصين، فالميزة المهمة لهذا العصر هي ميزة النزاع الفكري والخصام في سبيل اكتشاف الحقيقة، على أنّ الميزة الخطيرة التي ميزت هذا العصر عن غيره من العصور تلك الظاهرة الخبيثة التي قادت النزاع بين العرب والموالي .

إنّ أشكال النزاع عامة التي ذكرت اجتاحت المجتمع بصيغ طبيعية هادئة من خلال المحاولات المتعددة للتوفيق بين العقل والنقل ، بين الفلسفة والإيمان ، وقد ظهر هذا النزاع في حلقات المساجد أو الحلقات العلمية للمذاهب والفرق والأديان والطوائف . فالتطور الذي حصل في بنية المجتمع الفكري الجديد كان له الأثر البالغ والتجربة الفريدة انعكست مباشرة على طبيعة الأدب العربي ولا سيما في الشعر والشعراء ، وتحديداً أيضاً على الهجاء (لشدة ارتباطه بالنفس كونه أسرع الأغراض الشعرية استجابة للتطور ، واتسعت موضوعاته السياسية والمذهبية والشخصية والاجتماعية فأصاب تحولاً عن هجاء العصبيات القبلية متغلغلاً في مطاعن خلقية ونفسية) [23] .

إنّ نطاق الهجاء السياسي والمذهبي في هذا العصر اتسع بصور وصيغ لم يعرفها القرن الأول ، على الرغم من أنّ الشعر السياسي كان مزدهراً ، كما هو الحال في شعر أنصار أهل البيت وهجائهم للأمويين ، ثم للعباسيين ، (إذ أصبح الهجاء السياسي مقترناً بالواقعية المطلقة ، وتركيز الهجاء على ظواهر الانحراف الديني عند المهجو وشذوذه الأخلاقي والاتهام بالزندقة والتخنث وبادعاء النسب العربي وفساد الألسنة وتطرق اللحن إليها وهجاء المدن) [24] .

ومما يلاحظ ويستنتج مما تقدم :

هكذا وجد الهجاء السياسي منذ العصر الجاهلي واستمر الى العصر العباسي الأول ولكن بطرق وأساليب مختلفة ودلالات متباينة في كل عصر من العصور .

جدول بأغراض الهجاء السياسي لدى شعراء العصر العباسي الأول :

ت	الشاعر	الأحزاب السياسية	هجاء رجال الدولة
.1	بشار بن برد	114	21
.2	الحسين بن مطير الأسدي	3	—
.3	السيد الحميري إسماعيل بن محمد	102	—
.4	مروان بن أبي حفصة	47	1
.5	بكر بن النطاح الحنفي	15	1
.6	العباس بن الأحنف	26	—
.7	أبو الشيص محمد بن عبد الله الخزاعي	7	—
.8	أبو نواس الحسن بن هانيء	120	5
.9	ربيعة الرقي	15	1
.10	الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس	32	1
.11	أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان	42	1
.12	العكوك علي بن جبلة	15	1
.13	محمود بن حسن الوراق	10	—
.14	أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	30	6
.15	الزيات محمد بن عبد الملك	25	—
.16	ديك الجن،أبو محمد عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي	15	—
.17	عبد الصمد بن المعذل	25	14
.18	الخريمي، أبو يعقوب اسحق بن حسان بن قوهي	15	—
.19	دعبل بن علي الخزاعي	94	32
.20	علي بن الجهم	23	3
.21	الحسين بن الضحاك الخليع	14	—

المبحث الأول

حزب السلطة العباسية

ارتبط الشعراء في هذا العصر بالسياسة فكان لكل منهم بيت سياسي ورافد فكري ، بموجب قناعاتهم التي توزعت بين هذا الحزب أو ذاك ، على وفق منطلقات فكرية سياسية مذهبية أو قومية ، وقد تدرج هذا الصراع ليأخذ شكله التقريري بعد استقرار الحكم للعباسيين ، فديوان الشاعر صحيفة ناطقة باسم الفئة التي ينافح من اجلها ودونها . فالعباسيون مثلاً : كان ابرز من ظاهرهم (مروان بن أبي حفصة ، وعلي بن الجهم ، وبشار بن برد ذو الشعر الغزير بتأييدهم) . فيما كان أبرز شعراء أهل البيت (الشيعة) هم (السيد الحميري ، ودعبل الخزاعي) . ولم يكن الموالي أقل شأناً في هذا المضمار فقد كان يمثلهم شعراء فحول كبشار بن برد وأبي نواس ومن حولهم العديد من الطبقة الأقل من الشعراء لقد أكد التاريخ أنّ الشعراء الملتفين حول الخليفة العباسي لا بد وان يكونوا من أعداء العلويين ومن المبشرين بالخلافة العباسية وأحقيتها ، والعكس صحيح بالنسبة للملتفين حول العلويين . أما الموالي فالرابطة التي تجمع شعراءهم كونهم من الموالي.

أما الأمويون فقد نضب شعرهم وضعف صوتهم حتى أضحى خافتاً لا يعبر عن اتجاه سياسي إلاّ من باب تذكر الماضي وذكر محاسنه وعيوبه والحنين إلى ما فات من أيام ، أما الخوارج فقد أضعفهم الأمويون حتى أصبحوا قلة بعيدة عن مناطق نفوذ الدولة يخشى الرواة ذكر مآثرهم ومنها الشعر والأدب فلم يعد لذلك الأدب وزناً يذكر .

وتجد في هذا العصر أنّ الشاعر الحزبي يصل الى هدفه من طريق شعر المديح السياسي الذي تحول في أساسه إلى شعر سياسي ومذهبي مدعوم بالأسانيد والحجج الدينية والفقهية يمدح الحزب أو قائده من طريق أحقية كل حزب في طلب الخلافة من زاوية نظره الخاص وهو يحوي على هجاء مبطن لمناوئيه . أو من طريق هجو

الأحزاب المناوئة لحزبه بعفة أو بغير عفة ، أو يستخدم الشعراء في ذلك القصائد الطويلة والمقطوعات المستقلة بقصد الهجاء السياسي أو المديح السياسي ضمن أغراض أخرى على وفق الطريقة التقليدية[25]

أما الهجاء السياسي للحزب السياسي للسلطة العباسية في هذا العصر فهو على النحو الآتي :

إنّ الحكم العباسي قام على أساس دعوة دينية مؤداها أنّ حق العباسيين الشرعي في الخلافة يستند إلى وراثتهم لجدهم العباس بن عبد المطلب عمّ الرسول (ص) وصاحب الحق الشرعي بعد الرسول (ص) لأنه عمه ووارثه وعصبته [26] مصداقاً لقوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله).[27]

لقد أجاز العباسيون خلافة الإمام علي (ع) ، وتبرأوا من أبي بكر وعمر وعثمان إذ أكدوا أنّ الخلفاء الثلاثة أخذوا ما ليس لهم ، وكان عليهم أنّ يقفوا هذا الموقف اتساقاً مع موقف جدهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ، إذ لم يبايعا أبا بكر حتى بايع عليّ فكان موقفهما حاداً مع الخلفاء ومظاهراً بغير تبطين للإمام علي (ع) فكان هذا الموقف مسوغاً لشعارهم المركزي وهو إعادة الأمر إلى أصحابه ، وهو على (أساس التفويض في ولاية أمور المسلمين أو على أساس الحق الإلهي) [28] لقد اعد العباسيون العدة منذ بدء دعوتهم لذر الرماد في عيون الحقيقة ، لصرف أنظار الناس عن القضية العلوية ، على أنّ الحق الإلهي بالسلطان للعم دون غيره ، فتشابه الموقف هذا مع موقف الخلفاء الثلاثة الذين ادّعوا أنّ الانبياء لا يورّثون إلاّ العلم ، استئثاراً بالأمر وهؤلاء أكدوا الوراثة ونسوا الوريث الحقيقي بفعل السياسة الاستئثارية التي قال عنها أمير المؤمنين (ع) (مَنْ مَلَكَ استأثر) وفي إطار هذه الخلفية عمل الشعراء العباسيون على التبشير بالنظرية العباسية الجديدة على أنّ الخليفة المنصور هو المهدي الذي يعتقده الناس . وقد ركز الإعلام العباسي من خلال الشعر على حق الوراثة في نظام الحكم ، حتى استطاع العباسيون من إيجاد شيعة عباسية

تقول ما يقوله ملوك بني العباس ، وقد وجه أرباب السلطة العباسية الشعراء بضرورة الابتعاد عن ذكر (الفضائل التقليدية المعروفة – سواء كانت معنوية أم حسية) [29] .

وقد إستخدم الشعراء الذين ظاهروا العباسيين الحجج والبراهين المتاحة لتأكيد الحق الوراثي لهم بالسلطة ، والشعر السياسي هنا كان ينطوي على هجاء ظاهر أو مبطن للتيارات المعارضة ولاسيما التيار العلوي . قال بشار بن برد ، في محمد بن أبي العباس [30] .

(بحر الطويل)

وَرِثْتُمْ رسولَ اللهِ بيتَ خلافةٍ … وعزّاً على رغمِ العدوِ وسؤددا

لكمْ نجدةُ العباسِ في كلّ موطنٍ … ويومَ حنينٍ إذ أشاعَ وأشهدا

وأنتم حماةُ الدينِ لولا دفاعكم … لقد قذيَتْ عيناهُ أو كانَ أرمدا

وقال أيضاً [31]

(بحر البسيط)

ساقي الحجيجِ أبوه الخيرِ قد علمتْ … عليا قريشٍ لهُ الغاياتُ والقصبُ

وافى حنيناً بأسيافٍ ومقربةٍ … شعثُ النواصي براها القودُ والخببُ

يعطي العدا عن رسولِ اللهِ مهجتهُ … حتى ارتدى زينها والسيفُ مختضبُ

لقد أجهد (بشار) نفسه كثيراً لأجل أن تكون لديه الحجج البالغة التي تبزّ العلويين دون أن يصل إلى سلاح حاد يهاجم به خصومهم ، فلم يجد لهم غير مشاركة جدهم في حنين حيث كان يمسك لجام بغلة رسول الله (ص) وعلي يذب بسيفه وبمهجته دون رسول الله (ص) مما اضطره للعودة إلى التاريخ القديم المشترك في سقاية الحجيج ونحوه .

ومن شعراء الحزب العباسي (مروان بن أبي حفصة) أحد أشهر الشعراء المذبذبين الانتهازيين إذ كان من قبل احد شعراء البلاط الأموي ، وانتدبه العباسيون لشدة نصبه للعلويين يقول : في مدح المهدي العباسي

(بحر الكامل)[32]

أحيــا أمــيرُ المــؤمنينَ محمــدٌ ... ســننَ الــنبيّ حَرامهــا و حلالَهــا

وبمعنى مبطن يهجو العلويين :

هلْ تطمسـونَ مـنَ السماءِ نجومهـا ... بـأكفكم أم تسـترونَ هلالهـا

أم تجحـدونَ مقالـةً عـن ربكـم ... جبريـلُ بلّغهـا الـنبيّ فقالَهـا

شـهدتْ مِـنَ الأنفـالِ آخـرُ آيـةٍ ... بتراثهـم فـأردتمُ إبطالهـا

فـذروا الأسـودَ خـوادراً في غيلـها ... لا تـولغنّ دمـاءكم أشـبالها

مروان هذا ، وغيره من شعراء العباسيين ، حاولوا أن يضعوا الحكم العباسي موضع الإرث المطلق ، بتفسير آخر آية من آيات سورة الأنفال ، ولم يجدوا غيرها في الفضل ، لكن هذه كما – يرد العلويون – كانت في إطار المتشابه الذي ينطبق على كل المسلمين وليست لها خصوصية معينة ، فالآية التي قبلها تقول : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرةٌ ورزق كريم)[33] ، والآية هذه تختص بجميع المسلمين الذين هاجروا مع النبي (ص) وأهل يثرب أيضاً أما الذين هاجروا بعد ذلك – أي بعد أن صار الإسلام عزيزاً – فأدنى درجة من غيرهم .

لكن شعراء بني العباس يموهون ويخدعون ويحاربون دون ملوكهم بالهجاء أو المدح . إذ يقول مروان في مدح المهدي العباسي[34] :

(بحر الكامل)

يـابنَ الـذي ورثَ الـنبيَ محمـداً ... دونَ الأقـاربِ مـن ذوي الأرحـامِ

الـوحيُ بـينَ بـني البنـاتِ وبينكم ... قطـعَ الخصـامُ فـلاتَ حـينَ خصـامِ

مـا للنسـاءِ مـعَ الرجـالِ فريضـةٌ ... نزلـت بـذلك سـورةُ الأنعـامِ

أنـى يكـونُ ولـيس ذاكَ بكـائنٍ ... لـبني البنـاتِ وراثـةُ الأعمـامِ

ألغـى سـهامهمُ الكتـابَ فحـاولوا أن يشـرعوا فيهـا بغـيرِ سـهامِ

فيندفع فوراً شاعر العلويين (جعفر بن عفان الطائي) ليرد عليه قائلاً : [35]

لِمَ لا يكـونُ وإنّ ذاكَ لكـائنٌ لـبني البنـاتِ وراثـةُ الأعمـامِ

للبنـتِ نصـفٌ كامـلٌ مـنْ مالـه والعـمُّ مـتروكٌ بغـيرِ سـهامِ

مـا للطليـقِ وللتُـراثِ وإنّمـا صـلّى الطّليـقُ مخافـةَ الصمصـامِ [36]

ويأتي أبو تمام الطائي ، المعروف بولائـه للعلـويين ، ليجـد النظـام العباسـي معرضاً للخطر الجسيم بسبب ثـورة (الأفشـين والمازيـار) ، فيقـول قصـيدته في مـدح المعتصم :

(بحر الكامل) [37]

كـادوا النبـوّةَ والهـدى فتقطّعـتْ أعنـاقهم في ذلـكَ المضـمارِ

وهذا الموقف من أبي تمام له جذور في تاريخ العـرب [38] وبـرغم أنّ جهـود الشعراء تدور حول آية سـورة الأنفـال (75) وسـقاية الحجيج في الجاهليـة ، وهـي وظيفة بني هاشم جميعاً ، ولا تكاد تجد فضائل تلغـي فضـائل علـي (ع) إلاّ أنّ بعـض الشعراء ذهب بعيداً في تزوير التاريخ وتطرف في إعطاء بني العباس ما ليس لهم حتـى ذكر (علي بن الجهم) وهو من أشد أعداء العلويين إنّ الصلاة لن تقبـل إلاّ بـذكرهم وهو يمدح المعتصم : [39]

لأنـتمْ يـا بـني العبـاسِ أولى بمـيراثِ الـنبي مـنَ الأنـامِ

تجـادلُ سـورةُ الأنفـالِ عـنكم وفيهـا مقنـعٌ لـذوي الخصـامِ

مـودتكم تمحّـصُ كـلّ ذنـبٍ وتُقـرنُ بالصـلاةِ وبالصـيامِ

إنّ هذا المدح ينطوي على هجاء مباشر للعلويين ذلك إنّ الآثار المسندة ، أنّ أهل بيت محمد (ص) هم علي وفاطمة والحسن والحسين ، ولا يقصد بهم عشيرته (ص) وإلاّ فقد دخل معهم مَنْ لا فضل له ولا سابقة .

وهكذا يرد (العلويون) وشعراؤهم وهو ما سنوضحه بعد قليل إنّ الأحاديث النبوية المسندة بفضل علي (ع) لم ترد بحق العباس أو غيره من عشيرة النبي والأحاديث المركزية هي :

"أنت مني وأنا منك"

"أنت أخي في الدنيا والآخرة"

"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"

"أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي" (40)

فالتزوير بحقائق التاريخ واضح لدى العاملين من شعراء المديح والهجاء ، ولم يقتصر اندفاع الشعراء على الوقوف أمام ملوك بني العباس لطرح النظرية العباسية في الحكم والدفاع عنها وهجو مناوئيها ، وإنما فعل هؤلاء الشعراء مع الحلقات الأدنى للسلطة ، وهذا بشار بن برد يلقي قصائده في مناسبات تعيين ولي العهد ، وهو القائل أمام ولي العهد موسى الهادي العباسي (41) :

(بحر الطويل)

هو الملكُ المأمولُ والقائمُ الذي ... يُؤلفُ بينَ الذئبِ والنقداتِ

ويوجهُ سهامَ هجائهِ للعلويينَ :

فقلْ للذي يرجو الخلافةَ بالمُنى ... تنحَّ لموسى صانعِ الحسناتِ

ويحرّض المهدي لأخذ العهد لموسى وهارون ، وفيها يهجو العلويين يقول:

(بحر البسيط)

إنْ فاخروكَ بمجدٍ كنتَ أمجدهم ... وما ظلمتَ وأنتَ الماجدُ النجدُ

كَمْ حاسدٍ لكمْ يرجو خلافتكم قد كادَ يفقأُ منهُ المقلةَ الحسَدُ [42]

لقد أكثر الشعراء من تناول إدعاء العباسيين نظرية حقهم بالسلطة ، لأنهم – الشعراء يجدون ساستهم يولون لهذا الأمر اهتماماً بالغاً خاصة وقد وجدوا العلويين يخوضون غمار الحروب والثورات ، وتزحف علومهم إلى كل ميدان لإثبات حقهم وجدارتهم ، لكن بعد مدة من الزمن نجد الشعراء قد ابتعدوا – كما يبدو – قليلاً عن هذا المضمار لينغمسوا بالمدح المجرد للسلطة ، وهذا أبو العتاهية يؤكد هذا الاتجاه ، قال يمدح المأمون بعد انتصاره على أخيه الأمين [43] :

(بحر الطويل)

لخيرِ إمامٍ قامَ مِنْ خيرِ عنصرِ وأفضلِ راقٍ فوقَ أعوادِ منبرِ
ووارثِ علمِ الأولين ومُلكهم وهو الملكُ المأمونُ من أمِّ جعفرِ

ثم يتجه الشعراء إلى حيث جمع الدين والدنيا للملك العباسي كقول علي بن الجهم لدى جلوس الواثق على العرش [44] : (بحر السريع)

قدْ فازَ ذو الدنيا وذو الدينِ بدولةِ الواثقِ هارونِ
أفاضَ مِنْ عدلٍ ومنْ نائلٍ ما أحسنَ الدنيا مع الدينِ

ولكن يبدو أنّ هذا الهدوء النسبي لعاصفة الإعلام لتعضيد المنطق العباسي في وراثة السلطة ، تمخض عن حرب ضروس أخرى تؤججها بطرف خفي السلطة ذاتها ضد المذاهب والفرق الإسلامية التي تمخضت مدارس علم الكلام عنها ، فتعددت الآراء واجتاحت الحياة الفكرية ، مستفيدة من الحرية الفكرية التي تمتع بها أهل العلم، ولكن يبدو أنّ ذلك لم يرق لأهل السلطان ، فتوجهت السلطة لمقارعتها ، ولكن في البدء عن طريق هجاء الشعراء لها .

وقد تطوع خمسة من شعراء البلاط العباسي لفتح نار الهجاء ضد الطوائف والمذاهب والفرق الإسلامية ، وهم : أبو العتاهية ، ومحمود الوراق ، والزيات ، وعبد الصمد بن المعذل ، وعلي بن الجهم ، يقول الشاعر أبو العتاهية [45] :

(بحر الطويل)

بكى شجوهُ الإسلامُ منْ علمائهِ ... فما اكترثوا مما رأوا منْ بكائهِ

فأكثرهم مستقبحٌ لصوابِ مَنْ ... يخالفهُ مستحسنٌ لخطئه

فأيّهمُ المرجوُّ فينا لدينهِ ... وأيهُمُ الموثوقُ فينا برأيهِ

ويتطوع محمود الوراق لتنفيذ الهجوم الكاسح على المتصوفة بهجاء مرٍّ حيث يقول [46] :

(بحر الوافر)

تصوفَ فازدهى بالصوفِ جهلاً ... وبعضُ الناسِ يلبسهُ مجانهْ

يريكَ مهانةً ويجنُ كِبراً ... وليسَ الكِبرُ شائعَ المهانهْ

تصنّعَ كي يقالَ لهُ أمينٌ ... وما معنى التصنعُ للأمانهْ

ولمْ يردْ إلاّ لهُ بهِ ولكنْ ... أرادَ بهِ الطريقَ إلى الخيانهْ

أما وزير البلاط محمد بن عبد الملك الزيات فيتخصص في حرب المعتزلة وله معهم مواقف هجائية عديدة ، وأول مَنْ تمرغ بدم هجائه زعيمهم ومنظرهم أحمد بن أبي داود ، و كان قد حظي عند المأمون وأوصى به أخاه المعتصم فصيرّه قاضي القضاة ، يقول فيه [47]

(بحر الوافر)

وقالوا : هلْ رأيتَ أبا دؤادٍ ؟ ... فقلتُ : نعمْ رأيتُ أبا الحُبابِ

فقالوا : لا عليكَ رأيتَ منهُ ... كأشبهِ بالغرابِ منَ الغرابِ

ويقول فيه في موضع آخر :

(بحر الوافر)

وكيفَ يُلامُ مثلكَ في التصابي ... وأنتَ فتى المجانةِ والشبابِ

ويسخر عبد الصمد بن المعذل بواحد من أكبر المذاهب الإسلامية (المالكية) وهم أصحاب مالك بن انس ، وقد علم أنّ أخاه ينتمي لهذا المذهب يقول[48]:

(بحر الوافر)

عـذيري مـنْ أخٍ قـد كـانَ يبـدي ... علـى مَـنْ لابـسَ السـلطانِ عتبـهْ

وكـانَ يـذمهم في كـلّ يـومٍ ... يشـي بالجهـلِ والهـذيانِ خطبـهْ

كسـبتَ أبـا الفضـولِ لنـا معابـاً ... وعـاراً قـد شملـتَ بـه وسـبهْ

ولم تـرَ مالكـاً أجـدى عليـه ... كمـا أجـدى علـى (النرسـي) شـعبهْ

ولم يكتف علي بن الجهم بفرقة إسلامية واحدة هجاءً بل تواقع مع كـل الطوائف والمذاهب إسلامية كانت أم نصرانية ، اذ يقول [49] : (بحر الوافر)

تضـافرتْ الـروافضُ والنصـارى ... وأهـلُ الاعتـزالِ علـى هجـائي

فبختيشـوع يشـهدُ لابـنِ عمـرو ... وعـزونٌ لهـرونَ المرائـي

إذا سميـتهم للنـاسِ قـالوا ... أولئـكَ شـرُّ مَـنْ تحـتَ السـماءِ

وفي حين يوجه هجاءه لكل طوائف المسلمين ، يؤكد انه على مذهب العباسيين وهو المذهب الرسمي في الدولة .

ويتفرغ علي بن الجهم تفرغاً كاملاً لمقارعة المعتزلة ممثلين بعميدهم أبي داود، الفقيه المعروف ، فيمعن فيه هجاءً وسخريةً إذ يقول [50] :

(بحر الكامل)

مـا هـذهِ البـدعُ الـتي سميتَهـا ... بالجهـلِ منـكَ العـدلَ والتوحيـدا

أفسـدتَ أمـرَ الـدينِ حـين وليتـهُ ... ورميتـهُ بـأبي الوليـدِ وليـدا

حتى يقول :

وإذا تربـــعَ في المجـــالسِ خلتــــهُ ضـــبُعاً وخِلـــتَ بـــني أبيـــهِ قـــرودا
وإذا تبَّســـــمَ ضـــاحكاً شـــبهّتهُ شَـــرِقاً تعجَّـــلَ شُـــربهُ مـــزؤودا

ومما يلاحظ و يستنتج مما سبق :

1- الشعراء العباسيون هم الصحيفة الناطقة باسم حزبهم المدافعين عن العباسيين ، المحاربين لأعدائهم من الأحزاب الأخرى .

2- الشاعر يصل إلى هدفه عن طريق شعر المديح السياسي الذي تحول إلى شعر مذهبي مدعوم بالأسانيد والحجج الدينية والفقهية بمدح الحزب أو قائده عن طريق أحقية كل حزب في طلب الخلافة من زاوية نظره الخاصة وهو يحوي على هجاء مبطن لمناوئيه أو عن طريق هجو الأحزاب المناوئة بعفة أو بغير عفة ويستخدم الشعراء في ذلك القصائد الطويلة والمقطوعات المستقلة .

3- هجا شعراء البلاط العباسي فضلاً عن الحزب العلوي المذاهب والطوائف والفرق الإسلامية المناوئة للسلطة العباسية .

المبحث الثاني

الشيعة (العلويون)

عمل العباسيون منذ وصولهم السلطة على هدف مركزي أعطي الأولوية الكبرى في سياستهم ، ألا وهو أضعاف العلويين وعزلهم جماهيرياً ، والقضاء على حركاتهم المسلحة ، فلم ينافس العباسيين فكرياً وجماهيرياً منافس كالعلويين حتى سقوط الدولة العباسية ، وبقيت شعارات القرابة من رسول الله (ص) وخلافة أمر المسلمين موضع جدل محتدم ومستمر ، تنكب التبشير للدعوة العباسية شعراء مفوهون ، فيما تولى الدفاع أو الهجوم عن حق العلويين شعراء آخرون ، جبلوا على العقيدة والوفاء لأهل البيت (ع) ولم يكونوا من قبيل شعراء بني العباس الذين يبيعون الشعر ، ويتاجرون بالشعارات .

إلاّ أنّ العباسيين استطاعوا أنْ يخترقوا الحركة العلوية بضم الكيسانية إليهم ، فالكيسانيون هم أتباع أبي هاشم بن محمد بن علي (المعروف بابن الحنفية) الذي سلم بإمامة ابن أخيه علي بن الحسين حتى وفاته عام 81هـ [51] ، لقد تحولت بعدئذ الكيسانية ظهيراً لبني العباس ، وعوناً لهم ضد العلويين ومن بين الشعراء الشيعة الذين اعتنقوا الكيسانية ثم تخلو عنها السيد الحميري . فالشعر السياسي العلوي لم يقتصر على الناحية الفقهية في الاحتجاج ، ولكنه كان ينبعث كالبركان ليصور المصائب التي ابتلي بها العلويون وأتباعهم ، وما قاساه هؤلاء من نكال وهوان ، فالشعر لديهم مناسبة لإثارة التفجع فضلاً عن هجاء الأعداء والاستدلال على حق العلويين المغتصب.

على أنّ أبرز شعراء العلويين هما (السيد الحميري ، ودعبل الخزاعي) ويعّد شعرهما الصحيفة الناطقة باسم الحزب العلوي .

لقد تناول شعراء الشيعة (العلويون) أحداث التاريخ في عصر البعثة والرسالة، تناولاً احتجاجياً دقيقاً لإثبات حق علي (ع) في الخلافة ، على ان ابرز تلك

الأحداث هي بيعة (غدير خم) في حجة الوداع ، وكان لهم وقفات طويلة في الصراع السياسي ضد أعداء أهل البيت ، وفي هذا العصر ، تناولها السيد الحميري من غير قصيدة قال:(52) (بحر الكامل)

وبخمٍّ إذ قالَ الإلهُ بعزمةٍ قُمْ يا محمدُ بالولايةِ فاخطبِ
وانصبْ أبا حسنٍ لقومكَ إنّهُ هادٍ وما بلّغتَ إنْ لم تنصبِ

وفيها يهجو مَنْ ينكرها :

إنّا ندينُ بحبِ آلِ محمدٍ ديناً ومَنْ يُحبهم يَستوجبِ
منّا المودةُ والولاءُ ومَنْ يرد بدلاً بآلِ محمدٍ لا يُحببِ
ومتى يمتْ يردِ الجحيمَ ولا يرد حوضَ الرسولِ وإنْ يردهُ يُضربِ

وكان للسيد الحميري قصائد شتى انطوت على أكثر من غرض في المدح والهجاء لأعداء أهل البيت وتضمنت المسألة العقائدية (53) .

ويتنادى فحول شعراء هذا العصر من الشيعة لإثبات حق علي وفضائله ومناقبه مما لا وجود لمثلها لدى الآخرين من الصحابة والقرابة ، إذ تناول السيد الحميري ودعبل الخزاعي وغيرهما الأحاديث الشريفة والأحداث الكبيرة بمزيد من التجذير ومنها البيعة ، والمنزلة ، والمؤاخاة، والكساء ، وغدير خم ، والفداء والتطهير، والمباهلة ، وغيرها وفي جميعها تتضمن هجوماً منسقاً تاريخياً وفكرياً على أعداء علي (ع) إذ يمتزج المديح بالهجاء.

ويقول (دعبل الخزاعي) في بعض مقطوعاته وقصائده عن علي (ع) ثم ذاكراً أعداءه:

(بحر السريع)

وساقي الوفودِ بيومِ الورودِ على كوثرٍ ماؤهُ قد شبمْ
يذودُ عن الحوضِ أعداءهُ فكم مِنْ لعينٍ طريدٍ وكَمْ

فمِـــنْ نــاكثينَ ومِـــنْ قاســطينَ ومِـــنْ مــارقينَ ومِـــنْ مجـــترم[54]

وبسبب ظلم بني العباس للعلويين وشيعتهم ، انتهج شعراؤهم منهج تجذير الفكر الديني وصولاً إلى هجاء الأطراف المعادية من خلال سحب البساط الفكري من تحت قدمي السلطة الجائرة ، فهؤلاء يذكرون بشعرهم السياسي أهل البيت ليسقط حمماً مزلزلة على رؤوس أعدائهم . وقد انضم إلى رعيل المكافحين بالفقه والحديث الشافعي الذي يقول : [55] (بحر البسيط)

يــا آلَ بيــتِ رســولِ اللهِ حــبّكمُ فــرضٌ مــنَ اللهِ في القــرآنِ أنزلــهُ
يكفـيكمُ مـن عظـيمِ الفخـرِ أنّكُـمُ مَـنِ لم يُصـلِ علـيكم لا صـلاةَ لـهُ

أما دعبل الخزاعي فيتحدى سلطان زمانه بقوله : [56] (بحر الوافر)

شــفيعي في القيامــةِ عنــد ربّــي محمــدُ والوصــيُّ مــعَ البتــولِ
وســـبطاً أحمـــدٍ وبنـــو بنيـــهِ أولئـــكَ ســـادتي آلُ الرســـولِ

إنّ الهجاء غرض كبير من أغراض الشعر الشيعي ، فالشعراء الشيعة كغيرهم من الشعراء العباسيين اتخذوا من الهجاء سلاحاً لمهاجمة خصومهم والنيل منهم ، (وقد تطرف بعضهم تطرفاً شديداً فيهاجم الخلفاء الراشدين (الثلاثة الأول) ويطعن في بيعتهم ويرى أنهم اخذوا ما ليس بحقهم ، وخالفوا وصية الرسول بخلافة يوم (غدير خم)) [57] .

لكن شعراء الشيعة – وبسبب الظلم – يستفيدون كما شاءوا من فرصة الزمان والمكان ، فمرة تجدهم يمدحون أهل البيت والقصد منه هجاء أعدائهم ، وأخرى تجدهم يضمنون قصائدهم مدحاً لأحد الملوك وتندس من خلالها عقيدتهم الدينية ، ليكون المدح لهم خيمة وحصناً من مصائب الظلم .

وأبرز من جاهر بمهاجمة أعداء آل محمد صراحة من الشعراء :

1- السيد الحميري : الذي يقول [58] (بحر المتقارب)

أزالـــوا الوصـــيةَ عـــنْ أقربيـــهِ إلى الأبعـــدِ الأبعـــدِ الأبعـــدِ

وكـــادوا مواليـــهِ مِـــنْ بعـــدهِ فيـــا عـــينُ جـــودي ولا تجمـــدِ

ويقول معرّضاً بالخوارج [59]: (بحر الوافر)

خـــوارجُ فـــارقوهُ بنهـــروانٍ علـــى تحكيمـــهِ الحســـنِ الجميـــلِ

فمـــالوا جانبـــاً وبغـــوا عليـــه فمـــا مـــالوا هنـــاكَ إلى مميـــلِ

فضّـــلوا كالســـوائمِ يـــومَ عيـــدٍ تنحّـــرُ بالغـــداةِ وبالأصـــيلِ

والمعلوم أنّ الخوارج مرقوا من عسكر علي (ع) بعد التحكيم في صفين وأعلنوا البراءة من ولاية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، بشعار (لا حكم إلاّ لله) .

وله في هجاء الناكثين والقاسطين والمارقين[60] : (بحر البسيط)

أقـولُ لمـا رأيـتُ النـاسَ قـد ذهبـوا في كـلِ فـنٍّ بـلا علـمٍ يتيهونـا

مِـــنْ نـــاكثينَ ومـــرّاقٍ وقاســـطةٍ دانـوا بـدينِ أبـي موسـى ومرجينـا

إنـــي أديـــنُ بمـــا دانَ الوصـــيُ بـــهِ يـــومَ الخريبـــةِ مـــنْ قتـــلِ المحلينـــا

وقال في هجاء النواصب [61]: (بحر المنسرح)

إنْ إمـــرؤٌ خصـــمهُ أبـــو حســـنٍ لعـــازبِ الـــرأيِ داحـــضِ الحجـــجِ

لا يقبـــلُ اللهُ منـــهُ معـــذرةً ولا تـــلا قيـــهِ حجـــةُ الفَلَـــجِ

2- دعبل الخزاعي : الذي يقول في هجاء المأمون الذي ضايقه في عقيدته:[62]

(بحر الكامل)

أيسـومني المـأمونُ خطـةَ عـاجزٍ — أو مـا رأى بـالأمسِ رأسَ محمـدِ
نـوفي علـى هـامِ الخلائـفِ مثلمـا — تـوفي الجبـالُ علـى رؤوسِ القـرددِ
إنـي مـنَ القـومِ الـذين سـيوفهم — قتلـتْ أخـاكَ وشـرّفتكَ بمقعـدِ
رفعـوا محلّـكَ بعـدَ طـولِ خمولـهِ — واستنقذوكَ مـنَ الحضيضِ الأوهـدِ

وقال في بيعة إبراهيم بن المهدي [63] (بحر السريع)

بيعـةُ إبـراهيم مشـؤومةٌ — تُقتـلُ فهـا الخلـقُ أو تُقحـطُ

وقال في هجاء المعتصم إذ لا حقه بسبب اعتقاده : [64] (بحر الطويل)

نقتطع منها :

ملـوكُ بـني العبـاسِ في الكتـبِ سـبعةٌ — ولم تأتنـا عـنْ ثـامنٍ لهـمْ كتـبُ
كذلكَ أهلُ الكهـفِ في الكهـفِ سبعةٌ — خيـارٌ إذا عـدّوا وثـامنهم كلـبُ
وإنـي لأعلـي كلـبهم عنـك رفعـةً — لأنّـكَ ذو ذنـبٍ ولـيسَ لـهُ ذنـبُ

وقال في موت المعتصم وقيام الواثق [65] (بحر البسيط)

الحمـدُ للهِ لا صـبرٌ ولا جَلَـدُ — ولا عـزاءٌ إذا أهـلُ البَلا رقـدوا
خليفـةٌ مـاتَ لمْ يحـزنْ لـهُ أحـدٌ — وآخـرٌ قـامَ لمْ يفـرحْ بـهِ أحـدُ
فمّـرَ هـذا ومـرّ الشـؤمُ يتبعـهُ — وقـامَ هـذا فقـامَ الشـؤمُ والنكـدُ

ويهاجم النظام الأموي والنظام العباسي برمته بسبب اضطهاد الشيعة[66] :

(بحر الكامل)

إنّ اليهـودَ بحبّهـا لنبيّهـا — أمنـت بوائـقَ دهرهـا الخـوّانِ

والمسلمونَ بحبٍّ آلِ نبيّها   يرمونَ في الآفاقِ بالنيرانِ

ولا يكتفي بمهاجمة الأنظمة السياسية بل يخصص مساحة من حربه ضد أبواق الأنظمة السياسية التي تهاجم أهل البيت ، وهذا هو يرد على مروان بن أبي حفصة شاعر العباسيين الذي كان يشتم علياً (ع) [67] (بحر الكامل)

قُلْ لأبنِ خائنةِ البعولِ   وابنَ الجوادةِ والبخيلِ
إنّ المذمةَ للوصي   هي المذمةُ للرسولِ
أمودةُ القربى تحا   ولها بذمٍّ مستحيلِ
أتذمُ أولادَ النبي   وأنتَ مِنْ ولدِ النغولِ

ودعبل يحمل أبا بكر وعمر وعثمان أوزار المظالم التي جرت على أهل البيت على طول الدهر فيقول [68] : (بحر الطويل)

وغشُّ ابنِ سلمى والدّلامُ ونعثلا   بلعنٍ على مرِّ الأداهرِ دائمِ
فانّهم واللهُ أولَ ظالمٍ   وأولَ مَنْ سنّ ارتكابِ المحارمِ
وأولُ غاوٍ في الأنامِ وغاشمِ   فبعداً وسُحقاً للغواةِ الغواشمِ

وله شعر تضمن الكثير من المراثي لأهل البيت التي ضمنها الدفاع عن عقيدته ، أما قصائد المدح في أهل البيت فكثيرة ويضمنها هجاء لأعدائهم.

3- أبو تمام الطائي (أوس بن حبيب) : وهو ممن لم يتكسب بشعره على حساب عقيدته ، لكنه وفق بين العلاقة مع الدولة والدفاع عن مذهب أهل البيت بحرارة منقطعة النظير . وهذا هو القائل في مدح المأمون ليهجو أبا بكر وعمر ومن والهما[69]:

(بحر البسيط)

يا وارثَ الملكِ إنّ الملكَ مُحتبسٌ   وقفٌ عليكَ إلى أنْ تنشرَ الصورُ
ما ضرَّ مَنْ أصبحَ المأمونُ سائسهُ   إنْ لم يُسسْهُ أبو بكرٍ ولا عمرُ

4- ديك الجن الحمصي : وله في الدفاع عن عقيدة الشيعة وعن أهل البيت مواقف مشهورة ، وهو القائل : [70] (بحر الكامل)

طلبَ النبيُ صحيفةً لهمُ … يُملي ليأمنهم مِنَ الغدرِ

فأبوا عليهِ وقالَ قائلهمْ … قوموا بنا قد فاهَ بالهجرِ

يشير إلى قول عمر (إن رسول الله يهجر)[71] وقال أيضاً : [72] (بحر البسيط)

ما لي فراغٌ إلى عثمانَ أندبهُ … ولا شجاني أبو بكرٍ ولا عمرُ

لكم عديٌّ وتيمٌ بل أزيدكمُ … أميةَ ولنا الأعلامُ والغررُ

ولديك الجن مراث كثيرة ومدائح عديدة لأهل البيت يضمنها عقيدته والدفاع عنها وهجو أعدائهم وذكر المظالم التي ألحقها بهم الظالمون لهم بدءاً من عصر الخلفاء الراشدين وقد عدّ محقق ديوانه القصائد التي قالها بالعلويين ثمان قصائد عدد أبياتها 156 بيتاً [73] نقتطع أبياتاً من قصيدة طويلة له اشتملت على الرثاء والتفجع والهجاء المقذع لأعداء أهل البيت والمديح لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته [74] .

في الرثاء : (بحر المنسرح)

ياعينُ لا للغضا ولا الكثبِ … بكا الرزايا سوى بكا الطربِ

جودي وجدّي بملءِ جفنكِ ثمّ … احتفلي بالدموعِ وانسكبي

يا عينُ في كربلاءَ مقابرِ قد … تركنَ قلبي مقابرَ الكربِ

ويكمل مادحاً :

يا صفوةَ اللهِ في خلائقهِ … وأكرمُ الأعجمينَ والعربِ

أنتم بدورُ الهدى وأنجمهُ … ودوحةُ المكرماتِ والحسبِ

وفيها يوجه هجاءه لأول مَنْ ظلم آل محمد (ص) كما يرى :

ما كانَ تيمٌ لهاشمٍ بأخٍ … ولا عديٍ لأحمدَ بأبِ

لكــن حــديثا عــداوةٍ وقلــىً   تهــوى في غيابــةِ الشــقبِ
قامــا بــدعوى في الظلــمِ غالبــةٍ   وحجــةٍ جزلــةٍ مــنَ الكــذبِ

ومما يلاحظ ويستنتج مما سبق :

1- دواوين شعراء العلويين الصحيفة الناطقة باسم الحزب العلوي .

2- تناول شعراء العلـويين أحـداث التـاريخ لتأكيـد حـق الإمـام علـي (ع) في الخلافة .

3- استخدم الشعراء هنا المدح لأهل البيت مبطناً بالهجاء لأعدائهم .

4- استخدم الرثاء والتفجع وفي ثناياه هجاء أعداء العلويين .

المبحث الثالث

حزب الموالي أو(الشعوبية)

الموالي: جمع مولى ، وله في اللغة معاني كثيرة كلها ترجع إلى أصل واحد هو القرب من الولي . فالمولى : المالك والعبد [75] ، وموالي الرجل في الجاهلية : حلفاؤه من بني عمه وإخوته وسائر عصبته ، فالموالي : العصبة . ولما دخل العجم على العرب بعد الفتح العربي بحثوا لهم عن اسم يطلقونه عليهم ، فوجدوا في قوله تعالى (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) [76] فأطلقوا عليهم لفظة (الموالي) . [77]

(والموالي جماعات من الأعاجم خالطوا العرب الحياة بسبب الفتح العربي ، فكان ذلك ثمرة (العتق)) [78] ، (والواقع إنّ أول مَنْ جعل للموالي علاقة قانونية في الدولة هو أبو جعفر المنصور فأوكل إليهم مسؤوليات خطيرة وكبيرة ، و (سار خلفاء بني العباس على نهجه)[79] ، فالفرس يخدمون أسيادهم العباسيين بولائهم (لا بأنسابهم) [80] وكان ذلك سبباً لتأجيج نوازع العرب تجاه الموالي ، على أنّ العرب هم مَنْ منح الحرية للأمم الأخرى ، فهم أهل فضل كبير على الأعاجم لأنهم اهتدوا بالعرب . لكن طائفة من خيار العرب لم تذهب هذا المذهب فجعلت التدين هو المقياس لا الدم (وكان الإمام علي (ع) لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربي على أعجمي ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل فكان هذا من آكد الأسباب في تقاعس العرب عنه) [81] .

الشعوبية والأدب :

اتخذت الشعوبية منهاجاً لنشاطها خطين متعارضين هما :

1- الفخر بالأصل الفارسي

2- هجاء العرب

وفي مقدمة أنصار هذا المنهج (زعيم المولدين والمخضرمين بشار بن برد ، وأبو نواس) [82] ، وأدب هؤلاء كان دعوة للخروج على التقاليد الأدبية الموروثة والاتجاه نحو الأدب الذاتي ، ويدعوه بعضهم ثورة الحضارة على البداوة.[83]

الشعوبية والمجون والزندقة :

المجون هو قلة الاستحياء وارتكاب الأعمال المخلة بالآداب العامة والعرف والتقاليد دون تستر أو استحياء ، وهو في معناه إنّ الماجن مَنْ لم يبال ما صنع وما قيل له . فالمجون خطر جسيم على الأمم إذا ما تحول إلى ظاهرة ، ثم الأخطر من ذلك إذا ما اقترن بالشعر في امة يعد الشعر جزءاً مهماً من تراثها وحضارتها . ففي القرن الأول الهجري لم يكن للمجون وجود بالكيفية التي ظهر بها في صدر القرن الثاني ، إلاّ مسألة فردية وليست تياراً ، لا تتعدى شرب الخمر [84] .

لكن المجون تحول إلى تيار بعد أنْ أصبح الأدب العربي عراقياً لا شامياً ويبدو (أنّ غلاة المجون والزندقة انطلقوا من الكوفة والبصرة لكثرة ما فيهما من موالي منذ الفتح العربي للعراق وما قبل ذلك، حتى ظهر في بغداد على يد أبي نواس الذي دعا إلى اللذة جهراً وطلب الحرية بكل ثمن دون أنْ يعبأ بما سيناله من جرائها) [85] .ويفهم من مقاصد الكتاب بخصوص هذا النص أنّ الكوفة والبصرة كانتا أقرب الحواضر العربية للبلدان الأجنبية من غيرها ، وسكانها يختلط فيه أجناس من غير العرب منذ ما قبل الإسلام ولها ديانات مختلفة ولذا فقد ورد ذلك الرأي على قياس أماكن الثغور في كل مكان ، ولقد ابتدأ المجون وتيار الزندقة ، بالمُجان أبي نواس ، وبشار بن برد ، وحماد عجرد وأبان اللاحقي ، والحسين بن الضحاك ، ومسلم بن الوليد ، ووالبة بن الحباب ، وفضل الرقاشي ، والجماز ، وأبو الشمقمق ، ومطيع بن إياس ، وعدد من الجواري . وقد كان بين هؤلاء الزنادقة نقائض في الشعر تدور حول التسابق في النظم الفاضح وإعلان الرذيلة ومحاربة التقاليد والعرف . وأكد الباحثون أنّ تلك الظاهرة لم تكن نزعة بريئة ساذجة.[86]

فأبو نواس من أبرع الشعراء الشعوبيين وأخطرهم ، فقد برع في فن دس شعوبيته في قصيدة خمر ، ومكان ماجن ، وجلسة زنادقة ، فيتحدث عن ثلب العرب والإسلام من خلال أبيات يمتزج فيها الهزل والمجون . يقول في مهاجمة العرب

(بحر الوافر)

دعِ الأطلالَ تسفيها الجنوبُ ... وتبلي عهد جدّتها الخطوبُ
وخلّ لراكبِ الوجناءِ أرضاً ... تخبُّ بها النجيبةُ والنجيبُ
ولا تأخذ عنِ الأعرابِ لهواً ... ولا عيشاً فعيشهمُ جديبُ
ذرِ الألبانَ يشربها أناسٌ ... رقيقُ العيشِ عندهمُ غريبُ
بأرضٍ نبتها عشرٌ وطلحٌ ... وأكثرُ صيدها ضبعٌ وذيبُ
إذا رابَ الحليبُ فبُلْ عليهِ ... ولا تحرجْ فما في ذاكَ حوبُ
فأطيبُ منهُ صافيةٌ شمولٌ ... يطوفُ بكأسها ساقٍ أريبُ
أقامتْ حقبةً في قعرِ دَنٍّ ... تفورُ وما يحسُ لها لهيبُ
كأنّ هديرها في الدنّ يحكي ... قراةَ القسّ قابلهُ الصليبُ
تمدّ بها إليكَ يدا غلامٍ ... أغنّ كأنّهُ رشأ ربيبُ [87]

وله في المجون والاستهتار السافر يقول : [88]

(بحر الرمل)

قُلْ لمَنْ يبكي على رسمٍ درسْ ... واقفاً ما ضرَّ لو كانَ جَلَسْ
اتركِ الربعَ وسلمى جانباً ... واصطبحْ كرخيةً مثلَ القَبَسْ

ويهاجم العرب في حسبهم ودينهم على نحو سافر خالطاً هجاءه للعرب كلاماً فاحشاً ماجناً فيقول [89]

(بحر المجتث)

إنّما همّتي غزا ... لٌ وصهباءُ كالذهبِ

إنّمــا العــيشُ يــا أخــي حــبُّ خشــفٍ مــنَ العــربِ
فــإذا مــا جمعتــهُ فهــو الــدينُ والحســبُ

ويذهب هذا الشاعر مذهباً بعيداً إذ يسمي قبائل العرب بالهجاء صراحة ثم ينكر وجود العرب ويصفهم على أنهم لا شيء فيما بعد فيقول : [90] (بحر البسيط)

قالوا ذكرتَ ديارَ الحي منْ أسدٍ لا درّ درّكَ قُلْ لي مَنْ بنو أسدِ
ومَنْ تميمٌ ومَنْ قيسٌ وإخوتهم ليسَ الأعاريبُ عندَ اللهِ مِنْ أحدِ
دعْ ذا عدمتكَ واشربها معتّقةً صفراءُ تعنقُ بينَ الماءِ والزبدِ

وبشار بن برد لا يقل عن أبي نواس لؤماً على العرب ، فهو الآخر يجاهر في عدائه للعرب . إذ يقول : [91] (بحر البسيط)

أرفقْ بعمروٍ إذا حركتَ نسبتهُ فانّهُ عربيٌّ مِنْ قواريرِ

فهو ليس فقط يهجو بل يسخر من العرب أيضاً . ويبلغ مبلغاً فضيعاً في هجو العرب مفتخراً عليهم بقوله : [92] (بحر الوافر)

أحينَ كُسيتَ بعدَ العُري خَزّاً ونادمتَ الكرامَ على العُقارِ
تُفاخرُ يا ابنَ راعيةٍ وراعي بني الأحرارِ حسبكَ مِنْ خسارِ
وكنتَ إذا ظمئتَ إلى قُراحٍ شركتَ الكلبَ في ولغِ الإطارِ

ولم يكتف بشار إذ يجعل العربي شريكاً للكلب في ولغه ، ويصفه بأنه راع وابن راعية ، وإنما تحدى جميع العرب بشرف النسب والحسب ، إذ ذكر كسرى على انه جده وساسان أبوه وخاله قيصر ملك الروم ، فهو قال صراحة أنّ محتد الفرس (آباؤه) ومحتد الروم (أخواله) يفضل نسب العرب كلهم جميعاً:

(من مجزوء الرجز)

هَـــلْ مِـــنْ رســـولٍ مُخـــبرٌ عنّـــي جميـــعَ العـــربِ

بـــأنني ذو حســـبِ عـــالٍ علـــى ذي الحســـبِ

جـــدّي الـــذي أسمـــو بـــهِ كســـرى وساســـانُ أبـــي

وقيصـــرٌ خـــالي إذا عـــددتُ يومـــاً نســـبي [93]

وهو يفتخر بكسرى (جده) و (ساسان) أبيه ثم يتوعد شهر رمضان ماذا سيكون من الزنادقة إذا ما حلّ شهر شوال . إذ يقول ! : [94]

قُلْ لشهرِ الصيامِ أنحلتَ جسمي إنّ ميقاتنـــا طلـــوعُ الهـــلالِ

أجهِـدِ الآنَ كـلَّ جهـدكَ فينـا ســترى مـا يكـونُ في شـوّالِ

وينظم الشاعر ابا يعقوب اسحق

بن حسان

وينضم الشاعر أبو يعقوب اسحق بن حسان بن قوهي الخريمي إلى رهطه من الشعوبيين لهجاء العرب والفخر بنسبه فيقول : [95] (بحر الطويل)

ألا هَلْ أتى قومي مَكرّي ومَشهدي (بقـاليقلا) والمقربـاتُ تثـوبُ

تـداعتْ معـدّ شـيبُها وشـبابها وقحطـانُ منهـا حالـبٌ وحليـبُ

لينتهبـوا مـالي ودونَ آنتهابـهِ حسـامٌ رقيـقُ الشـفرتينِ خشـيبُ

وناديتُ مِنْ(مـروٍ) و (بلـخ) فوارساً لهـا حسـبٌ في الأكـرمينَ حسـيبُ

وانّ أبـي ساسـانُ كسـرى بـنَ هرمـزٍ وخاقـانَ لـي لـو تعلمـينَ نسـيبُ

ملكنا رقابَ النـاسِ في الشـركِ كلّهـم لنـا تـابعٌ طـوعَ القيـادِ جنيـبُ

نسـومكمُ خسـفاً ونقضـي علـيكمُ بمـا شـاءَ منّـا مخطـئٌ ومصـيبُ

ويقول مفتخراً بنسبه : [96]

(بحر البسيط)

إني امرؤ مِنْ سراةِ الصُغدِ ألبسني عرقُ الأعاجمِ جلداً طيبَ الخبرِ

وفي قصيدة أخرى يعبر عن أنفته من العرب فيقول [97]

وما ضّرني إنّ لَمْ تلدني (يحابرٌ) ولَمْ تشتملْ (جرمٌ) عليّ ولا (عكلُ)

ويبدو أنّ الحسين بن الضحاك الخليع ، كان أكثر اهتماماته نشر المجون والفجور واللواط ، ويميل أحياناً إلى الشعر القصصي ليحكي للآخرين مغامراته الماجنة فيقول : [98]

(بحر الهزج)

أنا الخليعُ فقوموا إلى شرابِ الخليعِ
إلى شرابٍ لذيذٍ وأكلِ جدْيٍ رضيعِ
ونيلِ أحوى رخيمٍ بالخندريسِ صريعِ
في روضةٍ جادها صوبُ غادياتِ الربيعِ

وفي التهتك : ونجتزئ آخر أبيات القصيدة [99] (بحر المنسرح)

دسَستْ صفراءَ كالشعاعِ لهُ مِنْ كفّ علجٍ يدينُ بالإفكِ
حتى إذا رنّحتهُ سَورَتُها وأبدلتهُ السكونَ بالحركِ
كشفتُ عنْ وزّةٍ مزعفرةٍ في لينِ صينيةٍ مِنَ الفلكِ

وفي جلسة للشعراء الماجنين مشحونة بالزندقة يختم قصيدة اعرضنا عن ذكرها إلاّ البيت الأخير منها : (بحر الكامل)

فهتكتُ سترَ مُجونهِ بتهتكي — في كُلِّ ملهيةٍ وبحتُ وباحا[100]

والأبيات الثلاثة التالية تعكس رؤية الشعراء الشعوبيين ، أمام الدين والشريعة ، وهذا أبو نواس يعبر عن الجميع بقوله :[101] (بحر الطويل)

لقدْ جَنّ مَنْ يبكي على رسمِ منزلٍ — ويندبُ أطلالاً عفونَ بجرولِ
ولكنني أبكي على الرّاحِ إنها — حرامٌ علينا في الكتابِ المنزّلِ
سأشربها صرفاً وإنْ هي حرّمتْ — فقد طالما واقعتُ غيرَ مُحللِ

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1. وظف الشعراء الشعوبية في الفخر و المدح وهجاء العرب وكان في مقدمة الشعراء بشار بن برد وأبي نواس .
2. وظف الشعراء الشعوبية بمحورين أولهما هجاء حياة العرب البدائية والأخذ بأسباب الترف وثانيهما الدعوة إلى ترك الأطلال
3. وظف الشعراء الزندقة في غرض الهجاء والأستهتار بالمناسك الدينية .

المبحث الرابع

هجاء رجال الدولة

يقول أحد الباحثين في تعريف رجل الدولة : (نقصد برجل الدولة من أتت منزلته بعد منزلة الوزير والى أصغر موظف من موظفي الدولة) [102] . ولا اعلم مسوغاً لإعفاء الخليفة والوزير من هذا التعريف الشامل ، فالخليفة هو المسؤول الأول ويليه الوزير ، والخليفة سبق بحثه كشخصية سياسية في مباحثنا السالفة . أما الوزير فشخصية سياسية تميل وتخطئ فتهجى من جانب سياسي إداري .

إنّ سوء النظام الإداري والسياسي في الدولة ، دفع الشعراء إلى توجيه سهام النقد إلى أولئك المسؤولين عن ذلك التردي والانحطاط في مجالات الحياة العامة كلها ، وهجاء رجال الدولة يعني من جهة غير مباشرة طعن الخلافة العباسية والانتقاص من العباسيين في مجال الحكم السياسي والإداري ، وقد شمل هذا الطعن ولاة الأمور ورجال الدولة من قمة الهرم العباسي الحاكم (الخليفة) إلى اصغر عامل حكومي ممن يسهمون في إدارة شؤون الدولة ، يذمونهم ويرمونهم بالضعف والظلم والانغماس في اللهو والملذات والمنافع الشخصية على حساب الحق .

لقد كان كثير – بفعل التركيبة البشرية الهجينة للنظام – من رجال الدولة العباسية بعيدين عن الإخلاص فيما يتولونه من أعمال ، الكثير منهم كان سريع الخطأ نحو الكسب الحرام ، واستغلال المركز الرسمي ، وطلب اللذة والعبث ، يسود علاقاتهم الحسد والرياء والكذب والتطلع نحو المركز الأحسن ، وكانوا بعيدين كل البعد عن خدمة الرعية ، وأصبحوا عرضة لان ينال منهم الشعراء ، وينقدوا سلوكهم ، ولذلك نجد كثيراً من الحكام تعرضوا لسهام النقد والهجاء ، وكان الشعراء يعبرون عن الرأي العام الساخط .

1- هجاء الوزراء : الوزير هو الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة في إدارة شؤون الدولة وتسيير سياستها ، وكان الوزراء في العصر العباسي الأول

متمتعين بالاستقلال الى حد كبير في مناصبهم ، بل كانت لهم سيطرة حتى على الخلفاء .

ورجل خطير المركز السياسي ، كثير المسؤوليات كالوزير ، يستوجب ان يتميز عمن سواه بالعلم الوافر والعقل المتفتح والحنكة الإدارية والسياسية والإيمان العميق بالعدل والمساواة والصدق في القول والعمل ، ولكن معظم الوزراء العباسيين لم يكونوا أهلاً لان يضع فيهم الناس ثقتهم ، فهؤلاء الوزراء سرعان ما كان يملؤهم الغرور بالمنصب ، والاستعلاء في علاقاتهم مع الآخرين ، فينقطعون للثراء والنساء مهملين الرعية اشد الإهمال .

وكان الوزراء في طليعة من مزقهم الهجاؤون اذ كانوا مجموعة متكبرة ظالمة تتيه بكرسي الحكم فلم يعتبروا بغيرهم [103] ، والسلوك الشائن في السياسة والإدارة يثير في النفوس الحنق والغضب ، والشعراء أسرع الناس تعبيراً عما يعتمل في نفوسهم وفي نفوس الآخرين من الألم والشعور الممض فينبرون إلى مهاجمة الوزير بما يرونه فيه من عيوب ونواقص . ومما هجي به الوزراء ، فساد أخلاقهم ، وأعمالهم الباطلة ، وأصولهم وجذورهم ، ومن ذلك قول بشار بن برد يهجو (يعقوب بن داود) وزير الخليفة العباسي المهدي : [104]

(بحر البسيط)

لا ييأسنَّ فقيرٌ مِنْ غنى أبداً ... بعدَ الذي نالَ يعقوبُ بنَ داودِ

قد صارَ مِنْ بعدِ إشرافٍ على تلفٍ ... وبعدَ غلٍ على الزندينِ مشدودِ

أخاً لمهديّ خلقِ اللهِ كلّهمُ ... يوفى بهِ فوقَ أعناقِ الصناديدِ

لئن حَسدتَ على ما نلتَ مِنْ شرفٍ ... فقد غنيتُ زماناً غيرَ محسودِ

يا أيها الناسُ قد ضاعتْ خلافتكمْ ... إنّ الخليفةَ يعقوبُ بنَ داودِ

ضاعتْ خلافتكمْ يا قوم فالتمسوا ... خليفةَ اللهِ بينَ الزّقِ والعودِ

ويعود بشار ليتناوله هجواً ، تناولاً مرّاً فيقول : [105] (بحر البسيط)

لله درك يـا مهـديّ مِـنْ ملـكٍ ... لـولا اصطناعكَ يعقـوبُ بـنَ داودِ

أمـا النهـارُ فنغمـاتٌ وقرقـرةٌ ... والليـلُ يـأوي إلى المزمـارِ والعـودِ

والمستوى الاجتماعي السابق للوزراء من حيث مهنة الأسرة ونحو ذلك كان ميداناً لتدخل الشعراء في تقييم هذه الفئة من الحكام ، وهذا (علي بن جبلة العكوك) لم يسلم من لسانه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وهنا اقرب للمقام من حيث هجائه كوزير من باب هجائه كشاعر ، لارتباط معاني العكوك بالموضوع . فيقول[106]: (بحر البسيط)

يا بـائعَ الزيـتِ عـرّج غـيرَ مرمـوقِ ... لتشـغلنَّ عـنِ الأرطـالِ والسّـوقِ

مَـنْ رامَ شـتمكَ لم ينـزعْ إلى كـذبٍ ... في منتمـاه وأبـداهُ بتحقيـقِ

إنْ أنتَ عدّدت أصـلاً لا تسـبُ بـهِ ... يومـاً فأمّـكَ مـني ذاتَ تطليـقِ

الله أنشـاكَ مِـنْ نـوكٍ ومِـنْ كـذبٍ ... لا تعطفـنَّ إلى لـومِ لمخلـوقِ

مـاذا يقـولُ امـرؤٌ غشّـاكَ مدحتـهُ ... إلاّ ابـنُ زانيـةٍ أو فـرخُ زنـديقِ

وهذا الهجاء يذهب الى حيث القبح والبذاءة والفحش والابتعاد عن العفة .
ويشترك علي بن الجهم مع دعبل في معركة ضد الزيات فيقول : [107]

(بحر السريع)

أحسـنُ مِـنْ تسـعينَ بيتـاً سـدىً ... جمعـكَ معنـاهنَّ في بيـتِ

مـا أحـوجَ الملـكَ إلى مطـرةٍ ... تغسـلُ عنـهُ وَضَـرَ الزيـتِ

ومن المعاني التي هجي بها الوزراء البخل ، وعدم الكرم والمطل ، يقول بشار بن برد)[108] : (بحر الطويل)

أضلتْ علينا منكَ يوماً سحابةً أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأسُ طامعٌ ولا غيثها يأتي فيروي عطاشها

وما قاله أبو نواس في هجاء بخلاء الوزراء وهو لا يخلو من الفحش في هجاء الفضل بن الربيع [109] .

(بحر السريع)

يا فضلُ قد أودعتني عظّةً ما بعدها غلطٌ ولا سهو

أنتَ الذي ألفَ السمّاحَ فما غيرَ السّماحِ لقلبهِ لهو

تغدو جميعَ العرضِ وافرهُ والمالُ معتصرُ النّوى نضو

ومن التهم التي اتهم بها الشعراء رجال الدولة الجنون ، ومن المعروف أنّ من أسس مؤهلات الحاكم السياسي والديني في الإسلام هو العقل . فنجد دعبل الخزاعي يهجو الحسن بن سهل . فيقول [110] (بحر البسيط)

لا تحمدنّ (حسناً) في الجودِ إنْ مطرتْ كفّاهُ جزلاً ولا تذممهُ إنْ رزما

فليسَ يبخلُ إشفاقاً على جدةٍ ولا يجودُ لفضلِ الجودِ مغتنما

لكنها خطراتٌ مِنْ وساوسهِ يعطي ويمنعُ لا بخلاً ولا كرما

ويصرخ (علي بن الجهم) بوجه من لا مروءة له من الوزراء قائلاً[111]:

(بحر الخفيف)

قلتُ لها حينَ أكثرتْ عذلي ويحكَ أزرتْ بنا المروءاتُ

قالتْ ولِمَ ذاكَ قلتُ فاعتبري هذا وزيرُ الإمامِ زيّاتُ

وتناول مروان بن أبي حفصة الغش عند الوزراء ، فانزل جام غضبه على رأس يعقوب بن داوود . قائلاً [112]: (بحر الطويل)

سيُحشَرُ يعقوبُ بنُ داوودُ خائباً يلوحُ كتابٌ بينَ عينيهِ كافرُ
بدا منكَ للمهدي كالصّبحِ ساطعاً مِنَ الغشّ ما كانتْ تجنُّ الضّمائرُ
أمنزلةٌ فوقَ التي كنتَ نلتها تعاطيتُ لا أفلحتْ ممّا تحاذرُ

2- هجاء الولاة : الوالي هو احد رجال الدولة ، وكان الوالي يمثل دور الخليفة والوزير في ولايته ، مع اختلاف الصلاحيات ، ولقد تناول الشعراء الولاة بالهجاء في حال الظلم أو الخطأ أو عدم كفاية المؤهلات ، لكن الأسباب الأساسية قد تكون عدم الحصول على العطاء وقلة الهدية ، فتفتح عليهم نار الهجاء ، بمادة البخل والمطل والظلم والتكبر على الأصدقاء والمعارف القدماء وعدم الوفاء فالشاعر بشار بن برد ، يتناول قبيصة بن روح بن حاتم المهلبي ، ومدح داوود بن يزيد بن حاتم [113] .

(بحر الكامل)

أاقبيصُ لستَ وانْ جهلتَ ببالغٍ سعي ابنَ عمّك ذي الندى داوودِ
شتانِ بينكَ يا قبيصُ وبينهُ أنتَ الذميمَ ولستَ كالمحمودِ
اختارَ داودُ البلاءَ مكارماً واخترتَ أكلَ صفائفٍ وثريدِ
داودُ محمودٌ وأنتَ مذمّمٌ عجباً لذاكَ وأنتما مِنْ عودِ

يقول الشاعر له انك لا تستطيع الوصول إلى ما وصل إليه ابن عمك وان تجاهلته حسداً ، ويدق إسفينا نفسياً بينه وبين ابن عمه ، فيحقق غرضه في هجاء الأول كمنتقم ، ويكسب الآخر إلى صفه في صفقة هجائية مدحية واحدة. وقال ربيعة الرقّي في هجاء احد الولاة يسمى العباس بن محمد[114] :

(بحر الوافر)

هززتكَ هزّةَ السيفِ المُحلى فلما أنْ ضربتُ بكَ انثنيتُ

مدحتكَ مدحةَ الطرفِ المُجلّي لتجري في الكرامِ كما جريتُ

فهبها مدحةً ذهبتْ ضياعاً كذبتُ عليكَ فيها وافتريتُ

فأنتَ المرءُ ليسَ لهُ وفاءٌ كأني إذ مدحتكَ قد زنيتُ

يعبر الشاعر عن ندمه لأنه مدحه ويساوي هذا المديح والزنا في الإثم لان أمامه شخص لا وفاء له وكأنه كان مغشوشا به.

وقال أبو العتاهية في سوء البخل وسوء المعاملة من الولاة، وهو يهجو أبا جعفر احمد بن يوسف:[115] (بحر الكامل)

لئنْ عدتُ بعدَ اليومِ إني لظالمٌ سأصرفُ نفسي حيثُ تُبغى المكارمُ

متى يظفرُ الغادي إليكَ بحاجةٍ ونصفكَ محجوبٌ ونصفكَ نائمُ

ومثل هذا فعل أبو تمام الطائي، إذ مدح ثم عاد فهجا المطلب الخزاعي[116]

(بحر السريع)

أولُ عدلٍ منكَ فيما أرى أنكَ لا تقبلُ قولَ الكذبِ

مدحتكمُ كذباً فجازيتني بخلاً لقد أنصفتَ يا مطّلبْ

يتناول الشاعر الوالي بالبخل، وعدم إعطاء المال ولكن الشاعر يعطيها مسوغاً منطقيا جميلا كمن يقول (انا المذنب واستحق منك هذا الموقف).

ويشترك معهما الشاعر عبد الصمد بن المعذل في هجاء الوالي سعيد بن سلم، ويبدو من خلال هذه المواقف أنّ بعض الولاة لا يعبأون بالهجاء ولا بالمديح ، فالبخل لديهم سجية لا يخترقها المديح ولا يهزها الهجاء.[117]

(بحر الطويل)

لكلّ أخي مدحٍ ثوابٌ يعدّهُ وليسَ لمدحِ الباهليّ ثوابُ
مدحتُ ابنَ سلمٍ والمديحُ مهزّةٌ فكانَ كصفوانٍ عليهِ ترابُ

يشير الشاعر إلى قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين)(118)

ومما قاله دعبل في هجاء الولاة بسبب البخل، هجاؤه لعبد الله بن طاهر:(119)

(بحر الخفيف)

يا جوادَ اللسانِ مِنْ غيرِ فعلٍ ليتَ في راحتيكَ جودُ اللّسانِ

ومن الهجاء الفاحش ضد الولاة ، قول بشار في هجاء (منجاب بن أبي عيينة بن المهلب) يقول : (120)

(بحر البسيط)

أفّ لهُ والياً ما كانَ أحمقهُ يومَ استخفَ بإخواني وأصحابي
قالَ الخبيرُ بمنجابٍ وسوءتهِ لما رأى دأبي سرّاً وإدابي
إذا طلبتُ إلى المنجابِ نافلةً فاطلب بأيركَ لا تطلب بكرّابِ

وهي قصيدة طويلة جميع أبياتها من الفحش والسب والشتم من قول السفلة .

ومن هجاء التأنيب العنيف والزجر الشديد قول أبي تمام في هجاء صالح بن عبد الله الهاشمي ، وهو من الولاة أيضاً : يقول (121)

(بحر البسيط)

يا أكرمَ الناسِ آباءً ومفتخراً وألأمَ الناسِ مبلوّاً ومختبرا
يغضي الرجالُ إذا آباؤه ذكروا لهُ ويغضي لهم إنْ فعلهُ ذكرا

وفي هجاء عبد الصمد بن المعذل ما يتعرض للأعراض في هجاء الوالي أبا رهم السدوسي يقول :[122]

(بحر السريع)

لو جادَ بالمالِ أبو رهمٍ ... كجودهِ بالأختِ والأمِ
أضحى وما يعرفُ مثلٌ لهُ ... وقيلَ أسخى العربِ والعجمِ

ويتعرض علي بن الجهم لقوم من ولد علي بن هشام إذ ولاه المأمون أذربيجان هاجياً:[123]

(بحر الكامل)

حاجيتكم مَنْ أبوكم يا بني عصَبٍ ... شتّى ولكنّما للعاهرِ الحجرُ
ولَمْ تكنْ أمكم واللهُ يكلؤها ... محجوبةً دونها الحراسُ والسترُ
كانتْ مغنيةَ الفتيانِ إنْ شربوا ... وغيرَ ممنوعةٍ منهم إذا سكروا
قومٌ إذا نسبوا فالأمُ واحدةٌ ... واللهُ أعلمُ بالآباءِ إذ كثروا

فهو يطعن بصحة نسبهم بسبب وضع أمهم وينطبق عليهم الحديث الشريف (الولد للفراش وللعاهر الحجر)[124] أي لا حظّ للزاني في الولد وإنما هو لصاحب الفراش. ويذهب الشاعر الهجّاء لنبش تاريخ الوالي الأسري ، ليلتقط منه ما ينفعه ، ومن تلك الفقرات الخطيرة التي يبحث عنها الشاعر هي (الأعراض) لهم ولقبائلهم وأسرهم وأولادهم خاصة وهذا دعبل يتناول الوالي مالك بن طوق قائلاً :[125]

(بحر السريع)

انّ ابنَ طوقٍ وبني تغلبٍ ... لو قتّلوا أو جرّحوا قصره
لَمْ يأخذوا مِنْ ديّةٍ درهماً ... يوماً ولا مِنْ أرشهم بعره
دماؤهم ليسَ لها طالبٌ ... مطلولةٌ مثلَ دمِ العذره
وجوههم بيضٌ وأحسابهم ... سودٌ وفي آذانهم صفره

وللتكبر في الهجاء ثمن باهظ ، فإذا ما تكبر الوالي على الناس انتشبته سهام الشعراء كما قال عبد الصمد بن المعدّل يقصد والي (النفاطات) : [126]

(بحر الطويل)

لعمري لقد أظهرتَ تيهاً كأنّما توليتَ للفضلِ بنَ مروانِ عكبرا

وما كنتُ أخشى لو وليتَ مكانهُ عليّ أبا العباسِ أنْ تستغيرا

لحفظُ عيونِ النفطِ أحدثتَ نخوةً فكيفَ بهِ لو كانَ مِسكاً وعنبرا

دعِ الكبرَ واستبقِ التواضعَ انهُ قبيحٌ بوالي النفطِ أنْ يتكبرا

والجبن والحمق من أقبح الصفات عند العامة فكيف إنْ كان الجبان والأحمق والياً ، وهذا دعبل يهاجم المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي هاجياً : [127]

(بحر المتقارب)

أمطلبُ دَعْ دعاوى الكماةِ فتلكَ لحيزةٌ لا رتبهْ

وما المالُ جاءكَ مِنْ مغنمٍ ولا مِنْ ذكاءٍ ولا كسبهْ

عطاياكَ تغدو على سابحٍ وطوراً على بغلةٍ ندبهْ

ولو يرزقُ الناسُ مِنْ حيلةٍ لما نلتَ كفّاً من التربهْ

ولو يشربُ الماءُ أهلَ العفافِ لما نلتَ مِنْ مائهم شربهْ

ولو خُصّ بالرزقِ نجلَ الكرامِ لما نلتَ خيطاً ولا هدبهْ

ولكنهُ رزقُ مَنْ رزقهُ يعمّ بهِ الكلبُ والكلبهْ

3- هجاء القضاة والفقهاء :

القاضي هو رجل الشرع الأول في الدولة والمسؤول وكذلك الفقيه بأمور الدين وعلاقته بالدنيا ، والمأمول بهذا الشخص ان يكون ورعاً عادلاً حافظاً لحدود الله بعيداً عن الهوى . ولكن الهجاء لم يتوقف عند احد من الناس اذ شمل القضاة

والفقهاء كغيرهم ممّن يمارس الخطأ ويسلك طريق الخداع والرياء والفجور ، لقد استطاع الشعراء تتبع نواقصهم ومهاجمتهم كما هو الحال في غيرهم من الخلفاء والأمراء والوزراء والولاة .

يقول محمود الوراق في هجاء القضاة أهل (الجور) : [128]

(مجزوء الكامل)

كنّا نفرُ مِنَ الولاةِ ... الجائرينَ إلى القضاةِ

فالآنَ نحنُ نفرُ مِنَ ... جورِ القضاة إلى الولاةِ

والجهل غير مقبول بالقاضي فكيف يحتكم الناس لجاهل في أمورهم الدينية والدنيوية والشاعر عبد الصمد بن المعذل يتعرض للقاضي التيمي : [129]

(بحر الوافر)

أبو إسحاقٍ صاحبهُ معنّى ... يروح ويغتدي في غيرِ معنى

وينظرُ في القضاءِ بغيرِعلمٍ ... وأجهلُ ما يكونُ إذا تأنى

وان كان رجال الدولة على اختلاف وظائفهم لم يسلموا من الهجائين إذا ما مارسوا اللهو والطرب والغناء والسهر في الليالي الملاح ، فكيف يسلم من ذلك القاضي والفقيه.

يقول أبو العتاهية في قاضٍ : [130]

(بحر المتدارك)

همّ القاضي بيتٌ يُطربْ ... قالَ القاضي لّما عُوتبْ

ما في الدنيا إلاّ مُذنبْ ... هذا عذرُ القاضي واقلبْ

وفي هذا المعنى قال عبد الصمد بن المعذل أيضاً وهو يهجو احمد بن رياح قاضي البصرة : [131]

(بحر الهزج)

أيا قاضيةَ البصرة ... قومي فارقصي خطره

ومرّي برواسيكِ ... فماذا البردُ والفتره

أراكِ قــــد تــــثيرينَ عجـــاجَ القصـــفِ يـــا حــره
وتحــــذيفكِ خـــدّيكِ وتجعيـــــدكُ للطــــره

وهجا الشعراء الفقهاء بسبب شططهم وخروجهم عمّا يرضي الله ، ونجد الشافعي يعرف الفقيه تعريفاً واضحاً وصريحاً بقوله : (132)

إنّ الفقيـــهَ هـــو الفقيـــهُ بفعلـــهِ لـــيسَ الفقيـــهُ بنطقـــهِ ومقالـــهِ

ولم يسلم الحسن البصري من متابعة بشار بن برد له ورصد علاقاته الخاصة ، ولقد كان بشاراً يسمي الحسن البصري (القس) لأنه كما يبدو كان يلتقي مع النساء في خلوة كما يفعل القس في الكنيسة . يقول فيه : (133)

(مجزوء الكامل)

لّمـــا طلعـــنَ مِـــنَ الرقيـــقِ علـــيّ بـــالبردان خمســـاً
وكـــــأنهنَ أهلّـــــةٌ تحـــتَ الثيـــابِ زففـــنَ شمســـا
لـــولا تعرضّـــهنَ لـــي يـــا قـــسُ كنـــتُ كأنـــتَ قســـاً

وبأسلوب قصصي يتعرض أبو نواس لأهل الدين بسبب زندقته يقول (134)

(بحر الكامل)

إنـــي قصـــدتُ إلى فقيـــهٍ عـــالمٍ مُتنســـكٌ حـــبرٌ مِـــنَ الأحبـــارِ
قلـــتُ : النبيـــذُ تحلـــهُ ؟ فأجـــابَ لا إلاّ عقـــارٍ ترتمـــي بشــــرارِ
قلتُ : الصلاةُ فقالَ : فـرضٌ واجـبٌ صـلّ الصـلاةَ وبـتْ حليـفَ عقـارِ
قلـتُ الصـيامَ : فقـالَ لـي : لا تنـوهِ واشـــددِ عـــرى الإفطـــارِ بالإفطـــارِ

إلى أنْ يقول :

ودنـا إلـيّ وقـالَ نصـحكَ واجـبٌ زيّـــنْ خصـــالكَ هـــذهِ بقمـــارِ

وكانت قصيدة طويلة مليئة بالفاحشة .

ويهاجم أبو نواس الفقهاء وتلاميذهم ، وأهل العروض والنحو وعلم الكلام ، بسبب زندقته بأسلوب فضّ فاحش يقول [135]

(بحر الهزج)

إذا مـــا وطـــيءَ الأمـــردُ	للعلـــمِ حصـــى المســـجدْ
فقـــد حـــلّ لنـــا عقـــداً	مِـــنَ التّكّـــةِ تســـتعقدْ
فـــانْ كـــان عروضـــياً	فقولـــوا : ســـجدَ الهدهـــد
وإن أعجبـــهُ النّحـــوُ	فهـــذاكَ لنـــا أجـــودْ
وإنْ مـــالَ إلى الفقـــهِ	فللفقـــهِ لـــهُ أفســـدْ
وإنْ كـــانَ كلاميّـــاً	فحـــرّكْ طـــرفَ المقـــودْ

ومما يلاحظ ويستخلص مما تقدم :

1- إنّ الشعراء الهجائين كانوا يلاحقون الخلفاء والوزراء ومَنْ يليهم من رجال الدولة ليتدخلوا في خصوصياتهم لاستخدامها وقت اللزوم حينما يكون الموقف مناسبًا للهجاء .

2- على الأعم إنّ الهجاء يوجه لرجال الدولة لا بدافع المنفعة العامة والحرص على أنّ يسير النظام في الدولة على الوجه الحسن ، لكن من أجل الانتقام لعدم تحقق المصالح الشخصية للشعراء .

3- إنّ بعض الهجاء كان فاحشاً ومختلقاً بقصد إهانة المهجو بقسوة .

الهوامش

([1]) الهجاء عند ابن الرومي ص104 .

([2]) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، ص23.

([3]) ينظر الهجاء الجاهلي صوره واساليبه الفنية ، ص160 .

([4]) ينظرالهجاء والهجاؤون في الجاهلية ص24 .

([5]) ينظر : الهجاء الجاهلي – صوره وأساليبه الفنية ص159 .

([6])ينظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ص115 – 124 .

([7]) الهجاء ، سامي الدهان ، ص 57.

([8]) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ، ج1 ، ص49 .

([9]) ينظر : تاريخ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني الهجري ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1953 ، ص24.

([10]) المفضليات ص296 .

([11]) تاريخ الطبري (الأمم والملوك) الجزء الثاني ، ص193 ، وكذلك تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير القرشي الدمشقي ، دار مصر للطباعة (ج3 ص337 في تفسير سورة الروم)

([12]) ديوان الأعشى ، طبعة أوربا ، ص227 .

([13]) ديوان حسان بن ثابت ، الهيئة العامة للكتاب ، ص74 .

([14]) روائع الحكم في أشعار الإمام علي بن أبي طالب ، ص28 .

([15]) المصدر نفسه ص29 .

([16]) المصدر السابق نفسه ص99 .

([17]) الهجاء ، سامي الدهان ص59 .

([18]) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، شكري فيصل ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد ، 1952م ، ص315.

(19)التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ص33 .

(20) ينظر : المصدر نفسه ، ص33.

(21) ينظر الهجاء عند ابن الرومي ص104 .

(22) الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام ص24 .

(23)الهجاء عند ابن الرومي ص108 .

(24) فصول في الشعر ونقده ، ص61 .

(25) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص402 .

(26) ينظر المصدر السابق نفسه ، ص403 .

(27) سورة الأنفال الآية 75 .

(28) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص90.

(29)اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص406.

(30) ديوان بشار بن برد ، ق173 ، ص262 .

(3) الديوان نفسه ق46 ص75 .

(32) ديوان مروان بن أبي حفصة ، ق61 ص99 .

(33) سورة الأنفال الآية 74 .

(34) ديوان مروان بن أبي حفصة ، قصيدة 66 ، ص104 ، ق3 ص18 .

(35)الأغاني ، ج1 ص95 .

(36) الطليق : هو العباس بن عبد المطلب حارب مع قريش في بدر وأسر ، وأطلق سراحه فالخلافة عليه حرام. ولذا لم يطلبها لنفسه وكذلك ابنه عبد الله وكان من أشد المظاهرين لعلي (ع) .

(37) ديوان أبي تمام الطائي ، مجلد 1 ، ق77 ، ص344 .

(38) ينظر جمهرة رسائل العرب في عصر العربية الزاهرة – أحمد زكي صفوت – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة الأولى 1356 هـ 1937م ج1 ص473 .

(39) ديوان علي بن الجهم ق152 ص211 .

(40) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، مطابع الشعب ، مصر ، 1378هـ ، ج2 ، ص76 .

- سنن الترمزي : محمد بن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج5 ، ص300 .
- سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد بن ماجة ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ج1 ، ص44.
- المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، طبعة الهند ، ج3 ، ص109 .

(41) ديوان بشار بن برد : ق105 ، ص155 .

(42) ديوان بشار بن برد : ق157 ، ص233 .

(43) ديوان ابي العتاهية : ق261 ، ص165.

(44) ديوان علي بن الجهم : ق172 ، ص221.

(45) ديوان أبي العتاهية : ق 3 ، ص20 .

(46) ديوان محمود الوراق : ق 172 ، ص129 .

(47) ديوان الزيات : ق3 ص2.

(48) ديوان عبد الصمد بن المعذل : ق 6 ، ص78 .

(49) ديوان علي بن الجهم ق 4 ، ص60 .

(50) ديوان علي بن الجهم ق 44 ، ص99 ، وينظر ق 52 ، ص106 .

(51) ينظر عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، النسابة الشهيد السيد جمال الدين احمد بن علي الحسني المعروف بابن معية المتوفي سنة 828 هـ ، دار الأندلس 1988، ص352 .

(52) ديوان السيد الحميري ، القصيدة 27 ، ص34 .

([53]) ينظر المصدر نفسه ق44، 54 ، 56 ، 76 ، الخ .

([54]) ديوان دعبل الخزاعي . قصيدة 27 ، ص270 ، الناكثون : أصحاب الجمل – القاسطون أصحاب معاوية – المارقون : الخوارج أهل النهروان

([55]) ديوان الشافعي ق 96 ص72 .

([56]) ديوان دعبل ، ق 24 ص269 .

([57]) التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول ، محسن غياض – مطبعة النعمان – النجف 1973 ص103.

([58]) ديوان السيد الحميري ، ق68 ص73.

([59]) الديوان نفسه ، ق149 ص135.

([60]) ديوان السيد الحميري ق181 ص159 ، ينظر ق64 ص71 .

([61])الديوان نفسه ق38 ص52.

([62]) ديوان دعبل . ق75 ص97 ، المقصود برأس: محمد الأمين بن الرشيد وكانت خزاعة جيش المأمون في حرب الأمين وينظر أيضاً تاريخ دمشق ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار مصر للطباعة ، ص182.

([63]) الديوان نفسه ، ق132 ، ص137 .

([64]) ديوان دعبل الخزاعي ، ق10 ، ص51.

([65]) الديوان نفسه ، ق66 ، ص93.

([66]) الديوان نفسه ، ق29 ، ص273.

([67]) الديوان نفسه ، ق178 ، ص173 .

([68]) ديوان دعبل ق 26 ، ص270 .

([69]) ديوان أبي تمام مجلد 1، ق83 ، ص351.

([70]) ديوان ديك الجن الحمصي ، ق4 ، ص49 .

(71) صحيح مسلم بن الحجاج القشري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي بيروت 1403 هـ ، ج3 حديث 1259 .

(72) ديوان ديك الجن ق2 ، ص43 .

(73) ينظر الديوان نفسه ، ص20 .

(74) االديوان نفسه ق1 ص31 وما بعدها .

(75)ينظر لسان العرب باب (مولى) م 8 ، ص 403 .

(76) الأحزاب الآية (5) .

(77) ينظر لسان العرب باب (مولى) .

(78) ضحى الإسلام ، ج1 ص79 .

(79) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، دراسة نقدية في تفسير التاريخ ، د. فاروق عمر ط2 ، طبع دار آفاق عربية – بغداد 1985 ، ص69 .

(80) مقدمة ابن خلدون ، ج2 ص507 .

(81) شرح نهج البلاغة ، ج1 ص180 .

(82) تاريخ الأدب العباسي (نكلسن) ، ص7 .

(83) ينظر تاريخ الأدب العربي المدارس الثانوية والعليا ، ص204 – 206 .

(84) ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص214 .

(85) من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص2.

(86) ينظر حركات الشيعة المتطرفين ،ص108 ، ينظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، تأليف فون كريمر، ترجمة مصطفى بدر ، نشر دار الفكر، القاهرة ، 1947م ، ص99 .

(87) ديوان أبي نواس ق29 ص19 .

(88) الديوان نفسه ق226 ص124 .

([89]) الديوان نفسه ق28 ، ص18 .

([90]) الديوان نفسه ق98 ، ص57 .

([91]) ديوان بشار بن برد ق237 ، ص 341 .

([92]) الديوان نفسه ، ق250 ، ص372

([93]) الديوان نفسه ، ق90 ، ص136 .

([94]) الديوان نفسه ق241 ، ص289

([95]) ديوان الخريمي ق4 ، ص14 .

([96])الديوان نفسه ق25 ، ص38 .

([97]) الديوان نفسه ق37 ص49 ، جرم وعكل : قبائل عربية .

([98]) ديوان الحسين بن الضحاك ، ق80 ص74 .

([99]) ديوان الحسين بن الضحاك ، ق94 ص88 .

([100]) الديوان نفسه ق28 ص39 .

([101]) ديوان أبي نواس ق399 ، ص207 .

([102]) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري . عبد اللطيف الراوي . نشر مكتبة النهضة1974 ،ص131

([103]) ينظر المحاسن والمساوئ ، إبراهيم بن محمد البيهقي ، ط دار صادر، بيروت ، 1960، ص531 .

([104]) ديوان بشار بن برد ق194 ، ص282 .

([105]) ديوان بشار بن برد . ق200، ص287 .

([106]) ديوان العكوك . ق47 ، ص163 .

([107]) ديوان علي بن الجهم ق32 ، ص83 .

([108]) ديوان بشار بن برد ق261 ، ص380 .

(109) ديوان أبي نواس ق519 ، ص270 .

(110) ديوان دعبل الخزاعي ق 50 ، ص321 .

(111) ديوان علي بن الجهم ق30 ، ص81 .

(112) ديوان مروان بن ابي حفصة ق27 ، ص46 .

(113) ديوان بشار بن برد ق202 ، ص289 .

(114) ديوان ربيعة الرقي . ق2 ، ص67 .

(115) ديوان أبي العتاهية ق517 ، ص309 .

(116) ديوان أبي تمام م2 ق15 ، ص211 .

(117) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق13، ص85 .

(118) سورة البقرة الآية 264 .

(119) ديوان دعبل ق214 ، ص199 .

(120) ديوان بشار بن برد ق85 ، ص134 .

(121) ديوان أبي تمام م2 ق35 ، ص229 .

(122) ديوان عبد الصمد بن المعذل ، ق134 ، ص175 .

(123) ديوان علي بن الجهم ق63 ، ص121 .

(124) شرح نهج البلاغة م1 ص58 ، العقد الفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1965م ، ج3 ص3 .

(125) ديوان دعبل الخزاعي ق120 ، ص128 .

(126) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق49 ، ص112 .

(127) ديوان دعبل الخزاعي ق37 ، ص66 .

(128) ديوان محمود الوراق ق36 ، ص52 .

(129) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق157 ، ص191.

(130) ديوان أبي العتاهية ق68 ، ص60 .

(131) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق58 ، ص117 .

(132) ديوان الشافعي ق89 ، ص69 .

(133) ديوان بشار بن برد ق 257 ، ص379 .

(134) ديوان أبي نواس ق156 ، ص85 .

(135) ديوان أبي نواس ق116 ، ص65.

الفصل الثالث

الهجاء الإجتماعي

الجانب النظري :

إنّ العرب نشأوا في الجاهلية على أخلاق اجتماعية حافظوا عليها وتمسكوا بها، وكانت لهم مثل عليا ، مدحوا مَنْ أخذ بها ، وذموا مَنْ غادرها ، ولكنهم حين انتقلوا من الجزيرة لم يضيعوا هذه المزايا لأنهم نقلوا من أهلهم إلى أهل يعرفونهم. وتعلق خلفاؤهم بإدارة الحكم وتسيير الفتوح فتمسكوا بالعروبة والإسلام ، وأغضوا عن أشياء تقتضيها سياستهم آنذاك ، لذلك كانت الحياة الاجتماعية بترفها الجديد النسبي لا تستلزم الفزع ، لأنهم حملوا معهم هذه العادات القديمة ، وحنّوا دائماً إلى الجزيرة وعيشها وأخلاقها فلم تظهر عادات تناقض ما ألفوه ، ولم يكن لشعرائهم ، بوصفهم الجهة الإعلامية المركزية للنقد والتشهير بالسلبيات ، أنْ يتناولوا الحياة الاجتماعية إلاّ بشيء من النقد واللوم قالوه في بعض الحكام ، حيث مالوا نحو الترف في العيش ، لكن ذلك كان في أشخاص معدودين وفي حدود ضيقة ، وبرزت مسائل جديدة لم تكن من قبل بحكم الإقليم وبعده عن جو الجزيرة العربية وتخوم الشام والحجاز ، ونشأت أخلاق اجتماعية أنكرها المحافظون والمتزمتون أول الأمر ، وكانوا كثر فلم يستمع إليهم الخلفاء ، ولم يصيخوا السمع إلى ما يطلبون ، ثم إنّ الزمن كان كفيلاً بإضعاف شعور المتزمتين وترك الحنين لدى كثير من العرب إلى جزيرتهم والى أخلاقها ، فانسابت جمهرة الشعب إلى هذا الشر الجديد وتبدلت الحياة الاجتماعية حتى لينكرها المؤرخ الدقيق أي إنكار فظهر الرقيق ، وفشا وجود الجواري والغلمان ، وشاع الشراب ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان المجتمع العباسي في ظل نظام حكم إقطاعي أو شبه رأسمالي استغلالي ، لا يقوم على أساس من العدل الاجتماعي والمساواة بين الناس ، إذ ينقسم المجتمع على طبقات متصارعة ثلاث هي :

الطبقة الخاصة وتشمل رأس الهرم في السلطة السياسية والاقتصادية ، والطبقة المتوسطة وتشمل أهل العلم والأدب والفن وصغار التجار والموظفين ، الذين يعتمدون بالأساس على الطبقة الأولى ، والطبقة العامة ، وهي الأوسع في المجتمع والأكثر تعرضاً للاستغلال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

لقد كانت الدولة تضخ بلا حساب بفيئها وخراجها وغنائمها لصالح الطبقة الخاصة[1] وفي أخبار الخلفاء وحاشيتهم ونسائهم تظهر صورة من الغنى والثراء الواسع التي تدفع إلى الترف [2] واذ غرقت الطبقة الخاصة في الترف ، فان الطبقة العامة تغرق في البؤس ، فقد كان عامة الناس ولا سيما في الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة تمنع الخلافة العباسية أعطياتهم ولا يعطون حقوقهم من بيت مال المسلمين ، وكان في هؤلاء الشاكي من الاستغلال والسائل والمظلوم [3] ولم يكن للطبقة العامة مكانة في المجتمع وقد وصفهم بعض الكتاب بالجهل في الأمور الدينية وفي النواحي الثقافية ، وأطلق عليهم المؤرخون عدة تسميات منها (السفلة – الغوغاء - السّقاط – والجماهير الدهماء - والأوباش) إلى غير ذلك من النعوت[4].

إنّ التمايز الطبقي والاضطراب السياسي والانقسام القومي والديني ، سمات عامة طبعت المجتمع العباسي عامة ، كما أنّ سوء الأحوال الاقتصادية التي أنّ منها المعدمون مثل غيرهم قد صعدت من سخطهم وتذمرهم ودفعت بهم إلى الانضمام إلى كل حركة تنشد الإصلاح أو تدعيه ، وهذا ما يفسر التأييد الكبير الذي لقيته معظم الحركات المعارضة للسلطة ، (هذه الحركات التي وجدت في ضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخلافة العباسية وتردي الأوضاع الاجتماعية تربة صالحة لبث أفكارها ونشر مبادئها) [5] ويذكر أنّ العامل الاقتصادي له اثر كبير في قيام الحركات المتمردة وإذا كانت المرارة التي تملأ نفوس المحرومين تدفعهم أحياناً إلى الثورة والتمرد فإنها تدفعهم أحياناً أخرى إلى الاستكانة والاستجداء ، وكلا الاتجاهين في دوافعه الأساسية، اثر من آثار الحياة الاقتصادية التي لم تكن قائمة على أساس من التكافؤ

والعدل [6] في حين انشغل العديد من الخلفاء ورجالهم في عقـد مجـالس الغنـاء وبنـاء القصور [7]

جدول بأغراض الهجاء الاجتماعي لدى شعراء العصر العباسي الأول

ت	الشاعر	الهجاء العام	الهجاء الخاص
1-	بشار بن برد	23	41
2-	الحسين بن مطير	1	-
3-	السيد الحميري	-	-
4-	مروان بن أبي حفصة	-	1
5-	بكر بن النطاح	1	1
6-	العباس بن الأحنف	4	-
7-	أبو الشيص الخزاعي	-	-
8-	أبو نواس	8	3
9-	ربيعة الرقي	1	-
10-	الإمام الشافعي	19	1
11-	أبو العتاهية	8	1
12-	العكوك	1	1
13-	محمود الوراق	5	-
14-	أبو تمام	2	19
15-	الزيات	1	-
16-	ديك الجن	3	-
17-	عبد الصمد بن المعذل	2	9
18-	الخريمي	6	1
19-	دعبل الخزاعي	16	14
20-	علي بن الجهم	5	-
21-	الحسين بن الضحاك	-	-

المبحث الأول

الهجاء العام

1- **هجاء المدن وذم البلدان**

لقد تناول الشعراء هجاء المدن لأسباب قد تكون لسوء أهلها ، أو لسوء حكامها، أو لسوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية . والشعراء تعرضّوا إلى خصوصيات المدن التي تناولوها بالهجاء ، فأوضحوا سلبياتها بصورة تعبر عما كان يعانيه الشاعر والناس من تلك الخصوصيات غير المقبولة .

فمن الشعراء مَنْ تناول بهجاء المدن من خلال سكانها ، أو تناول سكان المدن من خلال المدن ذاتها ، ومِمَنْ نهج هذا المنهج بشار بن برد وهو يهجو (حمص) [8]:

(بحر الوافر)

وحمصاً حينَ بدّل أهلُ حمصٍ ونالوا الغدرَ نالُهم البَوارُ

فذَمّ مدينة حمص للسبب الذي ذكر.

ثم يهاجم مدينة (واسط) بالأسلوب نفسه فيقول : [9]

(بحر الطويل)

على واسطٍ مِنْ ربّها ألفُ لعنةٍ وتسعةُ آلافٍ على أهلِ واسطِ

نبيطٌ وأعلاجٌ وخوزٌ تجمعوا شرارٌ عبادِ اللهِ في كلِّ غائطِ

وإني لأرجو أنْ أنالَ بشتمهم مِنَ اللهِ أجراً مثلَ أجرِ المرابطِ

ويبدو أنّ بشاراً قد هجا أهل واسط بالقذع الصارم ، ومن خلالهم شمل قذعه المدينة. ويتسق (ديك الجن) مع صاحبه بالمنهج نفسه بخصوص حمص وأهلها إذ أذهله أنّ أهلها حاربوا خطيبهم وإمامهم لأنه كان يكثر من الصلاة على محمد (ص) مما أدى في النهاية إلى عزله . يقول (ديك الجن) : [10] (بحر الكامل)

سمعوا الصلاةَ على النبي توالى فتفرقوا شيعاً وقالوا : لا لا

ثم استمَر على الصلاةِ إمامهم فتحزّبوا ورمى الرّجالُ رجالا

يا آلَ حمصٍ توقعّوا مِنْ عارها	خزياً يحلّ عليكم ووبالا
شاهتْ وجوهكم وجوهاً طالما	رغمتْ معاطسُها وساءتْ حالا
إنْ يثنِ مَنْ صلّى عليهِ كرامةً	فاللهُ قد صلّى عليه تعالى

ويعلن أبو تمام الطائي رأيه الصريح ببغداد التي أصبحت برأيه عجوزاً إذا ما قورنت بضرّتها (سر من رأى) يقول : [11]
(بحر البسيط)

لقد أقامَ على بغدادَ ناعيها	فليبكها لخرابِ الدّهرِ باكيها
كانت على ما بها والحربُ موقدةٌ	والنارُ تطفئ حسناً في نواحيها
ترجى لها عودةٌ في الدهرِ صالحةٌ	فالآنَ أضمرَ منها اليأسَ راجيها
مثلَ العجوزِ التي ولّت شبيبتها	وبانَ عنها كمالٌ كانَ يحظيها
لزّت بها ضرّةٌ زهراءُ واضحةٌ	كالشمسِ أحسنَ منها عندَ رائيها

ويتعرض أبو تمام في رائعته (السيف أصدق أنباءً) للمدن الأجنبية التي انتزعها العرب من أهلها ويصف ما بها من خراب ، ويذكر فيها (انقرة) و (عمورية) ، قال أبو تمام:[12]
(بحر البسيط)

جرى لها الفألُ سنحاً يومَ أنقرةٍ	إذ غُودرتْ وحشةَ الساحاتِ والرّحبِ

وينظر الخريمي الى ما آلت أليه حال بغداد بسبب هجر الخلفاء لها بعد فتنة الأمين والمأمون ، ويتعرض إلى سوء أهلها ومظالمهم ، يقول الشاعر (الخريمي) هاجياً:[13]
(بحر المتقارب)

يا بؤسَ بغدادَ دارَ مملكةٍ	دارت على أهلها دوائرها
أمهلها اللهُ ثمّ عاقبها	لما أحاطتْ بها كبائرها
بالخسفِ والقذفِ والحريقِ وبالحـ	ربِ التي أصبحت تساورها
كَمْ قد رأينا مِنَ المعاصي ببغـ	دادَ فهل ذو الجلال غافرها
حلّتْ ببغدادَ وهي آمنةٌ	داهيةٌ لَمْ تكن تحاذرها

طالعهـــا السّـــوءُ مِـــنْ مطالعـــهِ وأدركـــتْ أهلَـــها جرائرهـــا
رقّ بها الدّينُ واستخفَ بـذي الفضـل وعـــزّ النّســـاكَ فاجرهـــا
وخطّـــمَ العبـــدُ أنـــفَ ســـيدّهِ بـــالرّغمِ واســـتعبدتْ حرائرهـــا
وصـــارَ ربّ الجـــيرانِ فاســـقهم وابتـــزّ أمـــرَ الـــدروبِ ذاعرهـــا

ويبلغ عدد أبيات هذه القصيدة الرائعة (135) بيتاً أحصى فيها كل محاسن ومساوئ بغداد وما طال الناس ولا سيما أهل الفضل فيها من الظلم والإجحاف.

ويبدو أنّ الشاعر العباس بن الأحنف قد دفعه القدر يوماً لزيارة منطقة (نهر أبي الجند) فخلد زيارته بهجاء لتلك المنطقة قائلاً : [14] (بحر الخفيف)

ليتَ شعري متى نؤوبُ إلى بغـ داد إنـــا مســـتبطئونَ الإيابـــا
مَنْ يكن صائفاً بنهرِ أبي الجندِ يكـــنْ صـــيفهُ أذى وعـــذابا
مـــا تعرّفـــتْ للـــهواجرِ مسّـــاً مـــا بقلـــبي أشـــد منهـــا إلتهابـــا

ويذهب (العباس بن الأحنف) لهجاء (هرقلة) ويذم أهلها إذ تركوها وهربوا وهي تحترق يقول : [15]

(بحر البسيط)

هـوت (هرقلـة) لّمـا أنْ رأت عجبـاً جواثمـــاً ترتمـــي بـــالنفط والنـــار

إنّ ذكر المدن في الهجاء هو هجاء مباشر لأهلها حصراً . ويؤكد هذا المنهج علي بن الجهم حيث سئل عن بغداد فقال : [16]

(بحر الوافر)

مـــا شـــئتَ مِـــنْ رجـــلٍ نبيـــلٍ يـــــأوي إلى عـــــرضٍ دخيـــــلِ
يـــــأتي الجميـــــلَ بقولـــــهِ وفعالـــــهُ غـــــيرِ الجميـــــلِ

2- هجاء المجتمع وظواهره :

على الرغم من خوض العديد من شعراء هذا العصر حياة المجون والسهر والمتعة والزندقة إلاّ أني وجدت حتى في هذه الطبقة من الشعراء ، فضلاً عن غيرهم ، كانوا

قد شنّوا حرباً ضروساً مستخدمين سلاح الهجاء لخلائق عصرهم ، وشذوذ أخلاق الناس ، وانحرافهم عن جادة الخير والصلاح والتقاليد والأعراف الجميلة التي عرف بها العرب وجذّرها الإسلام ، ولم يترك الشعراء خليقة قبيحة إلاّ وهاجموها هجاءً وتقريعاً ، سواء أكانت تلك في الاتجاه الذاتي أم الموضوعي ، من بين الخلائق الفاسدة، فمنهم من تناول المجتمع بكل جزئياته ، فيما تناول الآخرون ظاهرة أو حالة واحدة أو أكثر من الظواهر والحالات المدانة . وهناك مَنْ تناول هذه الموضوعات من خلال نتفة أو مقطوعة أو ضَمّنَ كلامه من خلال قصيدة اشتملت على أكثر من غرض.

هذا بشار يهجو المجتمع لافتقاده الصداقة الحقيقية التي باتت معدومة يقول مخاطباً صاحباً له ومحذراً من نفاق الآخرين : [17]

(من الخفيف)

أنتَ في معشرٍ إذا غبتَ عنهم ... بدّلوا كلّ ما يزينكَ شينا

وإذا ما رأوكَ قالوا جميعاً ... أنتَ مِنْ أكرمِ البرايا علينا

ما أرى للأنامِ ودّاً صحيحاً ... عادَ كلّ الودادِ زوراً ومينا

وعلى الرغم مما كان عليه أبو نواس من وضع مجوني متخلع إلاّ انه تناول مجتمع بغداد من خلال خمرياته بشيء من القذع . يقول : [18]

(بحر البسيط)

واخلعْ عذاركَ لا تأتي بصالحةٍ ... مادمتَ مستوطناً أكنافَ بغدادَ

ويقول فيهم أيضاً : [19] (بحر الكامل)

قومٌ تواصوّا بتركِ البرّ بينهم ... تقولُ ذا شرّهم بلْ ذاكَ بلْ هذا

وتناول الشعراء موضوع الحسب ، والفرق بين الحر والعبد ، فقال بشار هاجياً في معرض تبادله الهجاء مع الآخرين : [20] (بحر الكامل)

تجـــري علـــى أحســـابهم　　　والعـــودُ ينبـــتُ في لحائـــهِ

ويميز بين الحر والعبد قائلاً :　　　(بحر الرجز)

الحـــرّ يوصـــى والعصـــا للعبـــدِ　　　ولـــيسَ للملحـــفِ مثـــلَ الّـــردّ

وللشافعي كلام كثير في هجاء أهل زمانه بسبب ظواهر الفساد الاجتماعي والتحلل الخلقي ، متناولاً السفاهة والنذالة والظلم وغيرها مما كان يزخر بها مجتمع زمانه ، حتى انه شخصياً لم يسلم من قذع الآخرين ولذلك فقد تناول هذا الشاعر ظواهر عصره في كثير من أشعاره .

يقول الشافعي في هجاء المجتمع : [21]　　　(بحر الطويل)

ليـتَ الكـلابَ لنـا كانـتْ مجـاورةً　　　وليتنـا لا نـرى ممّـا نـرى أحـداً

إنّ الكـلابَ لتهـدي في مواطنهـا　　　والخلـقُ لـيسَ بهـادٍ شـرّهم أبـدا

فاهربْ بنفسكِ واستأنسْ بوحـدتها　　　تبقـى سـعيداً إذا مـا كنـتَ منفـردا

فالشافعي يفضّل جوار الكلاب على جوار أهل زمانه في بغداد ، ولذا فهو يفضّل أنْ لا يزوره أحد منهم . وفي قوله التالي يجرب هؤلاء الناس فوجد أنّ الدراهم هي التي تنطقهم ولا ينطقهم الحق ، وهم ليسوا من أهل الفضل والفضيلة ولم يعرف أحد منهم المكرمات يقول[22]　　　(بحر الوافر)

وأنطقـتِ الـدّراهمُ بعـدَ صـمتٍ　　　أناسـاً بعـدما كـانوا سـكوتا

فمـا عطفـوا علـى أحـدٍ بفضـلٍ　　　ولا عرفـوا لمكرمـةٍ ثبوتـا

ومحمود الوراق يسلط ضوء هجائه للأثرياء الذين يكنزون الذهب والفضة ويعدون ذلك لهم ديناً وديدناً، ولم ينفقوا مما اكتنزوا شيئاً في سبيل الله .

يقول الوراق :[23]

(مجزوء الرمل)

أظهـــروا للنـــاسِ دينـــاً　　وعلـــى الـــدينارِ داروا
ولـــهُ صـــاموا وصـــلّوا　　ولـــهُ حجّـــوا وزاروا
لـــو بـــدا فـــوقَ الثريّـــا　　ولهـــم ريـــشٌ لطـــاروا

وقال يذم شخصاً ، ثم يكتشف أنه أهون من غيره بكثير بحيث إذا ما قارن ذلك المهجو مع مَنْ اكتشفهم من بعده يعدّ مدحاً لا هجاءً يقول [24]

(بحر الوافر)

ذممتـــكَ أولاً حتـــى إذا مـــا　　بلـوتُ سـواكَ عـادَ اللـومُ حمـدا
ولم أحمـــدكَ مِـــنْ خـــيرٍ ولكـــن　　رأيـتُ سـواكَ شـراً منـكَ جـدّا

ويجد عبد الصمد بن المعذّل وباء الغيبة في المجتمع صار مستشرياً لا أمل من شفائه ، فيوجه سهام هجائه نحو أحد مجالس الاغتياب قائلاً [25]

(مجزوء الرمل)

قـــدْ هجرنـــا مجلـــسَ الغيبـــــةِ هجـــرانَ الثّقـــالِ
ألفتـــهُ عصـــبةٌ حمقـــــى لقيـــلٍ ولقـــالِ
ربّ مَـــنْ يُشـــجيه أمـــري　　وهـــو لَـــمْ يخطـــر ببـــالي
قلبـــهُ مـــلآنَ مِـــنْ ذفـــري وقلـــبي منـــهُ خـــالِ

ويبدو إنّ الربا وهو إحدى الكبائر التي لا تهاون بها في الإسلام قد أخذ مكانه في المجتمع العباسي ، حتى صار ظاهرة علنية لا يلاحقها دعاة الدين من العباسيين ، مما دفع الشاعر الخريمي إلى الانفجار بوجه هذا المجتمع الذي استشرى به الظلم ، فقال هاجياً :[26]

(بحر البسيط)

يـا للرجـالِ لقـومٍ قـد مللـتهمُ ... أرى جـوارهم إحـدى البلّيـاتِ

ذئـبٌ رضـيعٌ وخنزيـرٌ تعارضـها ... عقـاربٌ وجنـتْ وجنـاً بحيـاتِ

مـا ظـنّكم بأنـاسٍ خـيرُ كسـبهم ... مصـرّحُ السـحتِ سمـوّه الأمانـاتِ

ولقد جرب الخريمي المقرّبين له من النـاس فلـم يجـد فـيهم إلاّ مَـنْ كـان مـن قبيـل الوصف الذي ورد في المقطوعة التي ذكرنا ، يقول :[27]

(بحر البسيط)

مشـاكسٌ خَـدِعٌ جـمّ غوائلـهُ ... يُبدي الصـفاءَ ويخفـي ضـربةَ الهـادي

يأتيـكَ بـالبغي في أهـلِ الصـفاءِ ولا ... ينفـكّ يسـعى بإصـلاحٍ لإفسـادِ

ويشترك دعبل الخزاعي في توجيه الهجاء للناس من خلال تجربته الخاصة وليس كلاماً حكيماً عاماً . يقول :[28]

(بحر البسيط)

إنـي لأفـتحُ عـيني حـينَ أفتحهـا ... علـى كـثيرٍ ولكـن لا أرى أحـدا

وهذا الرأي يدعم قصيدته التي يؤكد أنه جرّب أهل زمانه فلم يجد فيهم حراً شـريفاً . وهذا الهجاء يدخل في المعنى الشامل للهجاء (الجزء والكل) .

يقول :[29]

(مجزوء الرمل)

قـدْ بلـوتُ النـاسَ طـراً ... لمْ أجـد في النّـاسِ حُـرّاً

صـارَ أحلـى النـاسِ في العـ ... ـينِ إذا مـا ذيـقَ مُـرّا

3- **هجاء الدهر :**

يندر أنْ نجد في تاريخ العرب شاعراً لم يذكر الدهر هاجياً ومتذمراً و مرعوباً ولقد تناول شعراء العرب في مختلف حقب الشعر العربي مسألة الدهر على انه لون من ألوان المعاناة الإنسانية من قضية لا قدرة للإنسان على مقاومتها والتغلّب عليها ، ولذا فقد كان الدهر صورة فاعلة ملونة لدى شعراء العرب ، ولو أحصينا مَنْ ذكر الدهر لتطلب منا الجهد كثيرا ، ولكننا نلتزم بالإيجاز المفيد . لقد وصف الشعراء الدهر أوصافاً مختلفة بحكم المشاعر الدافقة لدى الشاعر ، فمنهم مَنْ وصف الدهر بالغدر ، وآخر بالظلم ، والعدوان والانحياز ، وهو المقبل المدبر ، وذو الغير .

وشعراء عصرنا تناولوه كغيرهم . ولكننا نكتفي بذكر الممكن لطائفة منهم :

يقول بشار بن برد [30] (بحر البسيط)

قومي أصبحينا فانَّ الدهَر ذو غيرٍ ... أفنى لقيماً وأفنى آل هرماسي

اليومُ همٌّ ويبدو في غدٍ خبرٌ ... والدهرُ ما بين إنعامٍ وإباسِ

ومن خلال قصيدة خمرية يهجو أبو نواس الدهر فيقول : [31]

(بحر البسيط)

والدهرُ ليسَ بلاقٍ شعبَ منتظمٍ ... إلاّ رماهُ بتفريقٍ وإزعاجِ

ومن نتائج أفاعيل الدهر المشيب وانصرام الشباب ، وعن ذلك ، يعبر الشاعر الحسين بن مطير الاسدي فيشكو . قائلاً [32] (بحر الكامل)

نزلَ المشيبُ فما يريدُ براحا ... وقضى لبانتهُ الشبابُ فراحا

فعلى الشبابِ تحيةٌ مِنْ زائرٍ ... يغدو ويطرقُ ليلةً وصباحا

فدعِ الشبابَ فقد مضى لسبيلهِ ... وانظرْ بعينكَ بارقاً لمّاحا

وقال الشافعي في غدر الأيام وعدم إنصافها [33] (بحر الوافر)

تموتُ الأسـدُ في الغابـاتِ جوعـاً ولحــمُ الظّــأنِ تأكلــهُ الكــلابُ
وعبــدٌ قــد ينــامُ علــى حريــرٍ وذو نســـبٍ مفارشـــهُ الـــترابُ

وينهى أبو العتاهية أخاه من عشق الدنيا وهو ما يعبر عنه بالدهر ، يقـول لـه إنّ أيـة حلاوة للدهر تكون ممزوجة بمرّه . يقول [34] (بحر الطويل)

فـلا تعشــقِ الــدنيا أخــي فإنّمــا يُــرى عاشــقُ الــدنيا بجهــدِ بــلاء
حلاوتهـــا ممزوجـــةٌ بمـــرارةٍ وراحتهـــا ممزوجـــةٌ بعنـــاء

لكن أبا نواس يعارض رأي أبي العتاهية فيدعي أنّ مسرات الدهر كانت له أكثر مـن إساءاته . إذ يقول : [35] (بحر الهزج)

يـــا نواســـــيُّ تـــــوقّرْ وتجمّـــــلْ وتصـــــبّرْ
ســـاءكَ الـــدهرُ بشـــيءٍ وبمـــا ســـرّكَ أكثـــرْ

أما الشاعر محمود الوراق فقد رأى من الدهر عجائباً يذهل لها العقل ولم ينصفه مـرة كما أحسن في كثير من ظروفه لأبي نواس يقول الوراق : [36]

(بحر الطويل)

أرى دهرنـــا فيـــهِ عجائـــبُ جمّـــةٌ إذ استعرضتْ بالعقلِ ضلّ لها العقـلُ
أرى كـــلّ ذي مـــالٍ يســـودُ بمالـــهِ وإنْ كـانَ لا أصـلٌ هنـاكَ ولا فصـلُ

ويستعير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات عن اسم الدهر بالـدول واليـوم والـدنيا ويعتقد أنّ تصرف الدهر بالناس وكأنه أضغاث أحـلام . وكـأن شـيئاً لم يكـن يقـول الزيات[37] : (بحر الطويل)

هـــو الســـبيلُ فمِـــنْ يـــومٍ إلى يـــومِ كأنـــهُ مـــا تريـــكَ العـــينُ في النّـــومِ

لا تعجلـــنّ رويـــداً إنهـــا دولٌ دنيـا تنقّـلُ مِـنْ قـومٍ إلى قـومِ

ويقول الخريمي [38] (بحر المديد)

فلَـمْ يـزل والزمـانُ ذو غِيَـرِ يقـدحُ في ملكهـا أصـاغرُها

وقال دعبل الخزاعي [39] (بحر الطويل)

لقد عجبتْ سلمى وذاكَ عجيبُ رأتْ بـي شـيباً عجلّتـهُ خطـوبُ

ومـا شـيّبتني كُـبرةً غـيرَ أنـني بـدهرٍ بـهِ رأسُ الفطـيمِ يشـيبُ

ومهما يغفل المرء فانّ الأيام لن تغفل عنه ، فهي تنتقل بالناس من حال إلى حال ومن إقبال إلى إدبار وهكذا دواليك . هذا ما يقوله علي بن الجهم [40]

(بحر الهزج)

للـدهرِ إدبـارٌ وإقبـالٌ وكـلّ حـالٍ بعـدها حـالُ

وصـاحبُ الأيـامِ في غفلـةٍ ولـيسَ للأيـامِ إغفـالُ

ولبشار أيضاً في قصيدة مدح تخلّلها التذكير بالدهر يقول [41]

(بحر الرجز)

يـا دارُ بـينَ الفـرعِ والجنـابِ عفّـى عليهـا حقـبُ الأحقـابِ

قـد ذهبـتَ والعـيشُ للـذهابِ لّمـا عرفناهـا علـى الخـرابِ

وله أيضاً بعد مقدمة غزلية ، يذكر أيضاً بالدهر وغدره [42]

(بحر المنسرح)

لا تذكري ما مضـى وشـأنكِ بـي اليـومُ فـأنّ الزمـانَ ينقلـبُ

حلـوّا ومـرّاً وطعـمُ ثالثـهِ في كـلّ وجـهٍ مِـنْ صـرفهِ عجـبُ

ديـني لـدهرٍ أصـمّ منـدلثٍ يهـربُ مِـنْ ريبـهِ ولا هـربُ

المبحث الثاني

الهجاء الخاص

1. **هجاء الشعراء :** تناول الشعراء في العصر العباسي الأول الهجاء فيما بينهم وكان الهجاء يرجع إلى عدة أسباب منها :

1. التسابق في الحصول على الجائزة
2. ما يتصل بالحسد الذي يتسبب لقيام علاقات سلبية فيما بينهم ، كأصحاب مهنة واحدة ، فيما يخص النبوغ في الشعر وما يحيط في علاقاتهم من نزوع إلى المجون والتهتك .
3. بسبب الميول القبلية والقومية ، ينتج ذلك إلى إشراك الشاعر قبيلة أو قومية خصمه بالهجاء لتوسيع دائرة نطاق الهجاء ، ولا يعني ذلك أنْ يكون دوافع الهجاء قبلية محضة فلربما تبدأ الصراعات فردية .

على أنّ الهجاء من هذا النوع ينقسم على قسمين رئيسين :

1. هجاء عفيف.
2. هجاء فاحش يتناول العورات وينكل بشرف الشاعر وآبائه وأخواته ونسائه ويشرك القبيلة بشرفها وتاريخها .

1- هجاء الشعراء العفيف

قال بشار بن برد يهجو حماد عجرد حين لم يفِ بوعده [43]

(بحر الطويل)

مواعيدُ حمّادٍ سماءٌ مُخيلةٌ	تكشّفُ عن رعدٍ ولكنْ ستبرقُ
إذا جئتهُ يوماً أحال على غدٍ	كما وعدَ الكمّونُ ما ليسَ يصدقُ

وله في هجاء حماد عجرد عدة مقطوعات أخرى .

وقال مروان بن أبي حفصة يجيب سلماً الخاسر وقد عيّره بقلة جائزته من المهدي العباسي :[44] .

(بحر الطويل)

أسلمُ بنَ عمروٍ قد تعاطيتَ خطّةً ... تقصّر عنها بعدَ طول عنائكا

وإني لسباقٍ إذا الخيلُ كلّفتْ ... مدى مائةٍ أو غايةٍ فوقَ ذلكا

فدع سابقاً إنْ عاودتكَ عجاجةٌ ... سنابكهُ أوهينَ منك سنابكا

إلى أنْ يقول :

فما أعولتْ أمٌّ على إبنٍ ولا بكى ... على يوسفَ يعقوبُ مثلَ بكائكا

وقال بكر بن النطاح يهجو الشعراء جميعاً على أنهم يقولون ما لا يفعلون وهمّهم الحصول على المال وحسب[45]

(بحر الوافر)

أرانا معشرَ الشعراءِ قوماً ... بألسننا تنعّمتِ القلوبُ

إذا انبعثتْ قرائحنا أتينا ... بألفاظٍ تشقُّ لها الجيوبُ

وقال أبو نواس يهجو الرقاشي بأصله وعرضه[46]

(بحر السريع)

قُلْ للرقاشيِّ إذا جئتهُ ... لو متّ يا أحمقُ لَمْ أهجكا

لأنني أكرمُ عرضي ولا ... أقرنهُ يوماً إلى عرضكا

وقال الشافعي في هجاء الشعراء في غير موضع . منها[47]

(مجزوء البسيط)

والشاعرُ المنطيقُ أسودُ سالخٌ ... والشعرُ منهُ لعابهُ ومجاجهُ

وعداوةُ الشعراءِ داءٌ معضلٌ ... ولقد يهونُ على الكريمِ علاجهُ

وقال أبو تمام الطائي يهجو الشاعر عتبة بن أبي عاصم لهجائه بني عبد الكريم الطائيين: [48] (بحر المنسرح)

شعري إني هربتُ في الطلبِ ... ولو صعدتَ السّماءَ في سببِ

يا ابنَ أبي عاصمٍ ولا عاصمُ ... ويلكَ مِنْ سطوتي ومِنْ غضبِ

أيُّ كريمٍ يرضى بشتمِ بني ... عبدِ الكريمِ الجحاجحِ النّجبِ

ويهاجم أبو تمام شويعراً سرق شعره وهو محمد بن يزيد الأموي [49]

(بحر الخفيف)

غارةٌ أسخنتْ عيونَ المعاني ... واستحلّتْ محارمَ الآدابِ

دعهُ يحظى لدى الأنامِ بشعري ... وقصيدي فذاكَ أهونُ بابِ

طالَ رعيي يا ربّ مما ألاقيـ ... ـهِ ورهبي إليكَ فأحفظْ ثيابي

ويهجو عبد الصمد بن المعذل أبا تمام قائلاً [50] (بحر الخفيف)

أنتَ بينَ اثنتينِ تبرزُ للنا ... سِ وكلتاهما بوجهٍ مُذالِ

لستَ تنفكّ طالباً لوصالٍ ... مِنْ حبيبٍ، أو راغباً في نوالِ

أيُّ ماءٍ لحرّ وجهكَ يبقى ... بينَ ذلِ الهوى وذلّ السؤالِ

وينال عبد الصمد بن المعذل من الشاعر الجمّاز [51]

(مجزوء الرمل)

نسبُ الجمّازِ مقصـ ... ـورٌ إليهِ منتهاه

يتراءى نسبُ النا ... سِ فما يخفى سواه

ليسَ يدري مَنْ أبو الجمّـ ... ـازِ إلاّ مَنْ يراهُ

وقال دعبل الخزاعي يهجو الشعراء وممن هجاهم الشاعر أبا سعيد المخزومي.
قال : [52] (بحر السريع)

إنّ أبــا ســعِد فتــىً شــاعِر يعــرفُ بالكنيــةِ لا الوالــدِ
ينشــدُ في حــيّ معــدٍ أبــاً ضــلّ عــنِ المنشــودِ والناشــدِ
فرحمــةُ اللهِ علــى مســلمٍ أرشــدَ مفقــوداً إلى فاقــدِ

ويلتفت دعبل لهجاء الشاعر مسلم بن الوليد ويعيره بالملل وعدم الوفاء للأصدقاء فيقول: [53]

(بحر الكامل)

لا تعبــأنَّ بــابنِ الوليــدِ فإنــهُ يرميــكَ بعــدَ ثلاثــةٍ بمــلالِ
إنّ الملــولَ وانْ تقــادمَ عهــدهُ كانــتْ مودتــهُ كفــيءِ ظــلالِ

ولم يسلم الشاعر الرّقاشي من لسانه . فيقول دعبل [54] (بحر المتقارب)

شــهدتُ الرّقاشــي في مجلــسٍ وكــانَ إلــي بغيضــاً مقيتــا
فقــالَ : أقــترحْ يــا أبــا جعفــرٍ فقلــتُ : أقترحــتُ عليــكَ السكوتا

ثم لا ينفك دعبل حتى ينال من نسب أبي تمام الطائي قائلاً [55]

(بحر السريع)

انظــرْ إليــهِ والى ظرفــهِ كيــفَ تطايــا وهــو منشــورُ
ويلــكَ مَــنْ دلاكَ في نســبهِ قلبــكَ منهــا الــدّهرُ مــذعورُ
لــو ذكــرتَ طــيَ علــى فرســخٍ أظلــمَ في نــاظركِ النــورُ

2- هجاء الشعراء غير العفيف (الفاحش)

الهجاء الفاحش أو (غير العفيف) هو ما خرج من دائرة الكلام المهّذب إلى ساحة السفلّة والسقاط ، ويحق لنا من خلال بحثنا أنْ نسميه (الأدب الصريح) لأنه على الرغم من كونه كلاماً غير مهذب إلا انه ينتسب إلى الشعر العربي في أية حال . ويبدو أنّ هذا العصر (العباسي الأول) كان قد حاز قصب السبق في تاريخ الأدب العربي بهذا اللون من الأدب وشاع استخدام اغرب الألفاظ وأبشعها ، ليس لها سابقة في الهجاء من شعر العرب .

قال بشار بن برد يهجو الشاعر أبا هشام عمرو بن عبد الرحمن بن خلق الباهلي . وقد تناوله في عدد من القصائد والمقطوعات الهجائية [56]

(بحر الوافر)

أفرخَ الزّنجِ طالَ بكَ البلاءُ ... وساءَ بكَ المقدمُ والوراءُ

أبوكَ إذا غدا خنزيرُ حشٍّ ... وأمكَ كلبةٌ فيها بذاءُ

فما يأتيكَ منْ هذا وهذا ... إذا اجتمعا وضمّهما الفضاءُ

أفرخَ الزّنجِ كيفَ نطقتَ باسمي ... وأنتَ مخنّثٌ فيكَ التّواءُ

رضيتَ بأنْ تناكَ أبا بناتٍ ... وليسَ لَمنْ يناكُ أباً حياءُ

هذا وفي القصيدة ما تأنف الأسماع من الإنصات لها .

ولم يكتف بشار بهجاء الشاعر الباهلي بل ذهب لهجاء قبيلته (باهلة) وهو معها يقول بشار : [57]

(بحر الوافر)

دنوتَ معَ الكرامِ ولستَ منهمْ ... تأخرْ يا ابنَ نائكةِ الحمارِ

خُلقنا سادةً وخُلقتَ كلباً ... ككلبِ السوءِ يلحقُ بالقطارِ

إذا أنكرتَ نسبةَ باهلي ... فأرفعْ عنهُ ناحيةَ الإزارِ

على إستاه سادتهمْ كتابٌ ... موالي عامرٍ وسمٌ بنارِ

وقال أبو نواس يهجو الشاعر أبان اللاحقي هجاءً مرّاً [58]

(بحر الرجز)

صــــحّفتْ أمـــكَ إذ سمّتـــــ ـــــكَ في المهـــدِ أبانـــا
صّـــيرتَ بـــاءً مكـــانَ التّــــ ـــــاءِ تصـــحيفاً عيانـــا
قـــدْ علمنــــا مــــا أرادتْ لمْ تـــــردْ إلا أتانـــا
ولقـــــد نبّئتهــــا برصــــ ـــــاءَ قـــبلاً وعجانـــا

وقال أبو تمام يهجو عتبة بن أبي عاصم وهو من الشعراء أيضاً [59]

(بحر الكامل)

أعتيـــبُ يـــابنَ الفعلـــةِ اللخنـــاءِ ألمنـــتَ مِـنْ بـذخي ومِـنْ غلـوائي
فبحرمـــةِ الغرمـــولِ في أســتكِ إنـــهُ قســـمٌ لـــهُ حـــقٌ علـــى البغّـــاءِ
دعـــواكَ في كلـــبٍ أعـــمُ فضـــيحةً وأخـــصُ أم دعـــواكَ في الشـــعراءِ

ويتعرض عبد الصمد بن المعذل لهجاء شاعرين دفعة واحدة ، هما أبو قلابة الجرمي والجماز [60]

(مجزوء الكامل)

يــــا مَـــنْ تركـــتَ بصـــخرةٍ صــــمّاءِ هامتــــه أميمــــه
إنّ الـــــذي عاضــــدتهُ أشــــبهتهُ خلقـــــاً وشــــيمه
وكفعـــلِ جـــدتكَ الحديثـــــ ـــــةَ فعـــلَ جدتـــهِ القديمـــه
فتناصــــرا فـــابنَ اللئيمــــ ـــــةِ ناصـــرٌ لابـــنِ اللئيمـــه

وقال دعبل الخزاعي يهجو الشاعر أبا سعيد المخزومي [61]

(بحر البسيط)

ما كنتُ أحسبُ إنّ الدهَر يمهلني حتّى أرى أحداً يهجوه لا أحد

إنـي لأعجبُ ممّنْ في حقيبتهِ منَ المني بجورٌ كيفَ لا يلد

فانْ سمعتَ لهُ نعتُ القنا عبثاً فقد أرادَ قناً ليستْ لهُ عقد

2. هجاء الأدباء وعلماء اللغة ورواتها :

أما الموضوع الآخر الذي كان له حيز لدى شعراء العصر العباسي الأول هو (هجاء الأدباء وعلماء اللغة ورواتها) ويرجع ذلك لعدة أسباب :

1- لتخطئة علماء اللغة لأساليب الشعراء أو عدم رواية أشعارهم لأنهم في عصر المولدين .
2- لعلاقة كل من الشعراء والعلماء بالخلفاء
3- التنافس على الشهرة وطلب المال . وشعر هؤلاء لا يخلو من الكلام المعتدل إلاّ انه أحياناً يصل إلى درجة الفحش والخروج عن صلب الموضوع .

وقال العكوك في هجاء الهيثم بن عدي ، وقد تناول أصله وحسبه (62):

(بحر البسيط)

للهيثمِ بنِ عديٍّ نسبةٌ جمعتْ آباءهُ فأراحتنا منَ العدد

أعددْ عدياً فلو مدّ البقاءُ لهُ ما عمرَ الناسُ لمْ ينقصْ ولمْ يزد

نفسي فداءُ بني عبدِ المدانِ وقد تلّوهُ للوجهِ واستعلوهُ بالعمد

حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم وعّرفوه بذلٍ أينَ أصلَ عدي

يا ابنَ الخبيثةِ مَنْ أهجو فأفضحهُ إذا هجوتَ وما تنمّى إلى أحدِ

وقال عبد الصمد بن المعذل يهجو الراوية أبا قلاّبة (63) (بحر الرجز)

يا ربّ إنْ كانَ أبو قلاّبه
يشتمُ في خلوتهِ الصحابه

فابعثْ عليهِ عقرباً دبّابه
تلسعهُ في طرفِ السّبابه
واقرنْ إليهِ حيّةً منسابه
وابعثْ على جوخانهْ سنجابه

وقال يهجو المبرد (عالم اللغة المشهور) [64] (بحر الرجز)

يــــاربّ إنْ كنـــتَ تـــرى المبّــــردَ إنْ قــاسَ في النحـو قياســاً أفســدا
ويكســـرُ الشــعرَ إذا مـــا أنشـــدا وإنْ تحســى الكـأسَ يومـاً عربـدا

وهو اتهام بعدم معرفته النحو وبسوء خلقه وهي صفات تبعده عن صفة العالم ولم يتوقف عند هذا الحد بل أخذ يهجو المبرد وقومه حيث يقول [65] .

(بحر الوافر)

ســألنا عــنْ ثمالــةَ كــلّ حــيّ فقــالَ القــائلونَ : ومَــنْ ثمالــهْ ؟
فقلــتُ محمــدُ بــنُ يزيــدِ مــنهمُ فقــالوا : زدتنــا بهــمْ جهالــهْ
فقــالَ لــي المــبردُ خــلّ قــومي فقــومي معشــرٌ فــيهم نذالــهْ

وقال يهجو أبا عثمان المازني وهو كبير نحاة البصرة بعد سيبويه ، وهجاه بأمه بطريقة استهزائية ساخرة باستخدام اللفظ وزينته والصورة وحركتها : [66]

(من الرجز)

بنتُ ثمانينَ بفيها لثغه
شوهاءُ ورهاءُ كطينِ الرّدغه
ممشوطةٌ لّمتها المثمّغة
ملويةٌ أصداغها المصّمغة
مخضوبةٌ في قمصٍ مصبّغة
فقلتُ ما هاجكِ ؟ قالتْ:دغدغة

فقلت : مَنْ أنتِ . فقالتْ لي:دغه
وابني أبو عثمانٍ ذو علم اللغه
فاطوِ حديثي دونه أنْ يبلغه
هممت أعلو رأسها فأدمغه

(دغه: لعله أسم امرأة حمقاء) ذكره الشاعر للسخرية أو انه ذكر الاسم لمجرد الهزء .

ومما يلاحظ ويستنتج مما تقدم :

1- إنّ الهجاء الاجتماعي هو وليد الحضارة أي وليد العصر العباسي الأول أو قبله بقليل ولكنه تبلور ونضج في العصر العباسي الأول .

2- إنّ هجاء المدن قصد به هجاء سكان تلك المدن وذكر مساوئ سكانها وعيوبهم.

3- إنّ هجاء المجتمع وظواهره يبين العناصر السلبية الرئيسة والمركزية في علاقات أفراد المجتمع وطبقاته في العصر العباسي الأول على حدّ سواء

4- إنّ هجاء الدّهر في هذا العصر قصد أكثر ما قصد به هجاء الحاكمين لأنه يتحرج من العقوبة ولا يهجو الحاكم فيهجو الدهر ، فالدهر إذاً رمزٌ لحكامه.

5- تناول هجاء قلة الدين وعدم القناعة وهي نتيجة ملموسة لمجتمع انفتح على كل الثقافات السلبية والايجابية.

6- تناول هذا الفصل هجاء الشعراء بعضهم لبعض وهجاء الشعراء لعلماء اللغة ورواة الشعر ، وخرج إلى هجاء قبائل الشعراء والعلماء لتوسيع نطاق ودائرة الهجاء على المهجو ، وكان سبب الهجاء تضارب مصالحهم الشخصية أو المذهبية أو القومية . والهجاء في هذا النوع كان ذا قسمين رئيسين :

1. عفيف
2. فاحش

الهوامش

([1]) ينظر: تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول – شوقي ضيف ،ص12 .

([2]) ينظر أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – أنيس المقدسي ، ص48 .

([3]) ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص38 .

([4]) الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع ، مليحة رحمة الله ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، 1970 ، ص52 .

([5]) الرأي العام في القرن الثالث الهجري – عادل الآلوسي ، مطبعة الهلالي – بغداد 1973م ، ص53 .

([6]) ينظر : حياة الشعر في الكوفة ، يوسف خليف ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1971م ص471 .

([7]) ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، مطبعة السعادة ، 1964م ، ج4 ص122 – 220 – 226 – 233 .

([8]) ديوان بشار بن برد ق244 ، ص353.

([9]) الديوان نفسه ق268 ، ص383 .

([10]) ديوان ديك الجن الحمصي . ق19 ، ص110 .

([11]) ديوان أبي تمام ، م 2 ، ق91 ص269 .

([12]) الديوان نفسه ، م1 ، ق4 ص96 .

([13]) ديوان الخريمي . ق24 ص31 .

([14]) ديوان العباس بن الأحنف . ق15 ، ص34 .

([15]) ديوان العباس بن الأحنف ق42 ، ص154 .

([16]) ديوان علي بن الجهم ق 139 ، ص193 .

(17) ديوان بشار بن برد . ق367 ص416 .

(18) ديوان أبي نواس ق143 ص76 .

(19) الديوان نفسه ق 142 ص76 .

(20) ديوان بشار بن برد . ق3 ص433 ، ق 151 ، ص212 .

(21) ديوان الشافعي ق29 ، ص36 .

(22) الديوان نفسه ق20 ، ص30 .

(23) ديوان محمود الوراق ق68 ، ص72 .

(24) الديوان نفسه . ق40 ، ص55 .

(25) ديوان عبد الصمد بن المعذل . ق115 ، ص164 .

(26) ديوان الخريمي ق9 ، ص20 .

(27) الديوان نفسه ق18 ، ص24 .

(28) ديوان دعبل الخزاعي ق 74 ، ص 96 .

(29) الديوان نفسه ق95 ، ص 108 .

(30) ديوان بشار بن برد ق258 ، ص379 .

(31) ديوان أبي نواس ق57 ، ص40 .

(32) ديوان الحسين بن مطير الأسدي . ق13 ، ص41 .

(33) ديوان الشافعي . ق 5 ، ص19 .

(34) ديوان أبي العتاهية . ق1 ، ص18 .

(35) ديوان أبي نواس ق 215 ، ص117 .

(36) ديوان محمود الوراق . ق127 ، ص103 .

(37) ديوان الزيات . ق110 ، ص66 .

(38) ديوان الخريمي . ق 24 ، ص28 .

(39) ديوان دعبل الخزاعي ق12 ص54 .

(40) ديوان علي بن الجهم . ق 126 ، ص178 .

(41) ديوان بشار بن برد ق14 ، ص28 (الأحقاب : الدهور) .

(42) الديوان نفسه . ق47 ، ص76 .

(43) ديوان بشار بن برد . ق286 ، ص 389 (الكّمون : هناك مثل شعبي قديم يشرك الكمون بالوعود الفاشلة) فيقال أعدك بوعد وأسقيك كموناً ..

(44) ديوان مروان بن أبي حفصة ق47 ، ص71 .

(45) ديوان بكر بن النطاح . ق2، ص5 .

(46) ديوان أبي نواس ق380 ، ص197 .

(47) ديوان الشافعي . ق22 ، ص32 .

(48) ديوان أبي تمام م2 ق6 ، ص201 .

(49) الديوان نفسه م2 ق7 ، ص202 .

(50) ديوان عبد الصمد بن المعذل . ق110 ، ص161 .

(51) اديوان نفسه ق162 ، ص194 .

(52) ديوان دعبل الخزاعي . ق81 ، ص103 .

(53) الديوان نفسه ق181 ، ص175 .

(54) الديوان نفسه ق11 ، ص289 .

(55) الديوان نفسه ق23 ، ص300 .

(56) ديوان بشار بن برد ق7 ، ص19 .

(57) الديوان نفسه ق 250 ، ص360 .

(58) ديوان أبي نواس . ق 517 ، ص267 .

(59) ديوان أبي تمام م2 ق2 ، ص198 .

(60) ديوان عبد الصمد بن المعذل . ق132 ، ص173 .

(61) ديوان دعبل الخزاعي . ق68 ، ص94 .

(62) ديوان العكوك . ق17 ص115 .

(63) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق4 ، ص77 (جوخان) كلمة فارسية تعني (بيت الشعير) انظر شرح القصيدة ص77.

(64) الديوان نفسه ق36 ، ص99 .

(65) الديوان نفسه ق105 ، ص156 .

(66) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق83 ، ص139 .

الباب الثاني

الدراسة الفنية

توطئة

نجد قرب نهاية الدولة الأموية أي (في بداية القرن الثاني) حركة تجديدية يحمل لواءها الوليد بن يزيد ، فهو أول من كتب القصيدة الخمرية ، واختار لصياغة شعره اللغة المألوفة في الحياة اليومية فاقترب من الشعبية إلى حد بعيد ، وأغرى شعراء الغزل في الحجاز الذين جنحوا إلى البساطة والسهولة والرقة بتأثير الغناء والموسيقى ، وتجديد الوليد في اختيار الأوزان الرشيقة القصيرة واقتصاره على المقطّعات ، كان ابرز مما ظهر في غزل الحجاز في القرن الأول[1] .

والى هذا الرأي ذهب الدكتور شوقي ضيف فقال : (الوليد يميل أكثر من الحجازيين إلى التحريف في الأوزان والتعديل فيها حتى تتلائم مع الغناء الجديد ، والوليد في هذه الناحية يعد خطوة نهائية للعصر الأموي والتغيرات المختلفة التي حدثت في أوزان الشعر تحت تأثير الغناء) [2] .

وصور الباحثون المتأخرون كالدكتور طه حسين ، وبروكلمان ، ود. شوقي ضيف ، دور الوليد في حركة التجديد في الشعر العربي في أوائل القرن الثاني ولا سيما (البهبيتي) الذي أطلق عليه اسم (الأب الفني للعصر العباسي كله) [3] بسبب شعبية لغته الشعرية واوزانه الرشيقة الخفيفة ، وكان شعراء الكوفة أول من خرجوا على عمود الشعر العربي منذ بداية القرن الثاني الهجري بالإباحة ورقة الوزن وبساطة الأسلوب والتحرر من الجزالة والاقتراب من الشعبية ، ولعل الوليد تأثر بهذه المدرسة[4] ، ذلك أنّ ندماءه من (ظرفاء الكوفة) على حد تعبير الوليد نفسه ، ومن الشعراء مطيع بن إياس وحماد عجرد [5] ومطيع وحماد من ابرز الشعراء المجددين في القرن الثاني فلا نستغرب تأثر الوليد بهما ، ويؤكد تأثير شعراء الكوفة في حركة التجديد اعتراف أبي نواس بالتأثير فيقول :

(من المتقارب)

ذهبت بنا كوفان مذهبها وعدمت عن ظرفائها صبري [6]

وقد وصف بروكلمان تطور حركة التجديد قرب نهاية الدولة الأموية أي في أوائل القرن الثاني : (كان قالب القصيدة قد صار طرازاً قديماً بالياً في أواخر عهد الدولة الأموية ، وكانت موارده ومعانيه مرتبطة بحياة البادية ، فلم تعد تتفق مع الروابط الجديدة التي تختلف عن علاقات البادية ، والتي قامت بين السكان المختلطين من العرب والعجم في المدائن الكبيرة التي غدت مراكز الحياة العقلية فانحلّ عمود الشعر وما كان من فقرات القصيدة تناوله الشعراء في أنواع مستقلة كالخمريات والغزل والطرديات وغير ذلك) [7] .

إنّ من أسباب وجود حركة التجديد ظهور طبقة جديدة في المجتمع كانت مزاجاً بين العرب والأجناس الأخرى ، فالشعراء المولدون كانت تمتزج في نفوسهم ثقافة اللغتين فتولد عن الامتزاج أنهم لا ينظرون إلى التراث الشعري القديم نظرة الرهبة ، وكذلك انعدمت الرابطة العاطفية بين الشعراء الجدد و معالم الحياة العربية الجاهلية وما فيها من أطلال [8] .

ويقول شكري فيصل : (نشأ مدى من البعد النفسي بين الحياة في العصر العباسي وبين الحياة الإسلامية في الحجاز ونجد بل حتى في دمشق ، ومن هنا جاء الأدب تعبيراً عن هذه الحياة)[9] .

وظهرت الخصومة بين القدماء والمحدثين وتنحصر في عمود الشعر من حيث نهج القصيدة والإيمان بفكرة استنفاذ القدماء للمعاني وتجديد المحدثين لمعاني الأقدمين عن طريق وصفها في صوره شعرية جديدة [10] .

ورد ابن رشيق (ان المعاني تتردد وتتولد وللمحدثين توليدات عجيبة لم تقع للقدماء لان المعاني اتسعت بانتشار العرب في الأرض) [11]

لقد ظهرت في العصر العباسي المؤثرات الثقافية والاجتماعية المنبعثة بالأكثر من حياة الفرس [12] .

لقد ترجم عدد كبير من الكتب الأجنبية في مختلف العلوم والفنون منذ العصر الأموي في القرن الثاني ولم تكن غريبة على المجتمع الإسلامي ولا سيما في العراق ، ولا نستغرب تأثير الثقافة الأجنبية في الشعر العربي في القرن الثاني فضلاً عن الأسماء الأجنبية التي أطلقت على مظاهر الحضارة كالأطعمة والملابس(13) .

وخلاصة الظواهر التي أذنت بالتجديد ، مشاركة الشعراء غير العرب ، وتأثر الشعر بالحياة العقلية واستخدام الحجاج والمناقشة ، ومسايرة الشعر للحياة الحضرية والتعبير عنها (14) .

إنّ سمات الأسلوب المولد خروجه على الأسلوب العربي الأصيل في نواحي مختلفة في الألفاظ والتراكيب اللغوية ، ونسق التعبير ، وموسيقى العبارة ، بل في معظم الأركان التي يتألف منها الكلام والتعبير (15) .

ولكن شوقي ضيف يقول : (إنّ أسلوب المولدين لم يتحول تحولاً تاما إلى صوره مخالفة للصور القديمة) (16)

إنّ الأسلوب المولد بما فيه من بساطة ورشاقة كان تحويرا للأسلوب القديم بحيث يمكن أنْ يتجاوب مع عامة الشعب مختلط الأجناس ، فالأسلوب الأصيل في بيئات العلماء والمولد في طبقات الشعب المختلطة وكثيراً ما يلتقي الأسلوبان لدى الشاعر الواحد .

إنّ شيوع الموسيقى والغناء أدى إلى الخروج على الأوزان التقليدية أو هجر الأوزان المعقدة إلى القصيرة ، وكتابة المقطعات الصغيرة التي لا تتجاوز بضعة أبيات ذات الموضوع الواحد (17) ، (والتعبير عن الذات والواقع والنزوع إلى الحياة الشعبية من خلال رقة العبارة والتفنن في المعاني والتوفر على البديع اللفظي)(18) .

أما فن الهجاء فقد اقتصر على المقطعات القصيرة ، والميل إلى الشعبية في المعاني والأساليب مما يجعله قريباً من نفوس الجماهير ليكفل الانتشار الواسع ، والشعبية تقترن بالميل إلى الهزل والمرح والترفيه لان هذه العناصر لا تتجزأ من الطبيعة

الشعبية في كل زمان وبيئة ، وتأثر الهجاء بالغناء فالشعراء يختارون عبارة يرددونها بمثابة إيقاع لبقية الأبيات ، والتطور الفني أساسه الهجاء الساخر ويعتمد رسم شخصية المهجو رسماً كاريكاتورياً من ناحية معنوية أو جسمية باستغلال عناصر الفكاهة والهزل والاعتماد على التصوير والتجسيم والمقارنة [19]. يتضح أنّ الهجاء تطور تطوراً كبيراً في القرن الثاني في المعاني والأهداف والأسلوب والألفاظ والصور وتراوح بين الهبوط إلى درجة السباب وبين الارتفاع إلى درجة التصوير الساخر الممتع تعتمد فناً أصيلاً ، وهذا التطور بسبب العوامل المختلفة التي أثرت في تطور المجتمع واختلاف معاييره وقيمه .

ومما يلاحظ ويستنتج مما تقدم :

1- ظهور الحركة التجديدية في الشعر العربي يحمل لوائها الوليد بن يزيد الأموي في نهاية الدولة الأموية أي (في بداية القرن الثاني الهجري)
2- كانت هذه الحركة بتأثير مجان وظرفاء.
3- ظهرت الخصومة بين القدماء والمحدثين وتنحصر في عمود الشعر من حيث نهج القصيدة واستنفاذ القدماء للمعاني وتجديد المحدثين لمعاني الأقدمين .
4- قام الشعراء بهجر الأوزان المعقدة وكتابة المقطعات الصغيرة والميل إلى الشعبية في المعاني والأساليب وينطبق على الهجاء ما سبق فضلا عن تأثره بالغناء ورسم شخصية المهجو رسماً كاريكاتورياً .

الفصل الأول

البناء الفني لشعر الهجاء

الجانب النظري :

لطريقة الشاعر في عرض أفكاره أهمية كبيرة في إعطاء الأفكار قيمتها الحقيقية، فليس نجاح الشاعر مقروناً بما يقدمه من معان ومضامين جديدة فحسب ، وإنما عليه الاهتداء لأسلوب العرض المناسب الذي يوفر الوضوح ، فالشعراء يجددون عروضهم لتتضح قيمة المضمون وأهميته ، فقيمة المادة الهجائية بطريقة وأسلوب تقديمها كوحدة بناء متناسبة ومتناسقة ، ومصطلح بناء القصيدة أضحى أداة نقدية ووسيلة ، تفكير ما فتئ الباحثون يؤثرونه ...
(بوصفه احد وسائل التقدم الأدبي) [20] .
ومفردة (بناء) في اللغة بـ (البنيان) أي الحائط [21] وهو نقيض الهدم .
و(البنية) بكسر الباء وضمها ، لإنشاء القصور والسفن [22] .
وقال النحاة (انه التركيب والصياغة) [23] .
فالبناء في المعجمات العربية لا يخرج عن دائرة الإنشاء والضم والتركيب [24] ولفظ مصطلح (بناء) لدى النقاد العرب القدماء (الجاحظ و ابن قتيبة و ابن طباطبا و قدامة و الآمدي) تدل على البناء والإنشاء [25] .

غير أنّ عبد القاهر الجرجاني أراد بالبناء العلاقات بين المعاني والألفاظ واعتماد كل جزء من العبارة على الجزء الآخر [26] .
وأخذت مفردة (البناء) بعداً آخر عند النقاد عندما حاول ابن قتيبة تفسير تعدد الأغراض في القصيدة العربية فجعله أساساً في بناء القصيدة والزم الشعراء به وعدم الخروج عليه وهو طريق القدماء في قصائدهم [27] .
كما اهتم أبو هلال العسكري بأجزاء محددة من القصيدة [28] .

وتابعه ابن رشيق القيرواني بقوله : (وقرطست نكت الأغراض بلطف الخروج إلى المدح والهجاء) [29] .

وقد أشار إلى هذا البناء معظم النقاد بعده حيث يتألف البناء من (الافتتاح وحسن التخلص ، ثم الغرض الرئيس ، فالخاتمة) [30] .

أما المعاصرون فرأيهم هو بناء علائقي يقوم على العلاقات المتبادلة بين العناصر كل منها حاكم للآخر ومحكوم به [31] بوصفه كلاً مكوناً (من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه) [32] .

إنّ الأفكار المطروحة والمقصودين بالهجاء تشترك في تحديد أسلوب العرض المناسب وعرض القصيدة قد يتخذ شكلاً مباشراً او قصصياً مبسطاً أو أسلوباً هازئاً ساخراً .

وهذه الطرق توصل الشاعر الى غاية واحدة هي النقد وإظهار أوجه السوء في المهجوين ، وتنوع طرق الهجاء يرتبط بتطور هذا الفن مع مسيرة الحياة .

إنّ العرض المباشر هو أقدم الأساليب التعبيرية التي تصدى بها الشاعر لمواجهة خصومه والرد عليهم ، والتوجه بالنقد للمنحرفين عن القيم الفاضلة ويتخذ الشاعر هذا الأسلوب طريقاً للهجاء حين يهزه حدث مثير يهيج انفعاله وعواطفه . ونهج الشعراء في بناء قصيدة الهجاء لا يطّرد فيها شكل تعبيري واحد ، وإنما تخضع لعوامل مختلفة فالبناء مرتبط بشخصية المهجو والظرف الدافع للهجاء وبالشاعر الذي يسلك درباً يراه محققاً لأهدافه ، فالهجاء يتصل مباشرة بظروف نفسية وموضوعية لدى الشاعر ، ولوضع المهجو السياسي والاجتماعي أثر في طريقة العرض ، وتختلف القصيدة طولاً أو قصراً ، استقلالاً أو امتزاجاً مع أغراض أخرى ، وبمقدمة ممهدة أو بدون مقدمة من شاعر لآخر أو لدى الشاعر ذاته بتفاوت عامل الإثارة الذي يحدد الطريقة المثلى للهجاء .

والهجاء لا ينفرد دون الأغراض الشعرية بهذه الميزة الشكلية ، فأغراض أخرى كالغزل تشاركه إياها [33] .

وبضوء هذه السياقات ، وجدت القصائد الهجائية كما في المبحثين الآتيين .

المبحث الأول

بنية القصيدة الهجائية ذات المقدمة الطللية وهي أما

أ- التقليدية .

ب- التجديدية .

ونقف عند (مقدمة الهجاء) ولا نريد بالهجاء ما يقع جزء من قصيدة متعددة الأغراض ، فقد تكون تلك المقدمة للمديح أو الفخر وغيرها ، إنما نريد هنا الهجاء الذي تنتظم من اجله القصيدة ويكون غرضها الرئيس .

لقد سلك الهجاؤون في العصر العباسي الأول في قصائدهم الهجائية ذات المقدمات نهجاً تقليدياً سبقوا إليه فافتتحوا هجاءهم بالمقدمة الغزلية والطللية ، وبذلك سايروا من سبقهم من الشعراء وحذوا حذوهم ، وسلكوا في القصائد الهجائية ذات المقدمات كذلك نهجاً تجديدياً كانوا أول من استخدموه .

فعلى الطريقة التقليدية كان افتتاح القصائد الهجائية بذكر المقدمة الطللية وهي لا تخلو من ذكر الغزل معها حيث يقول السيد الحميري من قصيدة يهجو بها الأمويين وعائشة وكانت مقدمتها ذكر الأطلال والصواحب :

(بحر الكامل)

فمقدمته الطللية

هلاّ وقفتَ على المكانِ المعشبِ ... بينَ الطويلعِ فاللّوى مِنْ كبكبِ

فنجادَ توضحُ فالنضائدِ فالشّظا ... فرياضَ سنحةَ فالنّقا مِنْ جونبِ [34]

طالَ الثواءُ على منازلٍ أقفرتْ ... مِنْ بعدِ هندٍ والربابِ وزينبِ

ثم يصل إلى نهاية المقدمة فيقول

كنّا وهنّ بنضرةٍ وغضارةٍ ... في خفضِ عيشٍ راغدٍ مستعذبِ

ثم يصل إلى غرضه من هجاء الأمويين وعائشة فيقول :

أينَ التطّربُ بالولاءِ وبالهوى ... ألِى الكواذبِ مِنْ بروقِ الخلّبِ

ألِى أميّةَ أم إلى شيعِ التي ... جاءت على الجملِ الخدبِّ الشوقبِ[35]

وقال السيد الحميري يهجو الذين يتركون فضل علي (ع) في الوصية ، ويبدأ قصيدته بمقدمة يذكر الديار وذكر صواحبه حيث يقول : [36]

(بحر الكامل)

قفْ بالديارِ وحيّهنَ ديارا ... وآسقِ الرسومَ المدمعَ المدرارا

كانتْ تحلّ بها النوارُ وزينبُ ... فرعى إلهي زينباً ونوارا

ثم ينتقل إلى غرضه بواسطة اللفظ (قلْ) حيث يقول :

قلْ للذي عادى وصيَ محمدٍ ... وأبانَ لي عنْ لفظهِ إنكارا

مِنْ عندهِ علمُ الكتابِ وحكمهِ ... منْ شاهدٍ يتلوهُ منهُ نذارا

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالرد على الناصبين :

هذا وصيّ فيكم وخليفتي ... لا تجهلوهُ فترجعوا كفّارا

وقال أبو تمام يهجو (الجلودي) أحد قادة الجيش ، إذ انهزم من إحدى المعارك مستهلاً قصيدته بذكر الديار يقول : [37]

(بحر الكامل)

صحبي قفوا مليتكمْ صحبا ... فاقضوا لنا مِنْ ربعها نحبا

دارٌ كأنّ يدَ الزمانِ بأنـ ... ـواعِ البلى نشرتْ بها كتبا

ثم يتغزل ويذكر صواحبه :

فرغَ الوشاحُ بها وقد ملأت ... منها الشوى الخلخالَ والقلبا

و إذا تهـــادت خلتهـــا غصـــناً ‏ ‏ لـــدنا تلاعبـــهُ الصّـــبا رطبـــا

ثم يتحول الى الهجاء متكئاً في هذا التحول على الفعل (قل) :

قُـــلْ للجلـــودي الـــذي يـــدهُ ‏ ‏ ذهبـــتْ بمـــالِ جنـــودهِ شـــعبا

اللهُ أعطـــــــاكَ الهزيـــــــةَ إذ ‏ ‏ جـــذبتكَ أســـبابُ الـــردى جـــذبا

(فأبو تمام أبقى على الشكل الخارجي الموروث في مقدماته الطللية لقصيدة الهجاء كما أبقاها بقصيدة المديح) [38] .

وقال علي بن الجهم يهجو العلويين والكيسانيين في قصـيدة مقـدمتها طلليـة:[39]

(بحر الوافر)

متـى عطلـتْ ربـاكِ مِـنَ الخيـامِ ‏ ‏ سـقيتْ معاهـداً صـوبَ الغمـامِ

لأسـرعَ مـا أدالتـكَ الليـالي ‏ ‏ وأخلـتْ عنـك عـائرةُ السـوامِ

وقفـتَ بهـا علـى حلـلٍ بـوالٍ ‏ ‏ تعفّيهـــا الســـواقي بالقتـــامِ

ثم يأتي بيت يتحول به إلى الغرض الرئيس في مجموعة أبيات :

هـي الأيـامُ تجمـعُ بعـدَ بُعـدٍ ‏ ‏ وتفجـعُ بعـدَ قُـربٍ والتئـامِ

ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس فيقول :

لأنـــتمْ يـــا بـــني العبـــاسِ أولى ‏ ‏ بمـــيراثِ الـــنبي مِـــنَ الأنـــامِ

تجـــادلُ ســـورةُ الأنفـــالِ عـــنكم ‏ ‏ وفيهـــا مقنـــعٌ لـــذوي الخصـــامِ

ورافضـــةٍ تقـــول بشـــعب رضـــوي ‏ ‏ إمـــامٌ خـــابَ ذلـــكَ مِـــنْ إمـــامِ

وينظم مروان بن أبي حفصة إلى مَنْ يذهب لتأكيد حق العباسيين في الحكم ويهجو العلويين وكانت مقدمة القصيدة غزلية حيث يقول : [40]

(بحر الكامل)

طرقتكَ زائرةً فحيّ خيالها ... بيضاءُ تخلطُ بالحياءِ دلالها

قادتْ فؤادكَ فاستقادَ ومثلها ... قادَ القلوبَ إلى الصّبا فأمالها

ثم يتجه إلى حيث هجاء العلويين

هلْ تطمسونَ مِنَ السماءِ نجومها ... بأكفكم أم تسترونَ هلالها

شهدتْ مِنَ الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتراثهم فأردتمْ إبطالها

وقال الشاعر ديك الجن الحمصي يهجو أحد أقاربه وقد ابتدأ قصيدته بمقدمة غزلية[41] .

(بحر المنسرح)

مولاتنا يا غلامُ مبتكرة ... فباكرِ الكأسَ لي بلا نظره

ثم يهجو :

يحملُ رأساً تنبو المعاولُ عن ... صفحتهِ والجلامدُ الوعره

وإذا كانت هذه المقدمات الطللية الغزلية ، تقليدية قديمة موروثة في منحاها ومبناها، فأن ميل الشعراء العباسيين المتحضرين لهذه المقدمات يؤكد ان (مقدمة القصيدة العربية ظاهرة فنية نشأت مع نشأة القصيدة العربية في الجاهلية وظلت تلقانا في صدورها على امتداد العصور الأدبية التالية) [42] .

والناقد ابن قتيبة أبان إنّ مقصد القصيدة إنما يبتدئ بذكر الديار ويوصل ذلك بالنسيب (ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع) [43] (وليس هناك من تنافر بين ما يدفع الشاعر إلى الغزل والهجاء في

آن واحد ، فهو تصور عاطفي مستثار يدفعه إلى التعبير عن عاطفتي الحب والغضب إذ تتحول عاطفة الحب التي تظهر في مرحلة الغزل الى بغض يبدو في الهجاء الذي بعدهما موجه للخصم ، والخصم يهدد الذات ، ولذلك برز البغض دليلاً على تمسك الشاعر بذاته ، ودفاعاً عنها أمام خصمه)[44] .

وقد يفتتح الشاعر هجاءه بالفخر إشباعاً لغروره ورداً لمكانته التي أهدرها مهجوه (فغالباً ما يكون الهجاء مصحوباً بالفخر ويكون الفخر مصحوباً بالهجاء لأنهما وجهان لعاطفة واحدة) [45] .

تلك هي عاطفة حب الذات أو الانتماء لطرف معين والتصدي للدفاع عنهما . وهذا بشار بن برد يؤكد هذا المنهج في قصيدة يهجو بها العرب ويبدأها بمقدمة فخرية بنفسه واصله :[46]

(بحر الوافر)

أعاذلُ لا أنامُ على إقتسارِ ... ولا آبى على مولى وجارِ
سأخبرُ فاخرَ الأعرابِ عنّي ... وعنهُ حينَ بارزَ للفخارِ
أنا ابنُ الأكرمينَ أباً وأمّاً ... تنازعني المرازبُ مِنْ طخارِ

ثم ينتقل من الفخر إلى الهجاء بواسطة البيت التالي :

إذا إنقلبَ الزمانُ علا بعبدٍ ... وسفّلَ بالبطاريقِ الكبارِ

ثم يهجو العرب فيقول :

أحينَ لبستَ بعدَ العري خزّاً ... ونادمتَ الكرامَ على العقارِ
تفاخرُ يا ابنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرارِ حسبكُ مِنْ خسارِ
وكنتَ إذا ظمئتَ إلى قراحٍ ... شركتَ الكلبَ في ذاك الاطارِ

ويختتم قصيدته بإقذاع شديد قائلاً :

مقامــكَ بيننــا دنــسٌ علينــا   فليتــكَ غائــبٌ في حــرٌ نــارِ

وقال بشار بن برد من قصيدة يهجو فيها العرب وقد ابتدأها بمقدمة فخرية بأصله ونسبه حيث يقول في المقدمة :[47]

(مجزوء الرجز)

هَــلْ مِــنْ رســولٍ مخــبرِ   عنّــي جميــعَ العــربِ

بــأنّي ذو حســبِ   عــالٍ علــى ذي الحســبِ

جــدي الــذي أسمــو بــهِ   كســرى وساســانُ أبــي

وقيصــرٌ خــالي إذا   عــدّدتُ يومــاً نســبي

ثم ينتقل إلى هجاء العرب حيث يقول :

ولا حــدا قــطُّ أبــي   خلــفَ بعــيرٍ أجــربِ

ولا أتــى حنظلــه   يثقبهــا مِــنْ ســغبِ

ولا أتــى عرفطــةً[48]   تخبطهــا بالخشــبِ

ثم يختتم القصيدة بما بدأ به :

إنــا ملــوكٌ لَــمْ نــزلْ   في ســالفاتِ الحقــبِ

أنــا ابــنُ فرعــي فــارس   عنهــا المحــامي العصــبِ

نحــنُ ذوو التيجــانِ والمــ   ــلكِ الأشــمّ الأغلــبِ

وقال الشاعر الخريمي يهجو المسلمين ويفتتح قصيدته مفتخراً بأصله يقـول :[49]

(بحر الطويل)

ألا هَلْ أتى قـومي مكـرّي ومشـهدي   (بقــاليقلا) والمقربــاتِ تثــوبُ

ثم ينتقل إلى غرض (الهجاء) حيث يقول :

تـــداعتْ (معـــدّ) شـــيبها وشـــبابها　　　و(قحطـانُ) منهـا حالـبٌ وحليـبُ

ثم يختتم قصيدته بقوله :

وان أبي (ساسـان كسـرى بـن هرمـز)　　　و(خاقـانُ) لـي لـو تعلمـينَ نسـيبُ

ملكنا رقـابَ النـاسِ في الشـركِ كلـهم　　　لنـــا تـــابعٌ طـــوعَ القيـــادِ جنيـــبُ

المبحث الثاني

بنية القصيدة الهجائية الخالية من المقدمة الطللية

كثيراً ما يتجاوز الهجاؤون التمهيد لأهاجيهم ، فيضربون صفحاً عن المقدمة بكل أشكالها ، ويندفعون إلى غرضهم الرئيس بكل عنف وقوة ، وكأن إحساساتهم المفعمة بالمقت والغضب لا تترك لهم مجال التمهل والتأني ، ولعلهم يجدون هذا الضرب من الهجاء أشفى لنفوسهم المهتاجة ، واصدق في التعبير عما يشعرون به من الانفعال الغاضب والألم النفسي .

ويلاحظ أنّ القصائد التي تنفرد بالهجاء تميل إلى أنْ تكون متوسطة في عدد أبياتها (وسبب هذا كونها في موضوع واحد ، والقصيدة ذات الموضوع الواحد إذا ما طالت مرة فإنها لا تطول في كل مرة) [50] .

ولا يستثنى من هذا الكلام الذي اشرنا إليه إلاّ الشاعر الذي يطيل ويسهب بسبب الميل إلى التفصيل والشرح إذ يساعد على الإطالة أسلوب الشاعر الخاص في تناول كل معنى من المعاني بالإضافة والشرح والتقليب على كل النواحي فالاستقصاء هو سبب الإطالة [51] .

قال الخليل بن أحمد (يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويختصر ليحفظ) [52] .

وواضح ان استقلال الهجاء بالقصيدة يمثل وجهاً من أوجه تطوره إذ كان كما يقول د. الجواري (ثاني الأغراض الشعرية التي استأثرت بالاستقلال ، فلم يجتمع إليها غيرها في القصيدة ، وكان أول تلك الأغراض الغزل وقد استقل عند عمر بن أبي ربيعة) [53] .

ومعروف أنّ هذه المرحلة الاستقلالية سبقت بمرحلة شارك فيها الهجاء أغراضاً شعرية أخرى .

واتخذ الهجاء شكل قصائد قصيرة ومقطوعات محدودة الأبيات ، وقد تصل حد البيت الواحد (ليبلغ الشاعر بأبياته القليلة التي يركز فيها معاني محدودة ما يرجوه

في سرعة إيلام المهجو ، وما يتمناه من سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس)[54].

وكثيراً ما يكون المعنى المضغوط المركز باللفظ القليل ابعد إيلاماً وأسرع حفظاً وانتشاراً وأعلق في الذهن .

(سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟

فقال : نعم ليسمع منها . قيل : فهل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها) [55]

وقيل للحطيئة (ما بال قصارك أكثر من طوالك؟

قال : لأنها في الآذان أولج ، وفي الأفواه أعلق) [56] .

وقيل للفرزدق : (ما صيّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟

فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع وفي المحافل أجول) [57]

والأقوال الأخيرة تشير بصراحة مطلقة إلى أنّ الشعراء مالوا منذ أوائل القرن الأول الهجري إلى المقطوعة الهجائية لأنها أسرع رداً وأبعد تأثيراً وأسهل ذيوعاً ، فكثير من المناسبات والظروف الطارئة تستدعي قصير الهجاء ولا تناسبها القصيدة الهجائية الطويلة ، التي غالباً ما تحتاج إلى تأنٍ وتفكير وإعداد .

لقد سادت القصائد القصيرة والمقطوعات الهجائية شكلاً فنياً أوساط كثير من الشعراء .

والقصيدة الخالية من المقدمة لعدة أنواع :

1. القصائد القصيرة :

فمثال ذلك قول بشار بن برد يخاطب بعض من أمسك عن إعطائه المال وهي قصيدة تتجاوز العشرين بيتاً نذكر منها : [58] (بحر الكامل)

يـــا صـــاحِ بـــينْ حـــاجتي	إنّ البيـــانَ مـــعَ السّـــدادِ
صــــرّح بإحــــدى كلمتيــــ	ـــنِ وخـذْ أمانـكَ مِـنْ جهـادي
بخـــلُ البخيـــلِ أحـــبُ مِـــنْ	مطـــلِ الجـــوادِ غـــدا يصـــادي

أنــتَ الفتــى لــولا مطالــ ـــكُ والمطــالُ مِــنَ الكيــادِ
إنّ الســبيلَ علــى اثنتيــ ـــنِ اخترهمــا يــا ابــنَ الجيــاد
إمــا تســامحُ أو تجــ ـــامحُ لــيسَ ثالثــةٌ لعــادِ
يكفيــكَ لا طــولُ العبــ ـــادِ ولا اجتهــاداً مِــنْ منــادِ
ضــمّنتَ حاجــةَ صــاحبٍ فاســلك بهــا ســبلَ الرشــادِ
صــدقُ البخيــلِ يسّــرني ويســوءني كــذبُ الجــوادِ
لا خــيرَ في دنيــا الكــريمِ ولا اللئــيمُ عَــنِ الــودادِ

وقال أبو تمام الطائي في قصيدة قصيرة يهجو بها عياش بن لهيعة [59]

(بحر البسيط)

النارُ والعارُ والمكروهُ والعطبُ والقتلُ والصلبُ والمرّانُ والخشبُ
أحلى وأعذبُ مِنْ سيبٍ تجودُ بهِ ولَن تجودَ بهِ يا كلبُ يا كلبُ
أشكيتموني فلما أنْ شكوتكمُ غضبتم دامَ ذاكَ السخطُ والغضبُ
بني (لهيعةَ) ما بالي وبالكمُ وفي البلادِ مناديحٌ ومضطربُ
لحاجةٌ بي فيكمُ ليسَ يشبهها إلاّ لحاجتكمْ في أنكمْ عربُ
كذبتمْ ليس ينبو مَنْ لهُ حسبُ ومَنْ لهُ أدبٌ عمَنْ لهُ أدبُ
إني لذو عجبٍ منكم أكررهُ فيكم وفي عجبٍ مِنْ لؤمكم عجبُ
عياشُ ما لكَ في أكرومةٍ أربُ ولا لأكرومةٍ في ساقطٍ أربُ
يا أكثرَ الناسِ وعداً حشوهُ خلفٌ وأكثرُ الناسِ قولاً كلّه كذبُ
ضللتَ تنتهبُ الدنيا وزخرفها وظلّ عرضكَ عرضَ السوءِ ينتهبُ

2. المقطوعات أو المقطّعات :

وهذا النوع من الفن في الهجاء كثير في شعر هذا العصر وقد سبق لنا ان أوضحنا الغاية منه . وهذا بشار بن برد يهجو يعقوب بن داود [60]

(بحر البسيط)

لا ييئسنَ فقيرٌ مِنْ غنىً أبداً ... بعدَ الذي نالَ يعقوبُ بنُ داودِ
قد صارَ مِنْ بعدِ إشرافٍ على تلفٍ ... ويعدَ غلّ على الزندينِ مشدودِ
لئنْ حُسدتَ على ما نلتَ مِنْ شرفٍ ... فقد غنيتَ زماناً غيرَ محسودِ
يا أيها الناسُ قد ضاعتْ خلافتكم ... إنّ الخليفةَ يعقوبُ بنَ داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قومُ فالتمسوا ... خليفةَ اللهِ بينَ الزقّ والعودِ

ومن أمثلة ذلك قول دعبل الخزاعي يهجو بني وهب [61] .

(بحر البسيط)

إذا رأيتَ بني وهبٍ بمنزلةٍ ... لم تدري أيّهمُ الأنثى مِنَ الذكرِ
قميصُ أنثاهم ينقدُ مِنْ قُبلٍ ... وقمصُ ذكرانهم تنقدُ مِنْ دُبرِ
محنكونَ على الفحشاءِ في صُغرٍ ... محنكونَ على الفحشاءِ في كبرِ
محنكونَ ولَمْ تقطع تمائمهم ... معَ الفواطمِ والدّاياتِ بالكبرِ

3. ومن القصائد الهجائية التي كتبت على (بحر الرجز ، ومجزوء الرجز) .

قال بشار بن برد في نظرته إلى الحياة وفي استيلاء الجهل والحمق [62]

(بحر الرجز)

لمّا رأيتُ الحظّ حظّ الجاهلِ ... والعيشُ في الدنيا لغيرِ العاقلِ
رحّلتُ عيساً مِنْ كرائمِ بابلِ ... فغدوتُ مِنْ عقلي ببعدِ مراحلِ

وقال دعبل الخزاعي يهجو المطلب الخزاعي .[63]

(مجزوء الرجز)

مـــــا يتقضّـــــى عجـــــبي	مـــــا عشـــــتُ مِـــــنْ مُطّلـــــبِ
ســـــــألتهُ دّراعـــــــةً	لباســـــها يجمـــــلُ بـــــي
فقـــــالَ لـــــي أكـــــرهُ أنّ	تُلـــــبسَ مِـــــنْ بعـــــدِ أبـــــي
وقـــــد رأى الـــــبردَ ومَـــــنْ	يلبســـــهُ بعـــــدَ الـــــنبي

4. الأسلوب القصصي :

كان احد الطرائق الفنية التي سلكها الشعراء في الهجاء للنيل من خصومهم وتوضيح مظاهر النقص فيهم ، ويبدو اتساع هذا الأسلوب لتفصيل الكلام ولقربه من طريقة المحادثة والقصة لما يحتمله من قول ورد وسؤال وجواب وحوار ونقاش ولم يكن الهجاء الغرض الوحيد الذي اتسم بالأسلوب القصصي فشعر الخمرة والغزل كذلك ، لان أسلوب الحكاية اقرب إلى الشعب الذي يميل إلى الحديث السردي . والهجاء القصصي إسلامي النشأة لعدم اعتماد الهجاء الجاهلي على الحوار والسرد القصصي[64].

بدأ الهجاؤون يجدون في الأسلوب القصصي طريقاً للكشف عما يريدون الحديث عنه من معان وأفكار يجرونها على ألسنتهم أو من يريدون التشهير بهم .

ويرى د. محمد مصطفى هدارة (إنّ تأثير القصص والأساطير التي ترجمت الى العربية في القرن الثاني كان واضحاً في نزوع بعض الشعراء إلى الأسلوب القصصي)[65] ، ويرى آخرون (إنّ اتخاذ الحوار أو السرد القصصي شكلاً من أشكال التعبير الشعري ، كان أثراً لغلبة العنصر العقلي وظهور الحركات الفكرية التي تستند إلى

العقل) [66] وهذا الأثر يبقى ثانوياً إلى جانب الأثر الأول القوي وهو ميل العرب بفطرتهم إلى السمر والحكاية .

وكان من بين هجائي العصر العباسي من اتخذ الأسلوب الحكائي طريقاً لعرض المذام والمثالب .

والقصة الهجائية تطول وتقصر بحسب الحادثة ، والحديث الذي يديره على ألسنة الأشخاص والوصف الذي يسوقه في ثنايا الهجاء . وتشتمل طريقة الأسلوب القصصي على:

أ- السرد :

ب-الحوار :

فالسرد : كقول دعبل الخزاعي يهجو مَنْ سرقوا ديكه وأكلوه [67]

(بحر الكامل)

أسرَ المؤذنُ صالحٌ وضيوفهُ ... أسرَ الكميُّ هفا خلالَ المأقطِ

بعثوا عليهِ بنيهمُ وبناتهمْ ... مِنْ بينِ ناتفهِ وآخرَ سامطِ

يتنازعونَ كأنهم قد أوثقوا ... خاقانَ أو هزموا كتائبَ ناعطِ

نهشوهُ فانتزعتْ لهُ أسنانهم ... وتهشمتْ أقفاؤهم بالحائطِ

إنّ دعبلاً بهذه المقطوعة تهكم واستخف بهؤلاء القوم إذ استخدم في إذاعة خبر سرقتهم لديكه على أسلوب يتخذ من الصورة المضحكة طريقاً للانتقام والفضح .

ولقد أورد الشاعر عبد الصمد بن المعذل في هجاء القاضي التيمي سبب تهاونه في عمله بأسلوب قصصي سردي [68]

(مجزوء الرمل)

ما لقينا مِنْ أخي تيمٍ ... ومِنْ إرجافِ قومهِ

كلّمـــا جئنـــاهُ قـــالوا   شُـــغلَ القاضـــي بصـــومهِ
يجلـــسُ الخصـــمُ لديـــهِ   وهـــو في أطيـــبِ نومـــهِ

أما الحوار : ففيه قال عبد الصمد بن المعذل يهجو المبرد وقومه بأسلوب قصصي حواري [69] (بحر الوافر)

سـألنا عَـنْ ثُمالـةَ كـلّ حـيٍّ   فقـالَ القـائلونَ ومَـنْ ثُمالـة
فقلـتُ محمـدُ بـنُ يزيـدٍ مـنهمُ   فقـالوا زدتنـا بهـمْ جهالـة
فقـالَ لـي المـبردُ خـلٌّ قـومي   فقـومي معشـرٌ فـيهم نذالـة

إنّ القصة الهجائية أسلوب استخدمه الشعراء في عرض أهاجيهم تفنناً في طرائق التعبير وتنويعاً في أساليب الأداء ولكن العرض القصصي لم يكن نهجاً واسعاً في الشعر العربي عامة والهجاء خاصة لاحتياجه الحوار والسرد المتلازم المنسجم مع الأحداث . والشاعر العربي ميال إلى الصيغة الحرة المباشرة التي لا تتقيد بحد أو قيد كالأسلوب القصصي .

5. العرض الساخر أو (سخرية العرض):

(الهجاء بلا فكاهة قوالب جافة) [70] .

والفكاهة جعلت العرض الساخر أمتع الأساليب الهجائية وأقربها إلى الأصالة الفنية ففيه تتجسد الطاقة الشعرية المبدعة وليس كل شاعر يستطيع أنّ يحذق التصوير الساخر المضحك والإفادة من المفارقات لانّ (السخر مبعثة مقابلة الواقع باعتبار ما فيه من النقص) [71] .

والسخرية في الشعر طريقة تعبيرية متطورة لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية بأسلوب يبتعد عن السباب والقذف والإيغال في الفحش لأنّه (ينبغي ألّا يكون محتدّاً ثائراً وسيء اللفظ بذيئاً ، فالسخر هو الهدوء التام والأدب

التام) [72] . والمرء ميّال إلى اتخاذ التهكم طريقة في الإعراب عن النقد والازدراء لكثير من مظاهر الحياة .

فالسخرية (رد الإنسان على عيوب المجتمع ، فهو يسخر ولا يسب ، ويبصر تناقضاتها ، ويتحدث بابتسامة مستخفة هازئة) [73] .

وشعراء العصر العباسي وقبله بقليل انتهجوا السخرية أسلوباً في الأداء والتعبير فالهجاء الساخر كما يرى الدكتور الجواري(ليس من طراز الهجاء القديم بل يعتمد السخرية والاستهزاء من المهجو، ويصور جانباً من الحياة الشعبية ويكشف عن عنصر الفكاهة والهزل في المجتمع) [74] . وقد سلك الشعراء في العرض الساخر نهجين :

أ-السخرية التصويرية :

تعتمد التخيل والتصور الدقيقين لألتقاط صورة مشوهة مضحكة للمهجو تقوم على المغالطة التركيبية المتخيلة للشخصية المهجوة ، فهو نوع من النقد يعتمد التماس العيوب الرئيسة لظاهرة معينة يعرضها بأسلوب فني ويبرز وجه التناقض على شكل نكتة ترد في ذهن الفنان فالهجاء الكاريكاتوري فن هادف ذو موضوع كبير الأهمية في نفس الشاعر فيعمد إلى الضحك (لأنّه تأديب قبل كل شيء ووجد ليخزي والمجتمع ينتقم به ممن يتطاولون عليه)[75]. فالأسلوب الساخر (كل نتاج يعمد إلى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة أو الغلو بالتصوير والعرض) [76] فهو – الأسلوب الساخر- طريقة فنية يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكار وخواطر ترتبط بالفرد والمجتمع لان التهكم وسيلة التنفيس أمام مساوئ المجتمع ، و(الفن الكاريكاتوري قائم على المبالغة المتطرفة في انتخاب بعض الأعضاء في جسم المهجو أو بعض الصفات في نفسيته ثم إبرازها والتضخيم من شأنها إلى حد يلغي تناسب الصورة) [77] . فمثلاً قول دعبل الخزاعي يهجو امرأة دميمة يقول [78]:

(بحر الخفيف)

أصـــرميني يـــا خلقـــةَ الجـــدارِ ... وصـــليني بطـــولِ بُعـــدِ المـــزارِ

فلقـــد سمـــتني بوجهـــكِ والوصـــ ... ـــلُ قروحـــاً أعيـــتْ علـــى المســـبارِ

ذقـــنٌ نـــاقصٌ وانـــفٌ طويـــلٌ ... وجـــبينٌ كســـاجةِ القســـطارِ

قامـــةُ الفصـــعلِ الضـــئيلِ وكـــفٌّ ... خنصـــراها كـــذينقا قصّـــارِ

وصورة الجدار (الفزاعة) مشوهة غير متجانسة الأعضاء صغر في العينين وطول في الأنف وعرض في الفم وأصباغ لا تتلاءم مع بعضها وهذا القناع البسه الشاعر مهجوته التي بالغ في وضع التناقضات في وجهها .

ب- السخرية اللفظية :

وهذا الضرب يعتمد الفكاهة في التعبير والتهكم المستخلص من خلال البناء اللفظي للأبيات الشعرية ، ويسلك الشاعر مختلف السبل التعبيرية لينتهي إلى ما يريده من إثارة الضحك والاستهزاء بالمهجويين وتقوم السخرية اللفظية على التشكيل اللفظي الذي يخرج منه المتأمل بما يضحكه ويثير سخره فيعمد الى المعاني المتنافرة لينسج ما يبعث على الضحك والتندر.

ويسلك الشاعر إلى سخريته من مهجوه أسلوباً ظاهره مدح وإطراء وباطنه هجو ومذمة كقول دعبل يهجو قوماً استضافوه ولم يطعموه حتى غلبه النوم[79] :

(بحر الوافر)

هنـــاكم أنكـــم قـــومٌ كـــرامٌ ... وأنّ النـــومَ بيـــنكمُ طعـــامُ

أتـــاكم زائـــرٌ فـــأجعتموه ... فلمـــا نـــامَ أشـــبعهُ المنـــامُ

فبداية القول تشعر أنّ دعبلاً يمدح القوم ثم يعدل إلى هجاء نسجته خيوط التهكم التي تطبع سمعة هؤلاء بما يهزئهم فهو (يأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها

القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجوه ، والتهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو)[80]

وقال علي بن الجهم في هجاء مغنٍ[81]:

(بحر المديد)

كنتُ في مجلسٍ فقالَ مُغني الـ ـــقومِ كَمْ بيننا وبينَ الشتاءِ

فذرعتُ البساطَ مني إليهِ قلتُ هذا المقدارُ قبلَ الغناءِ

فإذا ما عزمتَ أنْ تتغنى أذنَ الحرُّ كلّهُ بانقضاءِ

فهذه الأبيات تقوم على التفكه والملح لتكون اشد وقعاً ونكالاً على المهجو .

ومما يلاحظ ويستنتج مما تقدم :

إنّ البناء الفني للقصيدة الهجائية في العصر العباسي الأول كان على ما يأتي :

1- القصائد الهجائية المبدوءة بالمقدمة وكان منها التقليدية والتجديدية .

2- القصائد الهجائية الخالية من المقدمات وكانت إما ، قصيدة صغيرة أو مقطوعة أو أرجوزة او مجزوء الرجز أو اعتمد في بنائها الداخلي الأسلوب القصصي في الهجاء ، أو باستخدام العرض الساخر الكاريكاتوري .

الفصل الثاني

الخصائص الفنية لشعر الهجاء

الجانب النظري :

قال الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) (82)

ونظرة الجاحظ فنية أصيلة تسندها قاعدة فلسفية لم يبرزها الجاحظ ولكن أبرزها قدامة بن جعفر (أنّ المعاني كلها معّرضة للشاعر ، وله أنْ يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير ان يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه) (83)

وسفه عبد القاهر الجرجاني آراء النقاد الذين جهلوا شأن الصورة وبنوا على قاعدة ليس إلا المعنى واللفظ ، ولكن الجرجاني قال بالكلمة المفردة التي يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه (84)

إنّ الشعر بوصفه فناً لا يمكن أنْ ينظر إليه من ناحية محتواه فحسب أو من ناحية شكله فقط ويعبر عن تلك الفكرة (سانتيانا) من وجهة نظر علم الجمال فيقول: (يتألف التأثير الرئيسي للغة من المعنى أي مما تعبر عنه من أفكار ، إلاّ أنّ التعبير يستحيل بدون العرض ، ولا بد للعرض أنْ يكون له شكل ما ، وهذا الشكل الذي تأخذه وسيلة التعبير هو ذاته احد العناصر التي يتألف منها تأثير اللغة) (85) فالشعر ليس موضوعاً أو شكلاً فحسب إنما هو صورة عامة يتلبس فيها الشكل بالموضوع ويلتحمان في إطار هو الشعر نفسه .

ومن الضرورة التوجه إلى الجانب الفني من حيث اللغة والأساليب الفنية ، والصناعة البلاغية وأهمية استخدامها في الشعر وأنواعها ، والأوزان التي مال إليها

هؤلاء الشعراء والقوافي التي أجروا فيها بحورهم ونظمهم ، حتى يمكن ملاحظة التطور الذي طرأ على الشكل ومدى تلائمه مع المحتوى ، والخصائص الفنية التي تميز بها هجاء هذا العصر بكل موضوعاته .

إنّ هذا الفصل يتكون من ثلاثة مباحث أساسية هي :

أولاً : لغة القصيدة وأسلوبها .

ثانياً : الصورة الشعرية .

ثالثاً : موسيقى الشعر .

المبحث الأول

لغة القصيدة وأسلوبها

الشعر صدى من أصداء الفكر الإنساني ، ومرآة ينعكس عليها كل ما يجول في نفوس الناس من خواطر ومشاعر ، فلا بد من أن يتطور بتطور هذا الفكر ويتغير بتغير معطيات النفوس وتبدو على صفحته آثار البيئة المتجددة .

تعد اللغة أول عناصر الأدب وركيزته الأساسية [86] فاللغة وسيلة الشاعر يعبر من خلالها عما تمور به نفسه من انفعالات وأفكار وخيالات ، واللغة عنصر مهم من عناصر الشعر وهي مادة الشعر وجوهره فلا بد للشاعر أنْ يسلك فيها مسلكاً خاصاً للتعبير عن معانيه ، وتختلف اللغة الشعرية عن لغة الخطاب اليومي كونها لغة إيحائية ذات طاقة تعبيرية مكثفة لذلك قيل (الشعر استعمال خاص للغة)[87] .

فيجب اختيار اللفظ المناسب ليخدم المعنى الذي يريده ، والشاعر الحاذق مَنْ استطاع أنْ يتجاوز معاني اللفظة المحددة المتعارفة إلى معان أخرى مستغلاً إمكانياتها المعنوية واللفظية .

فللكلمة المفردة معنى اصلي ومعنى سياقي [88]

(ولقد تحدث النقاد قديماً وحديثاً عن مقومات اللغة وبنائها وتناسقها وتلاقي معانيها وضرورة مناسبة اللغة مع موضوع القصيدة أيضاً) [89]

يقول الدكتور محمد مندور : (من الحمق أنْ يقال إنّ ثروة أو غنى لغة ما يتوقف على عدد ألفاظها ، وإنما ثروة اللغة تقاس بالثروة الفكرية التي استطاعت تلك اللغة أنْ تعبر عنها) [90] إذ أنّ (اللغة الشعرية تحطم اللغة العادية لكي تعيد بناءها ثانية في أنساق تركيبية جديدة)[91] من خلال (إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك) [92] واللغة عند الأديب تحكم بقوانين البيئة والثقافة (فيروق شعر احدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ احدهم ، ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع

ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة) [93] ولا عجب أنْ تكون اللغة مهمة في عالم الشعر فهي أداة الأديب (وهي التي تعطي الموضوع الأدبي شكله) [94] و (على اللغة تتوقف قدرة الشاعر من خلال النسيج اللغوي المتلبس بتركيب القصيدة) [95] . و(الظاهر أنّ اللغة الشعرية وسيلة للتعبير ، فاللغة إذن كل مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة وموسيقى) [96] .

واختلاف لغة الشعر عن الكلام الاعتيادي هو الذي يعطي لها طابعاً مميزاً ، فلغة الشعر تمتاز بترتيب الكلمات وانتقائها مما يجعلها مميزة عن الكلام الاعتيادي[97] .

ويرتبط البحث عن لغة الشعر في العصر العباسي الأول بجوانب ثقافية وبيئية وحيوية تفاعلت في هذا العصر . وبما أنّ (لغة الشعر في كل عصر دلالة على حياته العقلية والاجتماعية) [98] .

لذلك كان استقراؤها يمثل صورة العصر بكافة دقائقه : إنّ لغة الشاعر بما تحمله من دلالات تعبر عن واقع الشاعر ومدى ثقافته وبيئته وخزينه اللغوي الذي يستمده من واقعه المعاش .

والشاعر يستخدم لغة مجتمعه بعد أنْ يضفي عليها أسلوبه وذاتيته في إيصال آرائه متأثراً بعوامل عدة ، منها رغبته في التعبير الذاتي بنقل أفكاره إلى الآخرين ، أو اهتمامه بالناس وأعمالهم ، عندما يكون أدبه اجتماعياً بمعنى الكلمة ، فيتعرض لما يسود مجتمعه من تيارات خلقية وسياسية وفكرية واقتصادية [99] .

ولقد واكب الشعر الحياة الجديدة فكانت له لغة جديدة ذات دلالات جديدة لان اللغة مادة متطورة ومتجددة مادامت الحياة متطورة ومتجددة [100] .

وأصبح أكثر الشعر يمتاز بالأسلوب المبسط واللغة السهلة وعدم التعقيد في اختيار الألفاظ والعبارات بسبب الامتزاج الحضاري والاجتماعي [101] . وظهور ذوق جديد بعيد عن حياة البداوة [102] فظهرت لغة تميل إلى البساطة والسهولة كي تفهمها

العناصر غير العربية ، فتدنت لغة التعبير العامة مع بدايات العصر العباسي لشيوع تلك العناصر [103] . فالشعراء من أمثال أبي نواس كانوا قد ادعوا إفهام العامة بما يكتبون ، ولكن يجب أنْ نعرف بان أكثر الشعراء المحدثين كانوا من أصول غير عربية ولذلك فقد اندفعوا لوصف الحضارة الجديدة وما فيها من لهو ومجون وخمر ، وهذه الدعوة لم تكن فردية وإنما كانت من صميم الحياة وطبيعتها [104] إنّ العصر العباسي الأول بما شهده من تغير في النظم السياسة الاجتماعية والتطور الحضاري والثقافي الذي أصاب المجتمع قد اثر على واقع الشاعر وعلى لغته ولذلك ترى أنّ لغة الشعر في هذا العصر قد اتخذت ثلاثة مسارات :

الأول : ينحو نحو القدم إذ نرى بعض الشعراء قد توجهوا نحو المعين الأصيل للغة من خروج إلى البادية والإلمام بالأصل من المنبع الذي لا يشوبه لحن أو لفظ غريب وبذلك أكسبتهم البداوة الفصاحة وزادت من ثروتهم اللغوية فبقيت الجزالة في الألفاظ والغريب تطغى عليهم [105] .

الثاني : (يمثل طريق السهولة وتبني ألفاظ العامة فتجد اللحن والرطانة والعبث واستعمال ألفاظ غير عربية منتشرة في أثناء شعرهم) [106]

الثالث : فيمثله شعراء البديع ومَنْ اهتم بتخير الألفاظ وصناعة الجملة وهم كما ذكرهم ابن رشيق (بشار بن برد وابن هرمة ، واقتدى بهما العتّابي ، ومنصور النمري، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والبحتري) [107] فسمتهم الغالبة تأثرهم بهذا الاتجاه وتوجهوا نحو التلاعب اللفظي والإمعان في تخير الألفاظ على نمط جديد يعتمد اللفظ الفخم والجزالة والموسيقى . إنّ شعراء العصر العباسي الأول (المحدثين) استحدثوا اللغة المولدة وهي (لغة الشعر نفسها بصفة عامة) [108] .

لقد جمعت لغة الشعر في العصر العباسي الأول بين رقة الحضارة ونعومتها، وبين المستوى العقلي والفكري لمتحدثيها ، وحملها كثيراً من خصائص

الأسلوب المولد [109] الذي امتاز بوضوح المعنى وأناقة التعبير ودقة الحس [110] وأدرس في لغة القصيدة وأسلوبها :-

1.معجم شعراء الهجاء والألفاظ المحورية :

ويقصد به الألفاظ الأكثر استخداماً وتداولاً لدى الشاعر الهجّاء في موضوعات الهجاء وأتناول ألفاظ الهجاء المحورية لدى شعراء الحزب العباسي في قصائدهم المدحية السياسية المحتوية على هجاء مبطن للمناوئين للعباسيين وبالأخص (العلويين) حيث وردت لفظة (سورة الأنفال) بكثرة لدى شعراء الحزب العباسي يدّعون إنّ هذه الآية تؤكد وتؤيد حق العباسيين بالحكم وفي ذكر اسم السورة الكريمة لدى شعراء العباسيين مدح للعباسيين وهجاء للعلويين ، حيث يقول مروان بن أبي حفصة في مدح المهدي العباسي وهجاء العلويين [111]

(بحر الكامل)

هَلْ تطمسونَ مِنَ السماءِ نجومها ... بأكفكم أم تسترونَ هلالها

أمْ تجحدونَ مقالةً عَنْ ربكم ... جبريلُ بلّغها النبيُ فقالها

شهدتْ مِنَ الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتراثهم فأردتمْ إبطالها

ومن الألفاظ التي استخدمها العباسيون في تأكيد أحقيتهم بالخلافة وفي صميمها رد وهجاء ضد العلويين لفظة (سقاية الحاج ، ويوم حنين) حيث يقول بشار بن برد في احد رجال العباسيين في معرض المدح السياسي : [112]

(بحر البسيط)

ساقي الحجيجِ أبوهُ الخيرِ قد علمتْ ... عُليا قُريشٍ لهُ الغاياتُ والقصبُ

وافى حنيناً بأسيافٍ ومَقربةٍ ... شُعثُ النواصي براها القودُ والخببُ

ومن الألفاظ الأخرى (أمين الله ، والقائم) حيث يقول بشار بن برد يمدح ولي العهد موسى الهادي العباسي : [113]

(بحر الطويل)

لعلّ أمينَ اللهِ موسى بنَ أحمدٍ يذوقُ لنا كأساً مِنَ السلواتِ
هو الملكُ المأمولُ والقائمُ الذي يؤلفُ بينَ الذئبِ والنقداتِ

أما ألفاظ الهجاء المحورية لدى الشعراء العلويين فنجدها في مدح آل البيت وهو هجاء مبطن لأعدائهم أو من خلال الهجاء المباشر لأعداء آل البيت مقتبسة ومتأثرة تأثيراً كبيراً من القرآن الكريم والحديث الشريف . حيث يرد السيد الحميري على تخرصات الحزب العباسي بعنف مستشهداً بآية التطهير مادحاً أهل البيت (ع) ، وقد استخدم السيد الحميري صيغة الهجاء المبطن والمكشوف لأعداء أهل البيت (ع) [114]:

(بحر الطويل)

إلى أهلِ بيتٍ أذهبَ الرجسَ عنهمُ وصَفّوا مِنَ الأدناسِ طراً وطيّبوا
إلى أهلِ بيتٍ ما لِمَنْ كانَ مؤمناً مِنَ الناسِ عنهمُ في الولايةِ مذهبُ

وقال السيد الحميري في مدح أهل البيت (ع) مستخدماً حججاً أخرى تداولها شعراء العلويين في الكثير من شعرهم : [115]

(بحر الكامل)

مَنْ أنزلَ الرحمنُ فيهم هَلْ أتى لّما تحدو للنذورِ وفاءَ
مَنْ خمسةٌ جبريلُ سادسهم وقد مدّ النبيَ على الجميعِ عباءَ

ومن الألفاظ المتداولة لدى الشعراء الشيعة (حديث الثقلين) حيث يقول السيد الحميري: [116]

(بحر السريع)

وقــالَ خلّفــتُ بكــمْ كتابــهُ   وعترتــي وكــلّ هــذينِ ثقــلْ

ومن الألفاظ المستخدمة لدى شعراء الشيعة هي (الوراثة) حيث يقول جعفر بن عفان الطائي شاعر العلويين [117] (بحر الكامل)

لِـمَ لا يكـون وإنّ ذاكَ لكـائنٌ   لـبني البنـاتِ وراثـةُ الأعمـامِ

للبنـتِ نصـفٌ كامـلٌ مِـنْ مالـهِ   والعـمُ مـتروكٌ بغـيرِ سـهامِ

مـا للطليـقِ وللـتراثِ وإنمـا   صـلّى الطليـقُ مخافـةَ الصمصـامِ

وشاع لدى شعراء الشيعة ألفاظ رسخت في التاريخ العربي الإسلامي كمصطلحات مشهورة يعرفها القاصي والداني ومنها ألفاظ (الناكثين والمارقين والقاسطين) [118] حيث يقول السيد الحميري [119] (بحر البسيط)

أقولُ لما رأيـتُ النـاسَ قـد ذهبـوا   في كـلّ فـنٍ بـلا علـمٍ يتيهونـا

مِـنْ نـاكثينَ ومُـرّاقٍ وقاسـطةٍ   دانـوا بـدينِ أبـي موسـى ومُرجينـا

أما الألفاظ المحورية التي يستخدمها شعراء حزب الموالي في هجاء العرب فهي على النحو الآتي : فتجد الشاعر يستخدم لفظة (الكرام) و(بني الأحرار) بكثرة وهو يقصد بها مدح قومه وفي المقابل هجاء للعرب من ذلك قول بشار بن برد : [120]

(بحر الوافر)

سـأخبرُ فـاخرَ الأعـرابِ عـني   وعنـهُ حـينَ بـارزَ للفخـارِ

أحـينَ لبسـتَ بعـدَ العُـري خـزّاً   ونادمـتَ الكـرامَ علـى العُقـارِ

تُفـاخرُ يـا ابـنَ راعيـةٍ وراعـي   بـني الأحـرارِ حسـبكَ مِـنْ خسـارِ

ومن الألفاظ في هجاء العرب (الحسب ، والعم ، والخال ، والجد ، والعرق) حيث يقول بشار بن برد [121]

(مجزوء الرجز)

هَـــلْ مِـــنْ رســـولٍ مُخـــبرٌ عنّـــي جميـــعَ العــــربِ
بـــأنني ذو حســــبٍ عـــالٍ علـــى ذي الحســـبِ
جـــدّي الـــذي أسمـــو بـــهِ كســـرى وساســـان أبـــي
وقيصـــرُ خـــالي إذا عـــددتُ يومـــاً نســـبي

وكذلك كثرة استخدام لفظة (الأعراب والأعاريب) في هجاء العرب .

يقول أبو نواس [122] (بحر الوافر)

ولا تأخـذْ عَـنِ الأعـرابِ لهـواً ولا عيشـاً فعيشـهمُ جـديبُ

وله أيضاً : [123] (من البسيط)

قالوا ذكرتَ ديارَ الحـيّ مِـنْ أسـدٍ لا درّ درّكَ قُـلْ لـي مَـنْ بنـو أسـدِ
ومَنْ تميمٌ ومَـنْ قيسٌ وإخـوتهم لـيسَ الأعاريـبُ عنـدَ اللهِ مِـنْ أحـدِ

والخريمي أيضاً يستخدم الألفاظ ذاتها في الفخر بآبائه وهجاء غيرهم إذ يقول [124]:

(بحر الطويل)

ناديتُ مِنْ (مروٍ) و(بلخ) فوارساً لهـا حسـبٌ في الأكـرمينَ حسـيبْ
وإنّ أبـي ساسـان كسـرى بـن هرمـز وخاقـانُ لـي لـو تعلمـينَ نسـيبْ
ملكنـا رقـابَ النـاسِ في الشـركِ كلّهـم لنـا تـابعٌ طـوعَ القيـادِ جنيـبْ

وكذلك ألفاظ (الأطلال) التي من خلالها ينطلق إلى هجاء العرب ويعدها من المثالب يقول أبو نواس [125] (بحر الوافر)

دَعِ الأطلالَ تسفيها الجنوبُ وتبكي عهدَ جدتها الخطوبُ

ومن ألفاظ الشعراء ذكر أسماء النساء العربيات للسخر من العرب ونسائهم وطريقتهم في الشعر مثل (زينب ، كعوب ، سلمى) وفي هذا يقول أبو نواس[126]:

(بحر الرجز)

أتركِ الربعَ وسلمى جانباً واصطبحْ كرخيةً مثلَ القبسْ

وقوله أيضاً : [127]

(بحر الطويل)

دَعِ الربعَ ما للربعِ فيكَ نَصيبُ وما إنْ سبتني زينبٌ وكعوبُ

ونجد في الهجاء الشخصي والاجتماعي وهجاء رجال الدولة العديد من الألفاظ المحورية ذات دلالات على موضوعات متعددة ومستخدمة لديهم . ومن الألفاظ المحورية استخدام ألفاظ اللغة وأسماء اللغويين في الهجاء . وفي ذلك يقول عبد الصمد بن المعذل في هجاء المازني اللغوي بتعرضه لأمه [128]

(بحر الرجز)

بنتُ ثمانينَ بفيها لثغه
شوهاءُ ورهاءُ كطينِ الرّدغه
فقلتُ : مَنْ أنتِ ؟ فقالتْ لي : دُغه
وابني أبو عثمانٍ ذو علمِ اللغه

وبازدهار الحياة العلمية وجد من الشعراء مَن يستعير ألفاظاً شاع استعمالها في الوسط العلمي ويدخلونها في منظومهم الهجائي كقول أبي تمام يهجو (مقران المباركي) [(129)]

(بحر الطويل)

أمُقرانُ كَمْ قِرنٍ لقيتَ بمشهدٍ فكانَ بهِ رفعاً وكنتَ بهِ نصبا

والرفع والنصب من المصطلحات النحوية المعروفة .

ومن الألفاظ المحورية لدى شعراء الهجاء خلع الصفات الأنثوية على المهجويين وإيلامهم وإسقاطهم في نظر الآخرين كقول أبي العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة وقد ضرب أبا العتاهية مئة سوط [(130)]

(بحر المضارع)

جَلدتني بكفّها بنتُ مَعنِ بنَ زائده

جَلدتني فأوجعتْ بأبي تلكَ جالده

اجلديني واجلدي إنما أنتِ والده

وهذا النهج في التهكم من الرجال والطعن عليهم من خلال نعتهم بالنعوت الأنثوية قول عبد الصمد بن المعذل يهجو قاضي البصرة أحمد بن رياح [(131)]

(بحر الهزج)

أيا قاضيةَ البصرةِ قومي فارقصي خطرهْ

ومّري برواسيكِ فماذا البردُ والفترهْ

أراكِ قد تثيرينَ عجاجَ القصفِ يا حُرّهْ

ومن الألفاظ المحورية لدى شعراء الهجاء ألفاظ المصطلحات الكلامية لتأثر الشعراء بالحياة العقلية المتمثلة في علوم أهل الكلام . كقول علي بن الجهم في ابن أبي داود إذ

ادخل في هجائه مفردات من صميم الألفاظ الشائعة في المذهب المعتزلي[132]

(بحر السريع)

يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ دعوةً	بعثتُ إليكَ جنادلاً وحديدا
ما هذهِ البدعُ التي سميتُها	بالجهلِ منكَ العدلَ والتوحيدا
أفسدتَ أمرَ الدينِ حينَ وليتَهُ	ورميتَهُ بأبي الوليدِ وليدا
لا مُحكماً جَزلاً ولا مُستطرفاً	كهلاً ولا مُستحدثاً محمودا

ومن الألفاظ المحورية في الهجاء ، الألفاظ الفلسفية المتأثرة بالوسط الفلسفي والكلامي . كقول أبي تمام يهجو موسى بن إبراهيم الرافقي [133]

(بحر الكامل)

هَبْ مَنْ لهُ شيءٌ يريدُ حجابهُ	ما بالُ لا شيءٍ عليهِ حجابُ

وكلمة (لا شيء) في المصطلح الفلسفي تعني (العدم) .

ومن الألفاظ المحورية في الهجاء الألفاظ الأجنبية والمعربة وكان شيوعها في الهجاء لأنّه غرض شعبي يستمد هذه المفردات من لغة الناس العامة كقول أبي تمام في هجاء ابن الأعمش [134] (بحر الكامل)

لا ترثِ لابنِ الأعمشِ الكشخانِ مِـ	ـنْ رُخصِ الإجازةِ والبغاءِ لديه

ويهجو أبو تمام احدهم بالبخل فيقول : [135] (بحر المنسرح)

قَدْ كانَ يُعجبني لو أنّ غيرتَهُ	على جرادقهِ كانَتْ على حرمه

وقول عبد الصمد بن المعذل في هجاء الراوي أبي قلابة : [136] (بحر الرجز)

واقرنْ إليهِ حيةً مُنسابه

وابعثْ على جوخانةِ سنجابه

ودعبل الخزاعي يهجو أحمد بن أبي خالد كاتب المأمون بالشره [137]

(بحر الكامل)

لَـمْ تغـدِ بـالملبونِ عنـدَ فطامـهِ   يومـاً ولا بمُطجّـنِ القلقـاسِ

ومن الألفاظ المحورية استخدام الألفاظ الشعبية في الهجاء الشخصي كقول دعبل الخزاعي [138]   (بحر المجتث)

سـألتهُ مَـنْ أبـوهُ   فقـالَ : (دينـارُ) خـالي

فقُلـتُ : (دينـارُ) مَـنْ هـو؟   فقـالَ : والـي الجبـالِ

وسؤال الشاعر هنا من الألفاظ الشعبية والعامية في المجتمع .

ومن ألفاظ السباب والإفحاش قول بشار بن برد : [139]   (بحر الكامل)

عجَلُ الركوبِ إذا اعترتـهُ نـافضٌ   فـإذا أفـاقَ فلـيسَ بالرّكـابِ

2. الأساليب والتراكيب النحوية :

إنّ وصف الإطار التركيبي للجملة العربية قد انطوى على اثر واضح للمنطق العقلي السائد في المباحث النحوية ، فلما كانت الجملة مركباً فان تحليل هذا المركب سيفضي على وفق التطور المنطقي إلى جزئياته [140] .

أ. الجملة الاسمية : احتلت هذه الجملة مساحة كبيرة بشكلها المعهود المتكون من المبتدأ والخبر ، بل وتكونت من (كان واسمها وخبرها وأخواتها) أو (ان واسمها وخبرها وأخواتها) ، إذ لها دلالة نفسية توحي بحالة الهدوء والاستقرار.

المبتدأ والخبر في التراكيب النحوية (والمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام ، والمبتدأ والمبني عليه رفع ، فالابتداء لا يكون إلاّ بمعنى عليه ، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه هو مسند ومسند إليه) [141] ، أما الخبر فهو (إعلام ، تقول : أخبرته ... اخبره ، والخبر هو العلم) [142]

وينقسم المبتدأ والخبر على أقسام في مواضعهما في الكلام ، فأما المبتدأ فهو (قسمان قسم له خبر ، وقسم له فاعل أو نائب عنه يغني عن الخبر وهو الوصف ، وان كان اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهه) [143] ، (وأما الخبر فهو ثلاثة أقسام مفرداً وجملة وشبهها وهو الظرف والجار والمجرور)[144].

وتجد في الجملة الاسمية يكون خبر المبتدأ مفرداً كقول أبي تمام [145]

(بحر الرجز)

نعمَ الفتى ابنُ الأعمشِ الغِرُّ الدَّفرْ	لولا الحلاقُ والجنونُ والبَخرْ
كانّما أسنانهُ إذا كشَرْ	حبٌّ مِنَ القرعِ مؤدَّرٌ نخِرْ

شبه الشاعر (الأسنان) حين يضحك بحب الرقي المنخر فالمبتدأ (حب) والخبر (مؤدر) فامتاز هنا من خاصية الابتداء والإخبار بالمفرد كونه لا يحوي على متعلقات اسمية أو فعلية وبذلك تدل أكثر على الثبوت والتأكيد والاستقرار فالشاعر أدى المعنى التهكمي بشكل واضح في ذهن السامع .

ومن مثال الخبر جملة وهنا (جملة فعلية)قول ديك الجن الحمصي [146] :

(بحر المنسرح)

يحملُ رأساً تنبو المعاولُ عَـ	ـنْ صفحتهِ والجلامدُ الوعرهْ
لو البغالُ الصلبُ ارتقتْ سنداً	فيه لُمدّت قوائماً خَدِرهْ

فالمبتدأ لفظ (البغال) والخبر الجملة الفعلية (ارتقت سنداً) فالشاعر يقـول ان رأس المهجو كالصخر الجلمود بسـبب لؤمـه ، فميـزة الخـبر جملـة انـه امتـداد نفسـي وفكري بواسطة اللغة .

ومن أمثلة (الخبر شبه جملة) قول عبد الصمد بن المعذل [147] :

(بحر الخفيف)

هـــي عـــوراءُ بـــاليمينِ وهـــذا أعـــورٌ باليســـارِ وافـــقَ شَـــنّا

فالمبتدأ اسمي الإشارة (هي،هذا) والخـبر (عـوراء بـاليمين ، اعـور باليسـار) فشبها الجملة خبر للمبتدئين وتجد ميزة الخبر شبه جملة الإيضاح والتفسير . ومن أمثلة نواسخ الابتداء (كان وأخواتها ، إنَّ وأخواتها) قول الزيات [148]

(بحر البسيط)

في الشيبِ عافيـةٌ مـا لَـم ْيكـنْ صَـلَعٌ فـــإنَّ ذاك وذا عـــارٌ إذا اجتمعـــا

فالشاعر استخدم نواسـخ الابتـداء (كـان) و(إنّ) فوظفهمـا بطريقـة فنيـة في غرض الهجاء . وعموماً فان شعراء العصر العباسي قد أكثروا مـن اسـتخدام نواسـخ الابتداء .

ب. الجملة الفعلية : (إنّ الجملة الفعلية تفيد التجدد) [149]

ومن أمثلة الجملة الفعلية بالزمن الماضي والحاضر قول الزيات [150] :

(بحر البسيط)

يـا أنـفَ عيسـى جـزاكَ الله صـالحةً وزادكَ الله إشـــــراقاً ومُتَّســـــعا

نَعـمْ ولازلـتَ تجـري فيـكَ أوديـةٌ مِـــنَ المُخـــاطِ رواءٌ يطّـرِدْنَ معـــا

استخدم الشاعر الجملة الفعلية لأنها تفيد التجدد فأعطى صـورة متجـددة اسـتهزائية عن المهجو .

ت. شبه الجملة : وتتكون من الجر والظرفية ، والجر إما أنْ يكون بحرف الجر أو الإضافة أو التبعية (والمجرور قسمان : احدهما بحروف الجر ، والثاني ما ينسب إليه اسم قبله بواسطة حرف جر مراد فلذلك يجر) [151].

والقطعة الهجائية المستخدمة حروف الجر كقول بشار بن برد [152]

(بحر البسيط)

يروحُ في الغيِّ يعبوباً له شرفٌ ... وفي الرشادِ بليداً غير يعبوبِ

وقد عرفتُ عريفاً ناكَ خالتهُ ... وقد تلفَّع شيباً غير مخضوبِ

يصبُّ في فلسها مِنْ ماءِ فيشتهِ ... صَّب الوليدةِ في المصحاةِ بالكوبِ

فالشاعر هنا استخدم حروف الجر (في) و (الباء) و (من) في هجائه وقد ساعدته حروف الجر في إيضاح الصورة الهجائية .

ومن أمثلة استخدام الإضافة قول دعبل [153] (بحر المجتث)

سألتُهُ : مَنْ أبوهُ ... فقالَ : (دينارُ) خالي

فقلتُ : (دينارُ) مَنْ هُوْ ... فقالَ : (والي الجبالِ)

هنا استخدم إضافة لفظة (والي) إلى لفظة (الجبال) وكانت الإضافة تهكمية استهزائية فهو بدل أنْ يضحك زاد تنكيراً .

ومن أمثلة الجر بالتبعية قول بشار بن برد [154] (بحر الوافر)

فيا عجباً مِنَ الخبِّ المؤتِّي ... وحسبُكَ بالغيورِ مِنَ القحابِ

يُضيعُ نساءَهُ ويظلُّ يحمي ... نساءَ العالمين مِنَ اللعابِ

فهنا الخب بمعنى البخل والخبل فهو يهجو ذا البخل بوجهه فأعطى صفة له ولذلك جر (المؤتي) بالخب بالتبعية .

أما ظرفا الزمان والمكان فظرف الزمان ما دلّ على زمان وقوع الفعل ، وظرف المكان ما دلّ على مكان وقوع الفعل[155] .

فمثال ظرف الزمان قول بشار يهجو رجلاً : [(156)] (بحر الوافر)

أتفخرُ بعدَ يومِ بني قُشيرٍ وأنتَ مُخنّثٌ فيكَ اعوجاجُ
تغادي في الصباحِ عمودَ قردٍ كما تغدو على القذرِ الدجاجُ

فالشاعر يعير المهجو بيوم بني قشير وهو يدل على ظرف الزمان .

ومثال ظرف المكان قول أبي نواس [(157)] (بحر البسيط)

واواخلعْ عذاركَ لا تأتي بصالحةٍ ما دُمتَ مُستوطناً أكنافَ بغداذِ

3. الأساليب والتراكيب البلاغية :

أول هذه الأساليب (التشبيه) وهو (من أصول التصوير البياني ، ومصادر التعبير الفني ففيه تتدافع المشاهد) [(158)] .

أما اصطلاحاً فهو (عقد مماثله بين أمرين ، أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر ، بأداة لغرض يقصده المتكلم) [(159)] ومثله قول دعبل [(160)] .

(بحر الطويل)

كأنّ ثناياها وما ذُقتُ طعمها لبا نعجةٍ سوّطْتُهُ بدقيقِ

فالشاعر هنا يتكلم عن الفم الكريه ويعتمد عنصر السخرية فيشبه فم المرأة الكريه بحليب النعجة لأول مرة المرّ الثخين ويضيف أنّ الحليب مخلوط بطحين فيمتاز بالخشونة والمرارة ، فالمشبه (فم المرأة) والمشبه به (حليب النعجة) وأداة التشبيه (كأن).

أما الأسلوب الآخر فهو (المجاز) (وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي . أما القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على انه اراد باللفظ غير ما وضع له)[161] .

ومثال ذلك قول دعبل الخزاعي في هجاء المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي [162]

(بحر المتقارب)

تنـوِّطُ مصـرُ بـكَ المخزيـاتِ وتبصـقُ في وجهـكَ الموصـلُ

فالشاعر هنا استخدم المجاز فالمعنى إنّ أهل مصر تنوط بالمهجو المخزيات ، وان أهل الموصل يبصقون في وجه المهجو .

أما الأسلوب الآخر (الاستعارة) (استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي) [163] ، ومن أمثلة الاستعارة قول دعبل الخزاعي يهجو أبا نصر بن حميد الطوسي [164]

(بحر البسيط)

أبـا نُصَـيرٍ تَحلّحَـلْ عَـنْ مجالسـنا فـإنَّ فيـكَ لَمِـنْ جـاراكَ مُنتقصـا

أنـتَ الحمـارُ حرونـاً إنْ رفقـتَ بـه وإنْ قصـدتَ إلى معروفـةٍ قَمصَـا

فهنا الشاعر يستعير لفظ (الحمار) على المهجو ويقصد أنّ أخلاقه وصفاته كالحمار بدلالة أنْ يحرن أو يمارس العصيان فيما يريده أو يقوله .

أما الأسلوب الآخر (الكناية ، لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له) [165] ، ومثال ذلك قول عبد الصمد بن المعذل [166] .

(بحر السريع)

إنْ كُنـتَ قـدْ صَـفَّرتِ أُذنَ الفتـى فطالمـا صَـفَّرَ آذانـا

هنا الشاعر (كنى) بصفرة الآذان دلالة على العار .

المبحث الثاني

الصورة الشعرية

إنّ مصطلح الصورة الشعرية عربياً أصيلاً ، والنقاد تناولوه في دراساتهم وان اختلفت التسميات يبقى المعنى واحداً . وذكر الجاحظ مصطلح الصورة حيث قال : (إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)[167] .

ثم يأتي قدامة بن جعفر ليفصل القول في الصورة من خلال المعاني : (المعرضة للشاعر ، وله أنْ يتكلم منها ما أحب ، وما آثر من غير أنْ يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه) [168] . وقد تناول عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة مفهوم الصورة وحدد إطارها العام إذ قال (الصورة إنما تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بابصارنا) [169] . إنّ الخروج عن الصياغة ومن خلال التعبير عن التجربة النفسية بصياغة فنية تحاول التمرد على العلاقات اللغوية المعروفة وهي التي تميز الناتج الإبداعي ، وهذا التمييز يكون بعيد عما هو كائن في الحقيقة [170] . وعرفت الصورة على أنها (تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها ، إذ أكثر الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية)[171] . إذا الصورة هي علاقة بين اللغة والخيال فضلاً عن العاطفة والإحساس ، فهنا يأتي التعريف الآخر بأنّه (رسمٌ قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة) [172] . فعلاقة الخيال والعاطفة باللغة تكون العلاقة حينئذ بين الحقيقة والمجاز ، فلكل جزء منها حضور في عملية تشكيل الصورة .

أنماط الصورة :

1. الصورة الذهنية أو المجردة .
2. الصورة الحسّية .

1. الصورة الذهنية أو المجردة : وتكون صورة محدودة في إطار معين ومثال ذلك قول ديك الجن الحمصي يهجو البخل ويقول انه طبيعة لدى الإنسان [173]

(بحر الطويل)

وإنـي بـريءٌ مِـنْ أخـي وانتسـابهِ إلـيَّ إذا ألفيـتُ في طبعـه بُخـلا
فـإنْ لَـمْ تكـن بـالطبع نفسـي كريمـةً وإنْ كـرُمَ الآبـاءُ لَـمْ أرَهُ فضـلا

فالشاعر يفصل ويقول إنّ الإخاء بالصفات والطباع وليس بالنسب ويقول إنّ الإنسان بصفاته وأخلاقه يسير مسيرة آبائه .

ومثال آخر يخص الصورة الذهنية أو المجردة حيث يقول دعبل الخزاعي في ذم البخل والمطل (174) :

(بحر الطويل)

فـإنْ تَجمـعُ الآفـاتِ فالبخـلُ شـرُّها وشـرٌّ مِـنَ البُخـلِ المواعيـدُ والمطْـلُ

فالشاعر هنا يقول إنّ شرّ الآفات عند جمعها هي (البخل) واشر من البخل ، الكذب في المواعيد والمطل بها .

2. الصورة الحسّية : (تستعمل كلمة الصورة الحسّية للدلالة على كل ما له صلة أو علاقة بالتعبير الحسي وهي وسيلة الشاعر والأديب في نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرّائه أو سامعيه) (175) ، فالصورة الحسية تستخدم وسيلة للتأثير في النفس والشاعر إذا أراد أنْ يوقظ انفعالاً لا يكتفي بصورة وإنما يتعدى إلى الحواس كلها الأخرى ، فالصورة (رسم قوامه الكلمات وقد لامسته صفة حسية) (176) ، ويراد بها إيضاح اثر الحواس في العمل الأدبي فيقدم الشيء محسوساً كأنّك تراه أو تسمعه أو تتذوقه أو تشمه أو تلمسه ، والحواس هي التي تمد بالصورة والشاعر يستغل حاسة أو أكثر في رسم صورة لان الحواس تشترك فيما بينها (فتتأثر النفس في إدراكها عن طريق حواسها) (177) .

(فالصورة هي نسخة من الإحساس سواء أكانت بصرية أم سمعية أم شميّة أم ذوقية أم لمسية) (178) .

أما أنماط الصورة الحسية فهي :

1. الصورة البصرية : حاسة البصر أكثر الحواس استعمالاً في الشعر فهي النافذة الـتي يطل الإنسان من خلالها على العالم الخارجي بل فاقت الصورة البصرية صور الحواس الأخرى جميعاً ومن أمثلة الصور البصرية قول محمود الوراق [179]

(بحر المديد)

طويتَ عوارُ الشيبِ مِنْ فـرط قُبحـهِ ... بـأقبحَ منـهُ فافتضـحتَ ومـا انطـوى

وكذلك من قول أبي تمام يهجو عثمان بن إدريس الشامي ومحمداً أخاه[180]

(بحر الكامل)

عثمـــانُ لا تلـــهجْ بـــذكرِ محمـــدٌ ... ينهـاكَ طـولُ المجـدِ عنـهُ وعرضُـهُ

يغتـــالُ بـــذلكَ كُلّـــهُ إمســـاكهُ ... ويفـوتُ بسـطكَ في المكـارمِ قبضُـهُ

فكـأنّ عرضـكَ في السـهولةِ وجهـهُ ... وكـأنّ وجهـكَ في الحزونـةِ عرضـهُ

هنا يستخدم الشاعر الصورة البصرية فيهجو الأول بـان عرضـه في السـهولة كسماحة وجه الثاني ثم يرجع إلى الأول ويقول إنّ وجهه في البخل كعرض الثاني .

2. الصورة السمعية : وهي الصورة التي يكون لحاسة السمع مكان متميـز في رسمهـا كقول دعبل الخزاعي [181]

(بحر الوافر)

ومـــا مِـــنْ دونِ عرضـــكَ للقـــوافي ... شـــبا قُفـــلٍ يشـــدُّ ولا رتـــاجُ

لججـــتَ فعـــادَ ذاكَ عليـــكَ ذمّـــاً ... وأســـبابُ الـــبلاءِ مِـــنَ اللُّجـــاجِ

فاستخدم الشاعر لفظ (لجُ) في الهجاء وهي تدل على الكلام والسمع .

وكذلك قول دعبل الخزاعي يهجو المطلب الخزاعي [182]

(بحر المتقارب)

تنـــوطُ مصـــرُ بـــكَ المخزيـــاتِ وتبصـــقُ في وجهِـــكَ الموصـــلُ

فاستخدم الشاعر اللفظ (تبصق) وهي من الألفاظ التي تدل على حركة أو فعل مسموع .

3. الصورة الذوقية : كقول دعبل الخزاعي في وصف الفم الكريه (183)

(بحر السريع)

كأنّمـــا نكهتَهـــا كـــامخٌ أو حُزمـــةٌ مِـــنْ حُـــزَمِ الثُّـــومِ

فهو يعبر عن جانب ذوقي في نكهة ريق المرأة وفمها.

4. الصورة الشمية : كقول الزيات (184)

(بحر البسيط)

يـا أنـفَ عيسـى جـزاكَ اللهُ صـالحةً وزادكَ اللهُ اشـــراقاً ومُتَّسَـــعا

نَعـمْ ولازلـتَ تجـري فيـكَ أوديـةٌ مِـنَ المُخـاطِ رواءٌ يطَّـرِدْنَ معـا

وللزيات أيضاً (185)

(بحر الهزج)

قُـــلْ لعيســـى انـــفِ أنفـــهْ انفُـــه ضـــعفٌ لضـــعِفِهْ

لَـــمْ يـــنَمْ مُـــذْ كـــان إلاّ ألصـــقَ الأنـــفَ بســـقفهْ

أنـــتَ لـــو تستنشـــقُ الثـــ ورَ بقرنيـــهِ وظِلفـــهْ

هـــوى منخـــرٍ يســـتغر قُ الخلـــقُ بنصـــفِهْ

5. الصورة اللمسيّة : كقول ديك الجن الحمصي (186)

(بحر البسيط)

قولا لبكـرِ بـنَ دَهْمـرِدٍ إذا اعتكـرتْ عسـاكرُ الليـلِ بـينَ الطـاسِ والجـامِ

ألَـمْ أقُـلْ لـكَ إنَّ البغـيَ مهلكـةٌ والبغـي والعجـبُ إفسـادٌ لأقـوامِ

قــد كنــتَ تفــرقُ مِــنْ ســهمٍ بغانيــةٍ فصــرتَ غــيرَ رمــيمٍ رقعــةَ الرامــي
وكنــتَ تفــزعُ مِــنْ لمــسٍ ومِــنْ قُبَــلٍ فقـــد ذللـــتَ لإِســـراجٍ وإِلجـــامِ
إنْ تــدمَ فخــذاكَ مِــنْ ركــضٍ فربتمّــا أمســي وقلبي عليــكَ الموجــعُ الــدامي

إذ يشير الشاعر إلى الفساد الذي وقع على المهجو .

وكقول دعبل الخزاعي [187] (بحر الرجز)

1- تمشي على قوائمٍ عجافِ

2- كأنما جُمعنَ مِنْ خلافِ

فتجد جنوح الشاعر إلى استخدام الصورة اللمسية . فكانت الصورة اللمسية يقصد بها الفساد الاجتماعي في العصر العباسي وأكثر ما غلب عليها هذا النمط .

المبحث الثالث

موسيقى الشعر

تعد الموسيقى الشعرية جزءاً مهماً في عملية البناء الشعري ، فهي إلى جانب العناصر الأخرى تعطي للنص قيمة أدبية وفنية وتشكل حلقات مترابطة حتى يخرج العمل بصيغ ذات نغم إيقاعي منضبط وموزون ، ولا يفهم الشعر خارج إطار الموسيقى والنغم الشعري . وعلاقة الشعر بالموسيقى وثيقة ، والقدماء تنبهوا وحدّدوا الشعر بأنّه (قول موزون مقفى يدل على معنى) [188] .

(إنّ الوزن والقافية يمثلان المظهر الخارجي الذي يمنع النص من التبعثر)[189] .

فان هناك المظهر الداخلي في الشعر من خلال ما تحمله الكلمات من تناغم عن طريق التكرار والتقسيم والتنوع الإيقاعي ، حيث (أنّ القوة التعبيرية للكلمة المنفردة لا تتأتى من معناها فقط ، بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضاً)[190]

وتقسم موسيقى الشعر على قسمين :

1. الإيقاع الداخلي ويضم (التكرار ، والتقسيم ، والتنوع الإيقاعي) .
2. الإيقاع الخارجي ويضم (الأوزان ، والقوافي) .

1. الإيقاع الداخلي : إنّ (الموسيقى الداخلية انسجام صوتي داخلي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً ، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر) [191] ، والإيقاع الداخلي هو (حركة الأصوات الداخلية وهو اشق بكثير من توفير الوزن لانّ الإيقاع يختلف باختلاف اللغة) [192] ، فالإيقاع الداخلي (قدرة الشاعر على إقامة بناء موسيقي يتكون من إيحاءات نفسية تعلو أو تهبط ، لتكون في مجموعها لحناً متّسقاً اقرب إلى الإطار السمفوني) [193] .

ان البديع المعنوي واخص منه اللفظي وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ لأنّه تفنن في طريق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم موسيقي [194] . فالإيقاع الداخلي نغمات موسيقية متعددة ومتغيرة من خلال :

أ. التكرار : (هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً) [195] ، وهو كذلك (إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمور. وهو أسلوب قديم الغرض منه إيضاح الكلام والإقناع والتوكيد) [196] . والتكرار يعني (تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً) [197] . والتكرار من العناصر التي تتألف منها موسيقى القصيدة وهو بهذا المعنى عنصر من عناصر البناء الفني لها[198].

ومن أمثلة التكرار ، (تكرار الألفاظ) لدى دعبل الذي يكرر (لو) في قصيدته يقول [199] (بحر المتقارب)

عطاياكَ تغدو على سابحٍ ... وطوراً على بغلةٍ ندبهْ

ولو يُرزقُ الناسُ مِنْ حيلةٍ ... لما نلتَ كفّاً مِنَ التربهْ

ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفافِ ... لما نلتَ مِنْ مائهم شربهْ

ولو خُصَّ بالرزقِ نجلُ الكرامِ ... لما نِلتَ خيطاً ولا هدبهْ

ولكنه رزقُ مَنْ رزقُهُ ... يعمُّ بهِ الكلبَ والكلبهْ

فقد كرر الشاعر كلمة (لو) وعبارة (لما نلت) وهو يعطي موسيقى داخلية جميلة للقصيدة . ومن أمثلة تكرار الجملة في عدة أبيات قول بشار بن برد [200] (مجزوء الرجز)

دَرْ خُلَّتَا ، دَرْ خُلَّتَا ... فابنُ خُلَيقٍ قد أتى

دَرْ خُلَّتَا ، دَرْ خُلَّتَا ... هل لكَ في أنّى فتى

دَرْ خُلَّتَا ، دَرْ خُلَّتَا ... عَردٌ إذا قامَ عَتَا

دَرْ خُلَّتَا ، دَرْ خُلَّتَا ... سَخنٌ إذا جاءَ الشّتا

فالشاعر كرر المقطع في الشطر الاول وبذلك حقق موسيقى داخلية تتسق مع مجزوء الرجز في تحقيق الغنائية .

ب. التقسيم : من ألوان البديع المعروفة ، ويراه ابن رشيق (استقصاء الشاعر جميع ما ابتدأ به) [201] . وهو (ضرب من التقطيع على معانٍ مختلفة) [202] . و(التقسيم هو ما يقتضيه المعنى مما يحكم وجوده من غير أنْ يترك منها قسم واحد ، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره) [203] . ومن التقسيم قول دعبل الخزاعي [204] :

(بحر المتقارب)

فمِنْ ناكثينَ ومِنْ قاسطينَ ومِنْ مارقين ومِنْ مُجترِمْ

نجد استقصاء الشاعر في تقسيم أعداء العلويين وذمهم. وكذلك قول علي بن الجهم يهجو احمد بن أبي داود [205] (بحر السريع)

لا مُحكماً جَزلاً ولا مُستطرفاً كَهلاً ولا مُستحدثاً مَحمودا

فالشاعر هنا استفاد من عنصر التقسيم في الهجاء فلقد قسم أصناف العلماء في الفقه ولم يجعل ابن ابي داود في احد منهم .

تجد استخدام التقسيم الداخلي في القصيدة تجعل القارئ يستحسن القصيدة فتجد في الأولى تقسيم لأعداء العلويين وفي الثانية تقسيم لأصناف العلماء فاستقصى الشاعر جميع ما ابتدأ به فتجد إيغال واضح في تحديد المهجو

ت. التنوّعُ الإيقاعي : يعني تنوع الأوزان تبعاً للمقاطع الشعرية التي تؤلف بمجموعها القصيدة وذلك لإبراز بعض النواحي الموضوعية أو النفسية التي يحرص على إبرازها [206] . وتجد تساهل الشعراء في استعمال المفردات العربية حتى يستطيعوا أداء معانيهم ويتفق مع بنائهم الشعري . وكانت الضرورات الشعرية هي سبب التساهل والضرورات تحدث في الشعر ، ولعل الضرورة الموسيقية ابرز العوامل في هذا المجال .

ومن أمثلة التنويع الإيقاعي (تسكين ما حقّهُ الحركة) كقول دعبل [207]

(بحر المجتث)

فقلتُ : (دينارُ) مَنْ هوْ ؟ فقالَ : والي الجبالِ

فهنا سكّن واو (هو) لغرض موسيقي يخص التفعيلة الموسيقية وفي الأصل تكون واو (هو) محركة بالفتح .

ومن أمثلة قطع الهمزة التي من المفروض وجودها قول عبد الصمد بن المعذل[208] (بحر المتدارك)

أيُّ أمرٍ حازمٍ ركبتْ أيُّ (مرءٍ) عاجزٍ تركتْ

فالشاعر هنا حذف همزة (امرىء) لغرض يخص التفعيلة بالبيت الشعري .

وقول أبي تمام في هجاء مقران المباركي [209] : (بحر السريع)

مُقرانُ يا مُتشعبَ الراسِ لا تخلو مِنْ همٍّ ووسواسِ

وواضح تخفيفه لهمزة (رأس) ، وإذا جاز للشاعر بحكم النغم الموسيقي ما لم يجز للناثر فان الشاعر الفذ لا يطيل الاتكاء على هذه الضرورات . ومن أمثلة الضرورة العروضية قول أبي تمام في هجاء محمد بن يزيد [210]

(بحر البسيط)

ألحفتَ جسمكَ حتى لو هَمَمْتُ بأنْ ألهو بصفعكَ يوماً لَمْ تجدكَ يدي

حيث سكّن الشاعر الفعل (ألهو) وحقه النصب بعد (أن) ولكن الضرورة العروضية ألجأته لذلك .

إنّ الحرص على أداء المعاني أداءً سليماً يتطلب حرصاً مماثلاً في اختيار الكلمة المؤدية المستوعبة للمعنى المطلوب (فليس الشعر عند أهل العلم به إلاّ حسن التأتي وقرب المآخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها ، وان يورد المعنى

باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله) [211] كقول أبـي تمـام يهجـو ثقـيلاً فيقـول [212]

(بحر الكامل)

يـا مَـنْ تبرّمـتِ الـدنيا بطلعتـهِ ... كمـا تبرّمـتِ الأجفـانُ بالسـهدِ

يمشـي علـى الأرضِ مُختـالاً فاحسـبُه ... لـبُغضِ طلعتـهِ يمشـي علـى كبـدي

فأبو تمام حذق في تأليف الجملة المعبرة فلا تجد لفظة زائدة أو في غير موضعها وكذلك قول دعبل الخزاعي في هجاء أبي نصر بن حميد الطوسي [213]

(بحر البسيط)

أبـا نُصـيرٍ تحلّحـلْ عَـنْ مجالسـنا ... فـأنَّ فيـكَ لَمـنْ جـاراكَ مُنتقصـا

فلفظة (تحلحل) أخذت حيزاً موسيقياً ومعنوياً في التعبير عن رأي الشـاعر في المهجو . فاللفظة مليئة بمعاني الضجر والاستثقال وتكرار الحاء في الفعل الحسـي قـوة انعكست على أدائه المعنوي .

ومما يدخل في التنوع الإيقاعي (الجناس) وهو فن مـن فنـون البـديع ويعرفـه العسكري (ان يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفهـا) [214] كقـول دعبل الخزاعي في النصح للفضل بن مروان [215]

(بحر الطويل)

ـتُ فسـيّرتُ المقالـةَ في (الفضـلِ)؛ النصـيحةَ (للفضـلِ) ... وقلـتُ فسـيّرتُ المقالـةَ في (الفضـلِ)

ـعتـبرَ الفضـلُ بـنُ مـروانَ بالفضـلِ بـنِ سـهلٍ لعـبرةً ... إنْ اعتـبرَ الفضـلُ بـنُ مـروانَ بالفضـلِ

ـزدجـرَ الفضـلُ بـنُ مـروانُ بالفضـلِ لِ للفضـلِ زاجـرٌ ... إنْ ازدجـرَ الفضـلُ بـنُ مـروانُ بالفضـلِ

استخدم الشاعر لفظة (الفضل) في الجناس ، في مواضع القليل منها الثواب فكلما تتكرر اللفظة تتكرر المعاني وتختلف ، (فما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلاّ بنصرة المعنى) [216] .

ومن مظاهر التنوع الإيقاعي (الطباق) ، وهو فن من فنون البديع وهو (الجمع بين الشيء وضده في موضع واحد،أو الجمع بين لفظين مقابلين في المعنى)[217] . كقول أبي تمام [218] :

(بحر البسيط)

قلبتُ أمريَ في بدءٍ وفي عقبِ	ورُضْتُ حاليَ في جورٍ ومقتصدِ
فما فتحتُ فمي إلاّ كعمتُ فمي	ولا مددتُ يدي إلاّ رددتُ يدي
لا ذنبَ لي غيرَ ما سيّرتُ مِنْ غُررٍ	شرقاً وغرباً وما أحكمتُ مِنْ عَقدي

فالطباق بين (بدء وعقب) و (جور ومقتصد) و (فتحتُ وكعمتُ) و (ومددتُ ورددت) و (شرقاً وغرباً) . وتلحظ جانب مذهب البديع ذي الصنعة واضحاً لدى أبي تمام ، فالشاعر جمع بين المتضادات في المعنى (في موضع واحد).

2. الإيقاع الخارجي : الوزن والقافية هما عماد الإيقاع الخارجي ، لذا فقد اهتم الدرس النقدي القديم بهما وادخلهما في حدّ الشعر . فـ(القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلاّ ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي) [219] .

1. الأوزان : قال ابن رشيق القيرواني : (الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية) [220] والشعراء قالوا أغراضهم المختلفة على بحور مختلفة فلم يكن بالإمكان القطع بان بحراً ما يصلح لغرض معين دون آخر ، ولا يمنع أنّ هناك صلة ما بين الوزن والعاطفة لدى الشاعر كما أنّ هنالك صلة وثيقة بين اللحن الموسيقي والجو النفسي لصاحب اللحن [221] .

ولقد تناول كثير من الدارسين المعاصرين مسألة الربط بين حالة الشاعر والوزن الشعري ، فمنهم من رأى أنّ هناك علاقة بين البحر والموضوع المطروق[222] ومنهم نفى ذلك وأكدوا أنْ لا علاقة بين البحر والموضوع الشعري[223] .

نستخلص مما ورد : أنّ لا علاقة بين الفن الشعري والبحر ، ولا يمكن أنْ تتلاءم الفنون الشعرية مع الأوزان ، ولا يمكن أنْ يكون الوزن الشعري لبحر ما لموضوع واحد وعلى الرغم من أنّ الشعراء قد نوّعوا في أوزان أغراضهم الشعرية . فإننا نجد في العصر العباسي الأول استعملت أوزان (الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والخفيف) أكثر من غيرها ولاسيما في الهجاء ، ومع ذلك فقد استعملوا (المتقارب أيضاً ، والسريع ، والمتدارك ، والمضارع ، والمقتضب) ولكن استعمالها كان قليلاً . وعلى غير العادة قال أبو تمام ودعبل بعض أهاجيهما على وزن (المجتث) وهو من البحور القصيرة وله رنة عذبة ، يحسن تطويل الكلام فيه.

قال أبو تمام في هجاء بخيل [224] : (بحر المجتث)

أتيتُ يحيى وقَدْ كانَ	لي صديقاً وودّا
فارتدَّ مني ارتدادَ الأسيرِ	عاينَ قدّا
فقلتُ ما بالُ هذا	الفتى اشمأزَّ وصدّا
فقال لي : ذو مزاحٍ	يصِّيرُ الهزلَ جدّا
كذا الكريمُ إذا ما	أراد أنْ يتغدّى

ولاستخدام الشعراء الهجائين الأوزان القصيرة غاية هي ذيوع وانتشار القصيدة الهجائية بسرعة بين الناس ولذلك استعملوا الأوزان القصيرة والمجزوءة ولاسيما مجزوء الرمل ، والخفيف ، والكامل ، والرجز .

قال أبو نواس هاجياً ساخراً من احدهم [225] :

(مجزوء الكامل)

الحمـــــــــدُ لله العلـــــــــي	ومَـــنْ لَـــهُ تزكـــو المحامـــدْ
أيســـبُّني رجـــلٌ عليـــهِ	مِـــنَ الخزانـــةِ ألـــفَ شـــاهدْ
هـــذا أبـــو الهنـــديُّ فيـــهِ	مَشـــابةٌ مِـــنْ غـــيرِ واحـــدْ
مـــاذا أقـــولُ لَمـــنْ لـــهُ	في كـــلِّ عضـــوٍ منـــهُ والـــدْ

ومن الأبيات الرقيقة السهلة قول دعبل الخزاعي على (مجزوء الرجز) في هجاء المطلب [226] :

مـــا يتقضّـــى عجـــبي	مـــا عشـــتُ مِـــنْ مُطَّلـــبِ
ســـألتُهُ درّاعـــةً	لباسُـــها يَجمـــلُ بـــي
فقـــالَ لـــي : أكـــرهُ أنْ	تُلـــبسَ مِـــنْ بعـــدِ أبـــي
وقـــد رأى البُـــردَ ومَـــنْ	يلبسُـــهُ بعـــدَ الـــنبي

لمثل هذه السخرية الضاحكة اختار الشاعر ما يناسبها من إيقاع خفيف.

وكان (للمخلّع البسيط) . نصيب في هجاء العصر العباسي الأول ، على الرغم من أنّ هذا الوزن لم يكن واسع الاستعمال لدى الشعراء القدامى كقول دعبل الخزاعي في هجاء آل بسام [227] :

يـــا آلَ بسّـــامٍ في المخـــازي	وعابســـي الوجـــهِ في السُـــؤالِ
حواجـــبٌ كالجبـــالِ ســـودٌ	إلى عثـــانينَ كالمخـــالي
وأوجـــهٌ جهمـــةٌ غـــلاظٌ	عطـــلٌ مِـــنَ الحُســـنِ والجمـــالِ

أما بحر السريع فقد اخذ مكاناً وسطاً بين أوزان الهجاء .

والبحر المتقارب سهل يسيرٌ ذو نغمةٍ واحدة متكررة ، والهجاء فيه على نوعين احدهما ينحو نحو الهدوء الرتيب ، والآخر العبث والهزل ، مع أنّ اللون الثاني يطغى على الأول . كقول دعبل الخزاعي في هجاء المطلب الخزاعي [228] :

أمُطّلبُ دعْ دعاوى الكُماةِ	فتلكَ لحيزةٌ لا رُتبهْ
فكيفَ رأيتَ سيوفَ الحريشِ	ووقعةَ مولى بني ضبّهْ
أحجتكَ أسيافهم كارهاً	ومالكَ في الحجِ مِنْ رغبه
وما المالُ جاءكَ مِنْ مَغْنمٍ	ولا مِنْ ذكاءٍ ولا كَسْبهْ
ولو يُرزقُ الناسُ مِنْ حيلةٍ	لما نلتَ كفاً مِنَ التربهْ
ولو يشربُ الماءُ أهلَ العفافِ	لما نلتَ مِنْ ماءهم شربهْ

وقد استخدم دعبل هذا البحر في الهجاء بقصد السباب والقذف طريقاً للنيل من مهجوه .

2. القوافي : تستمد القافية أهميتها من كونها نهاية النغم العروضي فهي آخر ما يستقر في الآذان . والقافية المتمكنة في موضوعها يجمعها والغرض الشعري رابط معنوي . فـ(القافية هي ما بين اقرب متحرك ، يليه ساكن إلى منقطع القافية وبين منتهى مسموعات البيت المقفى) [229] .

ولقد وجدت ان الهجاء في العصر العباسي الأول قيل في جميع القوافي دون استثناء مع وجود التفاوت بينها . فالقوافي الذلل (الياء والتاء والدال والراء والعين والميم والباء) [230] ، أكثر من النفر والحوش ، لسهولة مخارجها وانسياب حروفها . وقافية الدال أكثرها استعمالاً ثم تليها الباء . وتأتي قليلاً القوافي الحوش (الخاء ، الشين ، الظاء ، الغين)[231] .

وتجيء القوافي النفر (الصاد والضاد والطاء والهاء الأصلية والواو) [232] وقافية الطاء أكثرها عدداً .

والقوافي المقيدة (ما يكون حرف الروي فيها ساكناً) [233] تظهر بكثرة ولاسيما في الأوزان القصار .

وقد يختار الشاعر القافية على حرف اسم المهجو كقول أبي تمام في هجاء الأعمش [234] : (مجزوء الخفيف)

كيفَ يصفو لكَ الهوى يا سميَّ ابنِ الأعَمشِ

ومن جمال القافية أنْ يردَّ العجزُ على الصدر كقول أبي تمام في هجاء عياش بن لهيعة [235] : (بحر الطويل)

ستعلمُ يا عياشُ إنْ كنتَ تعلمُ فتندمُ إنْ خلاّك جهلُكَ تندمُ

ومن عيوب القوافي لدى شعراء العصر العباسي الأول :

1. الإقواء : وهو (اختلاف إعراب القافية) [236] . كقول أبي تمام في هجاء يوسف السراج [237]

(بحر الوافر)

أيوسفُ جئتَ بالعجبِ العجيبِ تركتَ الناسَ في شكٍ مُريبِ
وما لكَ بالغريبِ يدٌ ولكنْ تعاطيكَ الغريبَ هو الغريبُ

2. الإبطاء : (تكرار اللفظة الواحدة بمعنى واحد في بيتين متقاربين) [238] ، في ذلك يقول دعبل الخزاعي [239] : (مجزوء الكامل)

لا حدَّ أخشاهُ على مَنْ قالَ : أُمُّكَ زانيه
يا زاني ابنِ الزاني ابنُ الزاني ابنُ الزانيه

ومما يلاحظ ويستنتج مما تقدم :

1. حصل التطور في الخصائص الفنية للقصيدة العربية كما شمل التطور كل العلوم الاجتماعية وغيرها بسبب الاتصال بالثقافات والترجمة والتفاعل الحضاري ودخول شعبية الأمم الأخرى في الأدب عموماً والشعر خصوصاً.
2. تطورت لغة القصيدة وأسلوبها فلقد حوى معجم الشاعر على الألفاظ التي تدور حول السياسة والاجتماع والأمور الشخصية واحتوى على الألفاظ الأجنبية والمستعربة وشهدت الأساليب النحوية قلة الاهتمام من لدن بعض الشعراء أما التراكيب البلاغية فقد اتسعت باتساع مذهب البديع لدى من اهتم به من الشعراء .
3. احتوى الهجاء الصور الحسية والمجردة وقد تطورت بتطور الذوق العام للعصر .
4. اتسعت موسيقى الشعر لانتشار الشعبية ودخول الغناء واتساعه مما أدى إلى تطور الإيقاع الداخلي فضلاً عن استخدام الإيقاع الخارجي من البحور التامة والقصيرة والمجزوءة فضلاً عن شيوع استخدام القوافي الذلل .

الهوامش

(1) ينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،ص 78 .
(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص272 .
(3) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص323 .
(4) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص155 .
(5) ينظر : الأغاني ج13 ، ص76 .
(6) ديوان أبي نواس ، ق522 ، ص271 .
(7) تاريخ الأدب العربي – عصر النهضة العربية كارل بروكلمان ، ص122 .
(8) ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص106 .
(9) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص40 .
(10) ينظر: مشكلة السرقات في النقد العربي ، محمد مصطفى هدارة ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة 1985 م ، ص213 .
(11) العمدة ج2 ، ص183 .
(12) ينظر : تاريخ العرب (مطول) فيليب حتي ، دار الكشاف بيروت 1950 ، ص492 .
(13) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص99 .
(14) ينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص76 .
(15) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص90 .
(16) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص64 .
(17) ينظر الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص212 .
(18) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص87 .
(19) ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص448 و 450 .
(20) المصطلح النقدي في نقد الشعر (دراسة لغوية تاريخية نقدية) إدريس الناقوري – ط2 ، التوزيع والإعلام – طرابلس 1984 م ، ص7 .
(21) ينظر مختار الصحاح – مادة (بنى) .
(22) ينظر لسان العرب مادة (بنى) .

(23) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، ط3 ، دار الشؤون الثقافية – بغداد 1987 ، ص175.
(24) ينظر المصطلح النقدي في نقد الشعر ، ص94 .
(25) ينظر البيان والتبيين ج1 ص67 ، الشعر والشعراء ج1 ص94 ، ينظر عيار الشعر – محمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق د. طه الجابري ، د. محمد زغلول سلام ، شركة فن الطباعة – مصر – 1956م ، ص8، نقد الشعر ص165 ، الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، ط دار المعارف ، القاهرة ، 1961 ، ص132 .
(26) ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط4 دار المنار 1367هـ ، ص44 ، ينظر نقد الشعر ، ص 165 .
(27) ينظر الشعر والشعراء ج1 ، ص74 .
(28) ينظر الصناعتين ، ص421 .
(29)ينظر العمدة ج1 ، ص217 .
(30)البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق احمد بدوي – حامد عبد المجيد ، مطبعة البابي الحلبي 1960م ص285 . سر الفصاحة ، ص215 .- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري ، تحقيق احمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر، 1959م ، ص96 . – الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب جلال الدين القزويني ، لجنة من الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1964م ، ج2 ص427 . – الطراز ، يحيى العلوي ، تحقيق سيد المرصفي ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1924 ، ج2 ، ص 226 .
(31) ينظر الصورة والبناء الشعري ، د. محمد حسن عبد الله ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف – مصر 1981م ، ص179 .
(32) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ص176 .
(33) ينظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف حسين بكار ، دار المعارف ، مصر ، 1971م ، ص355 .
(34) في البيت 1، 2 ، أسماء أماكن .
(35) ديوان السيد الحميري ق27 ، ص34-35 (الخدبّ :الأحمق أو الطائش ،الشوقب : كثير الهدر)
(36) الديوان نفسه ق75 ، ص78-81 .

(37) ديوان أبي تمام م2 ق14 ، ص208 .
(38) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، ط دار المعارف ، ص225.
(39) ديوان علي بن الجهم ق152 ، ص203 .
(40) ديوان مروان بن أبي حفصة ق61 ، ص96 .
(41) ديوان ديك الجن الحمصي ق3 ، ص78 .
(42) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان ، ط دار المعارف ، مصر ، ص7.
(43) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص20 .
(44) وحدة القصيدة في الشعر العربي ، حياة جاسم ، ط1 الجمهورية ، ص261 .
(45) المصدر السابق نفسه ، ص260 .
(46) ديوان بشار بن برد ق237 ، ص341 .
(47) ديوان بشار بن برد ق90 ، ص 136-138 .
(48) العرفطة : نوع من النبات ترعاه النحل .
(49) ديوان الخريمي ق4ص14 (قالقيلا : من مدن أرمينيا) .
(50) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، ص356 .
(51) ينظر : الحياة الأدبية في العصر العباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، ط دار العهد الجديد ، 1954 ، ص92.
(52) العمدة ج1 ، ص186 .
(53) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص246 .
(54) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص421 .
(55) العمدة ج1 ، ص187 .
(56) الصناعتين ، ص174 .
(57) المصدر السابق نفسه ، ص174 .
(58) ديوان بشار بن برد ق208 ، ص293 .
(59) ديوان أبي تمام م2 ق10 ، ص205 .
(60) ديوان بشار بن برد ، ق194 ، ص282 .
(61) ديوان دعبل الخزاعي ، ق103 ، ص118 .
(62) ديوان بشار بن برد ، ق316 ، ص400 .
(63) ديوان دعبل الخزاعي ق20 ، ص59 .

(64) ينظر : الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام ، ص123 .
(65) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص524 .
(66) الشعراء الكتاب في العراق ، حسين صبيح العلاق ، ط1،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، 1971م ، ص385 .
(67) ديوان دعبل الخزاعي ق134 ، ص139 .
(68) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق137 ، ص176 .
(69) الديوان نفسه ق105 ، ص156 .
(70) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، ناصر الحاني ، بغداد 1955 ، ص165 .
(71) حصاد الهشيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، ط2 ، المطبعة العربية – مصر ، 1932م ، ص131.
(72) ثقافة الناقد الأدبي ، محمد النويهي ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر 1949 م ، ص333 .
(73) المصدر السابق نفسه ، ص333 .
(74) الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص241 .
75) الضحك ، هنري برجستون ، ترجمة عبد الله عبد الدائم وسامي الدروبي ، مطبعة دار الكتب المصرية 1947 ، ص130 .
(76) المصطلح في الأدب الغربي ، ناصر الحاني ، منشورات المكتبة العصرية – بيروت ، 1968م ، ص75
(77) ثقافة الناقد الأدبي ص327 .
(78) ديوان دعبل الخزاعي ق102 ص117 (الفصعل : قصيرة القامة وهو من أسماء العقرب . وذنيقا : قصار القامة أيضاً) وهي من المعربة .
(79) ديوان دعبل الخزاعي ق190 ص180 .
(80) خزانة الأدب وغاية الأرب ، أبو بكر بن علي بن حجة الحموي ، مطبعة دار القاموس الحديث ، ص117
(81) ديوان علي بن الجهم ق2 ص57 .
(82) الحيوان ج1 ، ص40 .
(83) نقد الشعر ، ص13 .
(84) ينظر دلائل الإعجاز ، ص368 .

(85) الإحساس بالجمال ، تأليف جورج سانتيانا ، ترجمة مصطفى بدوي ، نشر مكتبة الانجلو مصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين – القاهرة – 1960 ، ص189 .
(86) ينظر : لغة الشعر بين جيلين ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الثقافة – بيروت ، ص22 .
(87) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، إليزابيث درو ، ترجمة د. محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت 1961م ، ص125 .
(88) ينظر : الشعر والتجربة ، أرشبالد مكليش ، ترجمة سلمى الخضراء ، دار اليقضة العربية ، بيروت 1963م ، ص21 و 22 .
(89) الشعر العربي بين الجمود والتطور ، محمد عبد العزيز الكفراوي، ط4 دار نهضة مصر القاهرة 1969 ص185 . قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، بدوي طبانة ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة 1954 ص186 .
(90) في الأدب والنقد ، د. محمد مندور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3 ، مصر ، 1956 ، ص18 .
(91) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد رضا مبارك ، ط1، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993 ، ص15 . البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، د. مصطفى صادق الجويني ، دار النجاح للطباعة ، الإسكندرية 1975 م ، ص102 .
(92) الحيوان ج3 ، ص131 .
(93)الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم – وعلي محمد البجاوي ، ط3 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ص17 .
(94) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، احمد كمال زكي ، الهيئة المصرية للكتاب – مصر – 1972م ص79 .
(95) دراسة في لغة الشعر ، رجاء عبد ، مطبعة أطلس ، القاهرة 1979 ، ص101 .
(96) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبد الحميد محمد جيدة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، 1980 ، ص338 .
(97) ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص338 وما بعدها .
(98) بناء الصور الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) د. كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1987م ، ص28 .
(99) ينظر : الأدب والمجتمع ، محمد كمال الدين – علي يوسف ، ط الدار القومية – القاهرة 1962 ، ص50 .

(100) ينظر: لغة الشعر بين جيلين ، ص140 .
(101)ينظر : التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، عثمان موافي ، ط مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية 1973 ، ص253 .
(102) ينظر : الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، محمد حسين الاعرجي ، ط المركز العربي بيروت ، ص23 .
(103) ينظر: الجواري والشعر في العصر العباسي الأول ، سهام عبد الوهاب ، ط شركة الربيعين ، الكويت ، 1980م ، ص191 .
(104) ينظر :الشعوبية وشعراؤها ، عبد الصاحب الدجيلي ، شركة الطباعة المحدودة ، بغداد 1948 ، ص13.
(105) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ط1 ، دار الأمانة ، بيروت 1971م ، ص95.
(106) الشعراء الكتاب في العراق ، ص95 .
(107) العمدة ج1 ، ص131 .
(108) الفن ومذاهبه من الشعر العربي ، ص125 .
(109) ينظر :العربية – دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فيك ، ترجمة وتحقيق عبد الحليم النجار ، ط دار الكتاب العربي ، القاهرة 1951م ، ص58 .
(110) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص129 .
(111) ديوان مروان بن أبي حفصة ق61 ، ص99 .
(112) ديوان بشار بن برد ق46 ، ص75 .
(113) الديوان نفسه ق105 ، ص155 .
(114) ديوان السيد الحميري ق18 ، ص25 . آية التطهير (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب الآية 33 .
(115) الديوان نفسه ق4 ، ص11 (المشهوران الآيات الخمس من سورة الدهر نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين وخادمتهم فضة النوبية) والبيت الثاني يشير إلى حديث الكساء وهو يختص بالنبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين حصراً.
(116) ديوان السيد الحميري ق134 ، ص126 تشير إلى الحديث الشريف (خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) . انظر شرح القصيدة ، ص126 .
(117) الأغاني ج10 ، ص95.

([118]) الناكثون – أصحاب الجمل – والمرّاق : الخوارج – والقاسطة : أصحاب معاوية في صفين ، وهو من القسط أي الظلم والجور . قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) سورة الجن الآية 5 (انظر شرح القصيدة في ديوان الحميري) ق181 ، ص159 .
([119]) ديوان السيد الحميري ، ق181 ، ص 159 .
(120) ديوان بشار بن برد ق237 ، ص341 .
(121) الديوان نفسه ق90 ، ص136 .
(122) ديوان أبي نواس ق29 ، ص19.
(123) الديوان نفسه ق98 ، ص57 .
(124) ديوان الخريمي ق4 ، ص14 .
([125]) ديوان أبي نواس ق29 ، ص19 .
([126]) الديوان نفسه ق226 ، ص124 .
([127]) الديوان نفسه ق33 ، ص22 .
([128]) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق83 ، ص139 .
([129]) ديوان أبي تمام ، م2 ، ق8 ، ص203 .
([130]) ديوان أبي العتاهية ق593 ، ص344 .
([131]) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق58 ، ص117 .
([132]) ديوان علي بن الجهم ق44 ، ص99 .
([133]) ديوان أبي تمام م2 ق9 ، ص204 .
([134]) ديوان أبي تمام م2 ، ق92 ، ص269 (الكشخان لفظة فارسية بمعنى الديوث) .
([135]) الديوان نفسه م2 ، ق78 ، ص261 (الجرادق مفردها الجردقة فارسية معربة بمعنى الرغيف)
([136]) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق4 ، ص77 (جوخان كلمة فارسية تعني بيت الشعير)انظر شرح القصيدة الديوان ، ص77 .
([137]) ديوان دعبل الخزاعي ق124 ، ص131 (المطجن والقلقاس لفظتان معربتان) .
([138]) الديوان نفسه ق183 ، ص176 .
([139]) ديوان بشار بن برد ق87 ، ص135 .
(140) ينظر في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي ، مالك المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، 1981 ، ص45 .
(141) كتاب سيبويه : المحقق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ج2 ، ص126 .

(142) المصدر السابق نفسه : ج2 ، ص127 .
(143) همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد بدر الدين العناني ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1 ، ص194 .
(144) المصدر السابق نفسه : ج1 ، ص95 .
(145) ديوان أبي تمام : م2 ، ق41 ، ص233 .
(146) ديوان ديك الجن الحمصي : ق3 ، ص81 .
(147) ديوان عبد الصمد بن المعذل : ق158 ، ص191 .
(148) ديوان الزيات : ق65 ، ص42 .
(149) الإيضاح في علوم البلاغة ، ص191 .
(150) ديوان الزيات : ق66 ، ص42 .
(151) شرح الوافية نظم الكافية : أبو عمر عثمان بن الحاجب النحوي ، تحقيق موسى بناي علوان العليلي ، مطبعة الآداب ، النجف ، 1980 ، ص248 .
(152) ديوان بشار بن برد : ق57 ، ص87 .
(153) ديوان دعبل الخزاعي : ق183 ، ص176 .
(154) ديوان بشار بن برد ، ق33 ، ص58 .
(155) ينظر شرح الوافية نظم الكافية ، ص275 .
(156)ديوان بشار بن برد ، ق119 ص173 .
(157) ديوان أبي نواس ق 143 ص 76 .
(158) البحتري بين ناقديه قديماً وحديثاً ، عروة عمر ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد 1983 ، ص141.
(159) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، ط12 ، مطبعة السعادة ، مصر 1960 ص247 .
(160) ديوان دعبل الخزاعي ق41 ص314 .
(161) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص290 .
(162) ديوان دعبل الخزاعي : ق165 ، ص165 .
(163) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص303 .
(164) ديوان دعبل الخزاعي ق130 ص135 .
(165) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص345

([166]) ديوان عبد الصمد بن المعذل ق 147 ص182
(167) الحيوان : ج3 ، ص132 .
(168) نقد الشعر : ص65 .
(169) دلائل الإعجاز : ص289 .
(170) ينظر الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني : د. احمد علي دهان ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، 1986 ، ص337 .
([171]) الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د. علي البطل ، دار الأندلس بغداد 1980 ص30
(172) الصورة الشعرية : س.دي.لويس ، ترجمة احمد نصيف الجنابي ، منشورات دار الرشيد ، بغداد ، 1983 ، ص23 .
(173) ديوان ديك الجن الحمصي : ق98 ، ص212 .
(174) ديوان دعبل الخزاعي : ق43 ، ص316 .
(175) الصورة في شعر بشار بن برد : عبد الفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، 1983 ، ص51 .
(176) الصورة الشعرية : ص22 .
(177) النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ، 1973 ، ص426 .
(178) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ص365 .
(179) ديوان محمود الوراق : ق5 ، ص35 .
(180) ديوان أبي تمام : م2 ، ق51 ، ص238 .
(181) ديوان دعبل الخزاعي : ق54 ، ص86 .
(182) ديوان دعبل ق165 ، ص165 .
(183) الديوان نفسه : ق53 ، ص324 .
(184) ديوان الزيات : ق66 ، ص42 .
(185) ديوان الزيات ق143 ، ص88 .
(186) ديوان ديك الجن الحمصي : ق16 ، ص105 .
(187) ديوان دعبل الخزاعي : ق37 ، ص311 .
(188) نقد الشعر : ص17 .

(189)التجديد الموسيقي في الشعر العربي : د. رجاء عبد ، مطبعة شركة آلات ولوازم المكاتب ، الإسكندرية ، 1981 ، ص85 .

(190) الأفكار والأسلوب : دراسة في الفن الروائي ولغته ، أ.ف.تشيشر ، ترجمة د. حياة شرارة ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1979 ، ص53.

(191) قضايا الشعر في النقد العربي : إبراهيم عبد الرحمن محمد ، ط2 ، دار العودة ، بيروت ، 1981 ، ص36 .

(192) الأسس الجمالية في النقد الأدبي : (عرض وتفسير ومقارنة) ، عز الدين إسماعيل ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1955 ، ص374 .

(193) موسيقى الشعر : د. إبراهيم أنيس ، ط5 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1978 ، ص44 .

(194) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ص3 .

(195) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، دار الجيل ، بيروت ، ج1 ، ص332 .

(196) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص207 .

(197) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، ص239 .

(198) ينظر بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر : مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1994 ، ص42 .

(199) ديوان دعبل الخزاعي : ق37 ، ص67 .

(200) ديوان بشار بن برد : ق107 ، ص156 .

(201) العمدة : ج2 ، ص20 .

(202) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص47 .

(203) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ق3 ، ص167 .

(204) ديوان دعبل الخزاعي : ق27 ، ص270 .

(205) ديوان علي بن الجهم : ق43 ، ص99 .

(206) ينظر : دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر) ، محسن اطيمش ، ط2 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 ، ص285 .

(207) ديوان دعبل الخزاعي : ق183 ، ص176 .

(208) ديوان عبد الصمد بن المعذل : ق19 ، ص88 .

(209) ديوان أبي تمام : م2 ، ق47 ، ص236 .
(210) الديوان نفسه : م2 ، ق29 ، ص225 .
(211) الموازنة : ج1 ، ص423 .
(212) ديوان أبي تمام : م2 ، ق32 ، ص227 .
(213) ديوان دعبل الخزاعي : ق130 ، ص135 .
(214) الصناعتين : ص330 .
(215) ديوان دعبل الخزاعي : ق175 ، ص170 .
(216) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الاستقامة ، 1948 ، ص12 .
(217) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص366 .
(218) ديوان أبي تمام : م2 ، ق23 ، ص219 .
(219) موسيقى الشعر : ص14 .
(220) العمدة : ج1 ، ص134 .
(221) ينظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص266 .
(222) ينظر تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول : شوقي ضيف ، ص193 .
(223) ينظر أبحاث في الشعر العربي : د. يونس السامرائي ، طبع سلسلة بيت الحكمة ، بغداد ، 1989 ، ص42 .
(224) ديوان أبي تمام : م2 ، ق28 ، ص224 .
(225) ديوان أبي نواس : ق137 ، ص73 .
(226) ديوان دعبل الخزاعي : ق20 ، ص59 .
(227) الديوان نفسه : ق184 ، ص176 . وينظر مثلها : ق224 ، ص205 .
(228) ديوان دعبل الخزاعي : ق37 ، ص66 .
(229) ينظر : الكافي في العروض والقوافي : الخطيب التبريزي ، تحقيق حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص146 .
(230) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د. عبد الله الطيب المجذوب ، ط1 ، ملتزم الطبع والنشر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط1 ، 1374هـ ، 1955م ، ج1 ، ص44 .
(231) المصدر نفسه : ج1 ، ص63 .
(232) المصدر نفسه : ج1 ، ص40 .

(233) المصدر نفسه : ج1 ، ص59 .
(234) ديوان أبي تمام : م2 ، ق48 ، ص237 .
(235)الديوان نفسه: م2 ، ق77 ، ص261 .
(236)كتاب القوافي : القاضي التنوخي ، تحقيق د. عوني عبد الرؤوف ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1978 ، ص164 .
(237) ديوان أبي تمام : م2 ، ق11 ، ص206 .
(238) مفتاح العلوم ، السكاكي ، القاهرة 1376هـ 1956م ، ص874 .
(239) ديوان دعبل الخزاعي : ق233 ، ص210 .

الخاتمـة

بعد هذه الرحلة البحثية الـتي طالـت فـن الهجـاء في الشـعر العربـي في العصـر العباسي الأول ، ومن خلال منهجية هذا البحـث ، ورصـد أهـدافنا ، بقـراءة جـادة ودقيقة ، نستطيع أن نؤشر نتائج بحثنا والتي كانت :

- إنّ الهجاء في الشعر ولد عند العرب منذ نشأته في الجاهلية ، وتأثر في الحقـب التالية ، من حيث البيئة والإقليم ، والوسط ، والثقافة ، والوعي والمفـاهيم . على أنّ الهجاء الشخصي كان البداية الحقيقية له .
- اتخذ شعر الهجاء في هذا العصر ، طريقه نحو التطور السريع بسبب متطلبـات الحضارة ، وكان الهجاء في تلك المرحلة من ابرز ملامحه إذ نزع فيـه الهجـاء ، متجذراً أكثر من ذي قبل ، نحو الفرد ، مسـتخدماً لمعـاني الهجـاء المسـتحدثة فضلاً عن المعاني المستخدمة .
- خفّت وطأة عصـبية الدولـة السياسـية في هـذا العصـر بعـد حـين ، بعـد أن أجهزت بنجاح على مناوئيها ، فتحول الهجاء إلى زينة اجتماعية أو تعبير عن واقع الحياة وآمال الناس وآلامهم ، ولذا فقد انقلب الشـعر في هـذا العصـر انقلاباً شديداً من حيث الغاية والوسيلة .
- ظهرت في هجاء هذا العصر صور فيها ابتكار وإبداع ، وهي صـور حضـرية عباسية ، تستهدف ، بـل تـدفع المـرأة إلى العبـث والسـقوط ، في ثنايـا تلـك الصور ألفاظ لاذعة ، ومجاهرة بالوصف ، وتحدّ للأخلاق ، وعـرض لشـذوذ الرجال مع الرجال ، والنساء مع النساء ، مما تسبب في افساد ذوق المجتمع .
- ظاهرة الإفحاش والسباب المباشر المجرد عن الحياء ، ظاهرة أساسـية في شـعر الهجاء في العصر العباسي الأول ، وهو نمط لم يألفه العرب قبلئذ ، ولاسـيما

هجاء الأعراض والأنساب ، إذ في هذا النمط رعب حقيقي للنفس العربية ، وهو أكثر الوسائل إيذاء وضرراً وعاراً.

- على الرغم من أنّ الحياة الحضرية قد أضعفت كثيراً من دائرة بعض العيوب التي بالغ العرب في ذمها ، وهجاها شعراؤهم ، في مراحل حياتهم كلها ، الاّ أنّ كثيراً من معاني الهجاء الشخصي ظلت قائمة في هذا العصر ، كالجبن ، والبخل ، والخور ، وخمول النسب ، والفقر والقعود عن الثأر ، وعدم حماية الجار ، وغيرها .
- سجل الشعراء أحداث الدولة العباسية منذ قيامها بمظاهرة الدولة الجديدة ، وهجاء مناوئيها من بني أمية والعلويين والفرق الأخرى ، على الرغم من تذبذب بعض الشعراء في الولاء ، والتزام نظرية الحق الإلهي للسلطة العباسية، وترويج ادعاء ملوك بني العباس بحق الخلافة دون غيرهم .
- نزع الشعراء نحو اعتناق الحجج والأدلة التي يطرحها كل حزب في الساحة السياسية العباسية ، فكانت المذهبية ساحةً للصراع السياسي ، يمدح فيها الشاعر أو يهجو ، أو يرثي ، ومن خلال ذلك يطرح عقيدته التي دونها يوجه الهجاء للطرف الآخر .
- تفشي الدعوة إلى انفتاح المجتمع وإعتناق قيم المجتمعات الأجنبية الأخرى .
- في الغالب لم يكن الهجاء موجهاً بدوافع الحرص على البلاد والمجتمع ، بل كان بقصد الانتقام ممن لم يحققوا للشعراء مراميهم ومصالحهم الشخصية ، وبعض ذلك الهجاء يكون فاحشاً أو مختلقاً .
- إنّ هجاء المجتمع وظواهره يبين العناصر السلبية الرئيسة والمركزية في علاقات أفراد وطبقات المجتمع في العصر العباسي الأول على حدّ سواء.

- تناول الشعراء في هذا العصر بالهجاء الشديد العلماء ورواة الشعر والشعراء وقبائلهم لتوسيع دائرة الهجاء على المهجو ، وسبب ذلك تضارب مصالحهم الشخصية او المذهبية او القومية .
- إنّ التطور الفني في الشعر أساسه الهجاء الساخر الذي يستهدف الإضحاك وهو رسم كاريكاتوري ، وهذا الفن يستدعي بقوة معرفة الشاعر بجميع عناصر الفكاهة ومعارف العصر الشائعة .
- إنّ الحركة التجديدية في الشعر العربي التي ظهرت أواخر الدولة الأموية وتبلورت إلى أقصاها في العصر العباسي الأول ، كانت بتأثير مجان وظرفاء الكوفة ، وكذلك بتأثير الثقافات المترجمة.
- تأكد أنّ الخصومة بين القدماء والمحدثين تنحصر في عمود الشعر من حيث نهج القصيدة ، فيما قام الشعراء بهجر الأوزان المعقدة ، وتناول المقطعات الصغيرة ، والنزوع إلى الشعبية في المعاني والأساليب .
- طال التطور بنية القصيدة ذات المقدمة الطللية ، إلى افتتاحات مستحدثة كالفخر ، أو وصف الخمر ، كذلك ظهور القصائد القصيرة أو المقطوعات ، والأسلوب القصصي و العرض الساخر .
- لغة الشعر في هذا العصر مستمدة من إحدى ثلاث جهات ، الأولى اللغة الأصلية في البادية ، والثانية اللغة السهلة ذات اللحن والرطانة وبعض الألفاظ غير العربية والثالثة الأسلوب المولد لدى أصحاب البديع الذي ينتقي اللفظ الفخم والجزالة والموسيقى .
- في معجم الشاعر ألفاظ تدل على المصطلحات السياسية والفقهية والاجتماعية وبعض المفردات الأجنبية والشعبية الدارجة .
- ميل الشعراء إلى البحور المجزوءة والخفيفة ، وتجنب القوافي الوحشية والاستزادة من الموسيقى الداخلية والتقسيم والتنوع الإيقاعي .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

ت المصدر

1. أبحاث في الشعر العربي ، د. يونس السامرائي ، طبع سلسلة بيت الحكمة، بغداد، 1989 .
2. أبو العتاهية ، حياته وشعره ، محمد محمود الدش ، طبع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1968 .
3. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبد الحميد محمد جيدة ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، 1980 .
4. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هدّارة ، ط1، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ، 1988.
5. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف حسين بكّار ، دار المعارف ، مصر ، 1971 .
6. اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، دار المسيرة ، بيروت – لبنان .
7. الآثار الباقية عن القرون الخالية ، أدوارد سنحاو ، طبع ليبتزج ، 1878
8. الإحساس بالجمال ، تأليف جورج سانتيانا، ترجمة مصطفى بدوي ، نشر مكتبة الانجلو مصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، القاهرة 1960.
9. الأدب العربي ، أيهم عباس القيسي ،ط1 مطبعة الميناء ، بغداد 2002م .
10. الأدب العربي في العصر العباسي ، د. ناظم رشيد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل – العراق ، 1989 .
11. الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت– لبنان ، 1990 .
12. الأدب والمجتمع ، محمد كمال الدين – علي يوسف ، ط الدار القومية ، القاهرة ، 1962 .
13. أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، طبع دار الكتب – القاهرة 1923م
14. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الاستقامة ، 1948 .

15. الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، (عرض ، وتفسير ، ومقارنة) عز الدين إسماعيل ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1955 .
16. أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، ط2 ، مطبعة نهضة مصر ، 1960 .
17. الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي الأصفهاني ، طبع دار الكتب المصرية ، 1923 .
18. الأفكار والأسلوب ، دراسة في الفن الروائي ولغته ، أ . ف . تشيشر ، ترجمة د. حياة شرارة ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1979 .
19. الأمالي ، الشريف المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1904م
20. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، طبعة ثالثة – دار العلم للملايين ، بيروت 1980 .
21. الإنصاف ، أبو عبد الله بن محمد البطليموسي الأندلسي ، بولاق 1952.
22. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب جلال الدين القزويني ، لجنة من الأزهر مطبعة السنة المحمدية – القاهرة 1964 .
23. البحتري بين ناقديه قديما وحديثاً ، عروة عمر ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد 1983 .
24. البداية والنهاية في التاريخ ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي ، طبع دار السعادة ، القاهرة 1966 .
25. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق احمد بدوي – حامد عبد المجيد مطبعة البابي الحلبي 1960م .
26. البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، د. مصطفى صادق الجويني ، دار النجاح للطباعة ، الإسكندرية ، 1975 .
27. بناء الصور الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) د. كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1987 .
28. بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر ، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1994 .
29. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1948.

30. تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة الأخبار ، مصر ،1911 .
31. تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ، ط2 ، مطابع دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978.
32. تاريخ الأدب العباسي ، البروفسور رينولد نكلسن ، تحقيق د. صفاء خلوصي ، مطبعة اسعد ، منشورات المكتبة الأهلية ، بغداد ، 1966 .
33. تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول ، د . شوقي ضيف ، طبعة الثانية – دار المعارف ، 1969 .
34. تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف، الطبعة 7، دار المعارف مصر، 1963 .
35. تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، المطبعة البولصية ، لبنان
36. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، طبعة ثانية ، دار المعارف – مصر ، 1968 .
37. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة مصر
38. تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا ، ط6 ، احمد حسن الزيات ، مطبعة لجنة التأليف – القاهرة ، 1939 .
39. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، حسن إبراهيم حسن ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1964 .
40. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، دراسة نقدية في تفسير التاريخ ، د. فاروق عمر ، طبعة ثانية . آفاق عربية ، بغداد 1985 .
41. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبع ليدن ، 1901
42. تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، طبع ونشر دار الهلال القاهرة ، 1958
43. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، د. محمود إسماعيل ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح الكويت ، 1989 .
44. تاريخ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني الهجري ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة القاهرة ، 1953 .
45. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب البهبيتي ، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – مصر ، 1961 .

46. تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط6 ، بيروت ، 1974 .
47. تاريخ العرب (مطول) – فيليب حتي – دار الكشاف – بيروت ، 1950 .
48. تاريخ الموصل ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبه ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ، 1967 .
49. تاريخ النقائض في الشعر العربي ،أحمد الشايب ، الطبعة 3 ، مكتبة النهضة المصرية دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، 1966 .
50. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ط1 ، دار الأمانة بيروت ،1971
51. تاريخ اليعقوبي ، أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن دهب الكاتب نشر المكتبة المرتضوية في النجف ، مطبعة الغري ، النجف 1358، هـ
52. تاريخ بخارى ، أبو بكر محمد بن جعفر البخاري ، ترجمة أمين عبد الحميد ، ونصر الله الطراريس طبع دار المعارف – مصر .
53. تاريخ بغداد ، الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت .
54. تاريخ دمشق ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار مصر للطباعة
55. التجديد الموسيقي في الشعر العربي ، د. رجاء عبد ، مطبعة شركة آلات ولوازم المكاتب ، الإسكندرية ، 1981 .
56. التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول ، محسن غياض ، مطبعة النعمان – النجف ،1973 .
57. التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د. شوقي ضيف ، طبعة 4 ، دار المعارف – مصر
58. تفسير القرآن العظيم ، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار مصر للطباعة – (تفسير سورة الروم) .
59. التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، مجاهد مصطفى بهجت ، طبعة 1 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، 1982.
60. تيارات أدبية ، إبراهيم سلامة ، مطبعة أحمد مخيمر ، 1951 .
61. التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، عثمان موافي ، ط مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ،1973 .

62. تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، أحمد محمد الحوفي ، مطبعة نهضة مصر .
63. ثقافة الناقد الأدبي ، محمد النويهي ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، 1949 .
64. ثلاث رسائل للجاحظ ، تحقيق (فان فلونت) – القاهرة ،1964 .
65. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، حنا فاخوري، الطبعة الثانية ، مطبعة شريعة ، ايران ، 1424هـ
66. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 .
67. جمهرة رسائل العرب في عصر العربية الزاهرة ، احمد زكي صفوت ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، طبعة أولى ، 1356 هـ 1937م.
68. الجواري والشعر في العصر العباسي الأول ، سهام عبد الوهاب ، ط شركة الربيعين ، الكويت ، 1980 .
69. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، ط12 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1960 .
70. الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع ، مليحة رحمة الله ، مطبعة الزهراء بغداد ، 1970 .
71. حديث الأربعاء ، د. طه حسين ، طبعة 10 ، نشر دار المعارف – القاهرة ، 1958.
72. حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول ، محمد جابر عبد العال ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، 1954 .
73. حصاد الهشيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، ط2 ، المطبعة العربية ، مصر ، 1932 .
74. حضارة الإسلام في دار السلام ، محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي ، القاهرة ، 1933 .
75. الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، تأليف : فون كريمر ترجمة مصطفى بدر – نشر دار الفكر ، سنة 1947 .
76. الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن أبي فرج البصري ، مطبعة دار المعارف ، 1964 .
77. الحياة الأدبية في العصر العباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، ط دار العهد الجديد ، 1954
78. حياة الشعر في الكوفة ، يوسف خليف ، طبع دار الكتاب العربي – بيروت ، 1971 .

79. الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1947 .
80. خزانة الأدب وغاية الأرب ، أبو بكر بن علي بن حجه الحموي ، مطبعة دار القاموس الحديث .
81. دائرة المعارف الإسلامية ، بالانكليزية ، مادة (satirr)
82. دراسات في الأدب العباسي ، عبد السلام سرحان ، ط2 ، الفجالة -مصر ، 1973 .
83. دراسة في لغة الشعر ، رجاء عيد ، مطبعة أطلس ، القاهرة ،1979 .
84. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ، محمد رشيد رضا ، ط4 دار المنار 1367هـ
85. دير الملاك ، (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر)، محسن اطيمش ط2 دار الشؤون الثقافية بغداد، 1986 .
86. ديوان أبي الشيص الخزاعي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الآداب – النجف ، 1967
87. ديوان أبي العتاهية ، شرح وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع ، طبعة أولى ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، 1997 .
88. ديوان أبي تمام الطائي ، تقديم وشرح د. محي الدين صبحي ، طبعة أولى ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .
89. ديوان أبي نواس ، دار مكتبة الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع– بغداد .
90. ديوان الأعشى ، طبعة أوربا .
91. ديوان الحسين بن الضحاك الخليع ، جمع وتحقيق عبد الستار احمد فراج ، طبع في دار مجلة شعر ، بيروت ،1960 .
92. ديوان الحسين بن مطير الاسدي ، جمعه وحققه الدكتور محسن غياض ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1391 هـ -1971 .
93. ديوان الحماسة ، أبو تمام الطائي ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر، 1968 .
94. ديوان الخريمي ، أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي ، جمع وتحقيق د.علي جواد الطاهر ، ومحمد جابر المعيبد – طبعة أولى – دار الكتاب الجديد – بيروت ، 1971 .

95. ديوان السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري تقديم نواف الجراح ط1 ، دار صادر – بيروت ، 1999 .

96. ديوان الشافعي ، أبو عبد الله بن إدريس الشافعي ، جمعه وعلق عليه : محمد عفيف ، طبعة رابعة مطبعة أوفسيت الوسام – بغداد .

97. ديوان العباس بن الأحنف ، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ، ط1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1373هـ - 1954 .

98. ديوان العباس بن الرومي ، تحقيق الشيخ محمد شريف سليم ، ط1 ، دار احياء التراث العربي – مصر ، 1917 .

99. ديوان العكوك علي بن جبلة ، تحقيق احمد نصيف الجنابي ، مطبعة الآداب النجف ، 1967

100. ديوان المتنبي ، شرح وتحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط1 ، مطبعة السعادة – مصر ، 1930.

101. ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1352هـ

102. ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، نشر وتقديم د. جميل سعيد ، مطبعة نهضة مصر ، 1949 .

103. ديوان بشار بن برد ، تحقيق د. إحسان عباس ،ط1 دار صادر بيروت سنة ، 2000 .

104. ديوان بكر بن النطاح ، صنعة حاتم صالح الضامن ، مطبعة المعارف – بغداد ، 1975 .

105. ديوان جرير ، شرح : مهدي محمد ناصر الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986 .

106. ديوان حسّان بن ثابت ، طبعة الهيئة العامة للكتاب، دار صادر بيروت لبنان

107. ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق احمد مطلوب ، وعبد الله الجبوري ، نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت .

108. ديوان ربيعة الرقي ، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار ، دار الرشيد للنشر– بغداد ، 1980 .

109. ديوان عبد الصمد بن المعذل ، تحقيق وتقديم د. زهير غازي زاهد ، طبعة أولى ، دار صادر بيروت 1988 .

110. ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بيك ، طبعة ثالثة ، دار صادر – بيروت ، 1996

111. ديوان محمود بن حسن الوراق ، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي ، ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ، بغداد 1969 .

112. الرأي العام في القرن الثالث الهجري ، عادل الآلوسي ، مطبعة الهلالي ، بغداد ، 1973 .

113. روائع الحكم في أشعار الإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق عبود احمد الخزرجي ، المكتبة العالمية – بغداد 1988 .
114. زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق الحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الثانية ، 1969 .
115. سرّ الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، تحقيق علي فودة ، المطبعة الرحمانية – مصر، 1932 .
116. سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد بن ماجة ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت .
117. سنن الترمذي ، محمد بن الترمذي ، تحقيق احمد محمود شاكر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
118. السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، فان فلونت ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، مطبعة السعادة – القاهرة ،1974 .
119. شرح الوافية نظم الكافية ، أبو عمر عثمان بن الحاجب النحوي ، تحقيق موسى بنّاي علوان العليلي ، مطبعة الآداب ، النجف 1980 .
120. شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن أبي الحديد ، تحقيق الشيخ محمد عبده ، ط2 ، دار الأندلس - بيروت ، 1963 .
121. الشعر العربي بين الجمود والتطور ، محمد عبد العزيز الكفراوي ، ط4 ، دار نهضة مصر، 1969 .
122. شعر دعبل بن علي الخزاعي ، صنعة عبد الكريم الأشتر ، المجمع العلمي – دمشق ، 1964
123. الشعر في الحاضرة العباسية ، وديعة طه نجم ، طبعة الأولى ، مطابع دار السياسة ، الصفاة ، الكويت 1977 .
124. الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دراسة في الحياة الأدبية في العصر العباسي ، احمد عبد الستار الجواري ، مطبعة دار الكشاف – بيروت ، 1956 .
125. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة د. محمد إبراهيم الشوش ، نشر مكتبة منيمنة بيروت 1961 .
126. شعر مروان بن أبي حفصة ، تحقيق حسين عطوان ، نشر دار المعارف ، مصر القاهرة
127. الشعر والتجربة ، أرشبالد مكليش ، ترجمة سلمى الخضراء ، دار اليقظة العربية بيروت 1963 .

128. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد شاكر ، ط3 ، دار المعارف مصر 1972
129. الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر 1977 .
130. شعراء الصعاليك ، د.يوسف خليف ، دار المعارف ، القاهرة – 1959 .
131. الشعراء الكتاب في العراق ، حسين صبيح العلاق ، ط1 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ،1971 .
132. الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، د. حسين عطوان ، دار الجيل بيروت ، 1974 .
133. الشعوبية وشعرائها ، عبد الصاحب الدجيلي ، شركة الطباعة المحدودة ، بغداد ، 1948 .
134. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، 1963 .
135. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، مطابع الشعب – مصر 1378 هـ .
136. صحيح مسلم بن الحجاج القشري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت 1403 هـ .
137. الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، محمد حسين الاعرجي ، ط المركز العربي بيروت .
138. الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، مطبعة البابي الحلبي.. مصر ، 1952 .
139. الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. احمد علي دهان، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، 1986 .
140. الصورة الشعرية ، س.دي. لويس ، ترجمة احمد نصيف الجنابي ، منشورات دار الرشيد بغداد ، 1983 .
141. الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د. علي البطل ، دار الأندلس بغداد ، 1980 .
142. الصورة في شعر بشار بن برد ، عبد الفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر ، عمان ، 1983 .
143. الصورة والبناء الشعري ، د. محمد حسن عبد الله ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، 1981 .
144. الضحك ، هنري برجستون ، ترجمة عبد الله عبد الدائم – وسامي الدروبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1947 .

145. ضحى الإسلام ، احمد أمين ، الطبعة العاشرة ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1936
146. طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط4 ، مطابع دار المعارف – مصر 1956 .
147. طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، السفر الأول ، بيروت ، 1971 .
148. الطراز ، يحيى العلوي ، تحقيق سيد المرصفي ، مطبعة المقتطف مصر 1924 .
149. العربية – دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فك ، ترجمة وتحقيق عبد الحليم النجار ، ط دار الكتاب العربي ، القاهرة ،1951 .
150. العقد الفريد ، أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1965 .
151. علم النفس والأدب ، د. سامي الدروبي ، طبعة دار المعارف – مصر 1971
152. عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، النسابة الشهير السيد جمال الدين احمد بن علي الحسني ، دار الأندلس 1988م .
153. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ط4 دار الجيل ، مصر 1972 .
154. عنوان الأريب ، محمد النيفر ، المطبعة التونسية 1351 هـ .
155. عيار الشعر ، محمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق د. طه الحاجري – د. محمد زغلول سلام ، شركة فن الطباعة – مصر 1956 م .
156. الفاضل أبو العباس المبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب ، 1975
157. الفرق بين الفرق ، أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي ، القاهرة 1910
158. فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف – مصر ، 1971 .
159. فكر ابن خلدون (العصبية والدولة)، تأليف محمد عابد الجابري، دار الشؤون الثقافية بغداد
160. فن الهجاء وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي، دار الثقافة ، بيروت .
161. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، الطبعة 4 ، دار المعارف القاهرة 1964
162. الفهرست ، ابن النديم محمد بن إسحاق ، طبع القاهرة 1348 هـ .
163. في الأدب والنقد ، د. محمد مندور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، مصر 1956
164. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ، دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي ، مالك المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، 1981.

165. في الحاسد والمحسود رسائل الجاحظ– القاهرة 1979.
166. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، بدوي طبانة ، المكتبة الانجلو مصرية – القاهرة 1954 .
167. قضايا الشعر في النقد العربي ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، ط2 ، دار العودة – بيروت 1981
168. قواعد الشعر ، أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب ، مطبعة المرزباني، القاهرة – 1948
169. الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق حسن عبد الله ، نشر مكتبة الخانجي القاهرة .
170. الكامل في التاريخ ، عز الدين علي بن الأثير ، ط2 ، دار الكتاب العربي – بيروت 1967
171. كتاب القوافي ، القاضي التنوخي ، تحقيق د. عوني عبد الرؤوف ط2 نشر مكتبة الخانجي القاهرة 1978
172. كتاب سيبويه ، المحقق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب – بيروت
173. لسان العرب المحيط ، جمال الدين محمد المعروف بابن منظور ، المطبعة الميرية – بولاق – مصر 1307هـ
174. لغة الشعر بين جيلين ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الثقافة ، بيروت .
175. اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد رضا مبارك ، ط1 ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1993 .
176. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري ، تحقيق احمد الحوفي مكتبة نهضة مصر ، 1959م .
177. المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري ، عبد اللطيف الراوي ، نشر مكتبة النهضة 1974 .
178. المجتمعات الإسلامية في القرن الأول – شكري فيصل – نشر مكتبة المثنى بغداد 1952
179. المحاسن والمساوئ ، إبراهيم بن محمد البيهقي ، طبع دار صادر بيروت 1960 .
180. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، الشيخ محمد الخضري ، القاهرة 1952 .
181. محاضرات في عنصر الصدق في الأدب ، محمد النويهي ، معهد الدراسات العربية العالمية ، 1959 .
182. محيط المحيط ، بطرس البستاني ، ط1 ، بيروت ، 1945م .

183. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الرسالة – الكويت 1983

184. مختصر كتاب البلدان ، ابو بكر احمد بن إبراهيم الهمداني (ابن الفقيه) ليدن 1302 هـ .

185. المدخل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ناجي معروف ، طبعة 4 ، بغداد 1964 .

186. المرشد إلى فهم إشعار العرب وصناعتها ، د. عبد الله الطيب المجذوب ،ط1 ، ملتزم الطبع والنشر شركة مصطفى البابي الحلبي مصر 1374هـ - 1955 .

187. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، مطبعة السعادة ، 1964 .

188. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، دار الجيل ، بيروت.

189. المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، طبعة الهند .

190. مشكلة السرقات في النقد العربي – محمد مصطفى هدّارة ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1958

191. المصطلح النقدي في نقد الشعر (دراسة لغوية تاريخية نقدية) إدريس الناقوري طبعة 2 ، التوزيع والإعلام ، طرابلس 1984 .

192. المصطلح في الأدب الغربي ، ناصر الحاني ، منشورات المكتبة العصرية – بيروت ، 1968 .

193. المعاني ، ابن قتيبة الدينوري ، مجلدان – طبعة حيدر آباد ، 1949 .

194. معجم الأدباء ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، طبعة ثانية مطبعة هندية بالموسكي، 1923 .

195. مفتاح العلوم ، السكاكي ، القاهرة 1376هـ - 1956

196. المفضليات ، المفضل الضّبي، تحقيق عبد السلام هارون – وأحمد شاكر ، ط2، مطبعة دار المعارف – مصر 1952 .

197. مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي الاصبهاني ، دار إحياء علوم الدين – مصر 1961 .

198. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، المكتبة التجارية – القاهرة 1969

199. مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان ، ط دار المعارف ، مصر.

200. مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، ط دار المعارف .

201. الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سعد كيلاني مطبعة البابي الحلبي – مصر 1967 .

202. من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والإسلامي ، د. طه حسين ، ط الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت 1970 .
203. من تاريخ الألحاد في الإسلام ، د. عبد الرحمن بدوي ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1945 .
204. المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
205. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ، تونس 1966 .
206. الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الامدي ، ط دار المعارف ، القاهرة ، 1961 .
207. الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، الأدب العربي القديم ، حنا الفاخوري الطبعة الأولى ، دار الجيل ،1985 .
208. الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، الأدب المولد، حنا الفاخوري ، طبعة أولى دار الجيل – بيروت 1985 .
209. موسوعة المصطلح النقدي ، الهجاء ، آرثر بولارد ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر – بغداد 1979 .
210. موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، ط5 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1978
211. الموشح ، المرزباني ، تحقيق علي النجار ، مطبعة نهضة مصر ، 1965.
212. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر
213. نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، ط3 ، دار الشؤون الثقافية بغداد 1987م
214. النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت 1973.
215. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، احمد كمال زكي ، الهيئة المصرية للكتاب 1972 .
216. النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، ناصر الحاني ، بغداد 1955
217. نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط1 ، مكتبة الخانجي مصر 1948 .
218. نقد النثر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د. طه حسين ، لجنة التأليف ، القاهرة 1948 .
219. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري دار الكتب المصرية 1935 .

220. هارون الرشيد ، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية ، الجومرد ، مطبعة دار الكتب بيروت 1956 .

221. الهجاء الجاهلي ، صوره وأساليبه الفنية ، د.عباس بيومي عجلان ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة 1985 .

222. الهجاء عند ابن الرومي ، عبد الحميد محمد جيدة ، منشورات المكتب العالمي للطباعة ، بيروت 1974 .

223. الهجاء فنون الأدب الغنائي ، سامي الدهان ، دار المعارف – مصر 1958

224. الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام ، د. محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة – مصر ، 1948.

225. الهجاء والهجّاؤون في الجاهلية ، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز – القاهرة مصر– 1947 .

226. همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد بدر الدين العناني ، دار المعرفة بيروت .

227. وحدة القصيدة في الشعر العربي ، حياة جاسم ، ط1 الجمهورية .

228. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

229. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار النهضة – القاهرة 1964 .

المؤلف

بقلم والده

علي السيد جعفر المرعب

السيد سعد السيد علي المرعب :

- صورة من صور النقاء، وطهارة القلب، وصدق اللسان، وبراءة اللهجة وسرعة البديهة وقوة الفطنة، ووقدة الذكاء.
- اختتم دروس الفصل الأول قبل قبوله بالمدرسة الابتدائية بعام .
- أحب منذ طفولته الشعر والقصة والحكاية، وكان يهيم في عالم اللغة ، تطربه أهزوجة وتسعده ظريفة .
- قبل أنْ يقبل في الصف الأول الابتدائي كانت أكثر حاجاته الخاصة التي يلهو بها هي الكتب من القصص والمجلات والدفاتر والأقلام، ولا يثير انتباهه شيء إذا ما دخل السوق إلاّ تلك الأشياء.
- لا يختزن في صدره شيء يجهله ، وإنْ عده البعض ملحاحاً فلن يعبأ بذلك حتى يعلمه ويتأكد من تعلمه .
- ليس له صاحب كالكتاب.
- ما عرف بذاءة اللسان مرةً ، وان كانت مزاحاً، وتشمئز نفسه ممن يتفوه بها .
- شعاره اعتزال مشاكل الناس وشؤونهم تمنحه قوة الموقف ، ولذا فهو لا يحب من يتدخل في شؤون غيره بحال .
- لم يسيء لأحد يوماً ، ولذا فهو لن ينسَ إساءة المسيء عمداً ، ولكنه لا يؤمن بالثأر والانتقام والقصاص ، ويدعو لاعتزال مَنْ اعتاد الإساءة اعتزالاً خالداً.
- يختزن السر حد النسيان ، ولن ينفلت لسانه بما في صدره، غير ثرثار ولا مكثار يطبق منهجي .

للسرِّ عندي موضعٌ　　　　ما نالَهُ يوماً أحدْ

- لا ينسى بر جديه ، يهدي لهما ختمة القرآن كل رمضان، وحينما يزور المراقد المقدسة يهدي لهما ثواب صلاته ودعائه دون ان يعلّمه احد .

- مطيع لوالديه، بارّ بهما، لا يرى العالم إلاّ من خلالهما. لذا فاني راضٍ عنه وادعوا ربي أنْ يجلله برحمته ،ويكلله ببركته وعزه ، ويوسع في رزقه ، ويحميه من كل مكروه، انه نعم المولى ونعم النصير.
- لقد كتبت له مواكبة لحياته قصائد ومقطوعات بدءً من يوم مولده الميمون وبمناسبة ولادته ، بعد مخاض متعسر ، في مستشفى السامرائي في بغداد، وبعملية قيصرية وضعته والدته فجر يوم 11/ 1/ 1981-1401هـ والحرب العراقية الإيرانية على أشدها وقد أجريت العملية على ضوء الشموع .

قوس الطبيعة قد ظهر	والطير يرقص والشجر
والريح تعزف لحنها	عزفاً على أبهى وترْ
وأنيرتْ الزوراء لّما	دق ناقوس الخطرْ
كسيت بحلّتها القشيبة	غير عابئة بالنذُرْ
ولد الحبيب فمر حباً	بقدومه وقت السحرْ
الشمس منه منيرة	والزّهر انضر مانضرْ
الباسقات تمايلت	طرباً بما يجلو البصرْ
واستبشر الأحباب خيراً	غاب منهم أم حضرْ
حصنت بالنبأ العظيم	وما ثلَتْ ام السورْ
يا سَعْد كنْ خَلَفاً لنا	للمكرمات وللفكرْ
لا تُبق الا ما وجدت	من المفاخر أو تُذَرْ
واستمسك القرآن واقرأ	ما وجدت من الأثرْ
ثم الهداة الطيبينُ	وعترة الهادي الأغرْ
فبهم تحلّ المشكلات	وبهم تعزّ وتدّكر
أعداؤهم يؤتى بهم	يوم القيامة في زمرْ
ويُصفدون سلاسلاً	في النار مسكنهم سقر
يا رب بارك مولوداً	وابعثه فخراً مشتهر
فالباء تنقص أرّخو	(وبجبه بزغ القمر)

1981م-1401هـ

وفي الذكرى الأولى لولادته في 1402هـ ، كتبنا

مـن الزهـرِ منظـره أسـحر ... مـن الطهـرِ مَلْثمـهُ أطهـرُ
تـوارث مجـداً فمـن نـوره ... توَضّـا الصّـباح بمـا يغمـرُ
وصـلّى تمامـاً بأسـفاره ... إلى عـالم الغيـب لم يقصـرُ
كمـا بـزغ الفجـر مـن حلكـةٍ ... تبـدّى لنـا السـعد يستبشـرُ
وحـطّ الرّحـال دجـى دَهـرهِ ... عيـاءً بمولـده يجـأرُ
حفيـد الإمامـة مـن جعفـرٍ ... وسـبط النبـوّة والكـوثرُ
تضـاءل شـعري بمـيلاده ... لأن سـناه لنـا أشـعَرُ

وفي ذكرى مولده الرابع أرسل لنا أحد الأصدقاء هذه الأبيات :

أصـله مـن صـافي النسـب ... بيتـه في أعلـى الرّتـبْ
قـد قـال يومـاً جـدّه ... أنـا بـن عبـد المطّلـب
في أسـرة هـي خـير مـن ... رعَـت الأصـالة في النسـبْ
هـم سـادة السـادات طـرّاً ... بـلْ وسـاداتُ العـرب
أنِعـمْ بمولـودٍ ومَـنْ ... انجبـه، أمٌّ وأبْ
ذكـراه في تاريخـه ... (بشـراك للخـير وجـبْ)

1985م-1404هـ

وبمناسبة التحاقه بالمدرسة الابتدائية ، وعيد ميلاده السادس في 1408هـ-1987م، كتبنا :

في بيتنـا بـدرٌ زَهَـرْ ... فـأنزاح عـن صـدري الكـدرْ
عمّـتْ ربانـا فرحـةٌ ... صـيغتْ علـى أحلـى وتـرْ
طـوبى لأجيـال وقُـمْ ... أرِّخ (بهـمْ نـورٌ ظَهَـرْ)

1989م-1408هـ

وكتبنا له في ذكرى مولده العاشر

أنِعـم بمولـودٍ بـه ... رفَـتْ دنانـا كالضّـحى
مِـنْ سـامقِ البيـتِ ومـنْ ... حيـدرة قُطـب الرحـى
للسّـعد قُلنـا أرخـوا ... (بشـراك للخـير طحـا)

1411هـ

وبمناسبة نجاحه بتفوق من المرحلة الابتدائية (البكالوريا) إذ كان الأول في المحافظة كتبنا.

1. لك الحمد لك المجدْ
2. وأنت صادق الوعدْ
3. يوم جميل كالندْ
4. مبتسم فيه الوردْ
5. والطير فيه غرّدْ
6. والشمس أضحت عسجدْ
7. وازدهرت فيه الخلدْ
8. يوم انتضى فيه سعدْ
9. للعلم سيفاً ذو حدْ
10. مكللاً فيه الجهدْ
11. نجاحاً ماله نِدْ

أرّخ (وذا شذا الرّند)

1993/ 1413 هـ.

وكتبنا في عيد ميلاده الثاني عشر

طـــال انتظـــاري أســعدُ	بـــالحلم في دهـــر عصـــوف
بـــكَ أزهـــرت هـــذي الـــدُّنى	والأيـــك دانيـــة القطـــوف
مـــن بعـــد لأي زرتـــني	لتكـــون مـــن نقـــط الحـــروف
في دوحـــة المجـــد الـــتي	حلّـــت بمعـــتركِ الطفـــوف
تـــاريخ (حـــبيّ صـــفّقوا	حلـــمُ تحقـــق في الخريـــف

1994م-1414هـ

تخرج من المرحلة الرابعة (البكالوريوس) في كلية التربية – جامعة بابل وقدم بحث تخرجه بعنوان (السرقات الشعرية) فكتبنا للبحث.

بحـــثٌ جـــرى فـــيمن ســـرق	نصـــاً ومعنـــى واســـترقْ
خـــاض غِمـــاراً هائجـــاً	(ســـعد) بـــلا أدنـــى قلـــقْ
وغـــاص في اعماقهـــا	وحـــلّ لغـــزاً منغلـــقْ

فصـــــــاد ممـــــا صـــــاده حوتـــــاً وقرشـــــاً وعلـــــقْ
وكـــلّ مـــا جـــاء بـــه رأي ســـديد متّســـقْ
فكـــان بحثـــاً ناضـــجاً جـــاء علـــى أبهـــى نســـقْ
أنعـــم بأســـتاذ ومـــن مكّنـــه حتـــى حـــذقْ

وبمناسبة نجاحه في كلية التربية – جامعة بابل ، وحصوله على شهادة البكالوريوس وحاز المرتبة الأولى للعام الدراسي 2003م كتبنا له :

في حقبـــة الـــدهر الـــذي أبـــدى لنـــا ظهـــر الجـــنْ
واســـتكلب الـــذئب وقـــد جـــرّ علـــى الـــدنيا المحـــنْ
فاجـــدب الأرض بمـــا زخّ عليهـــا مـــن ضـــغنْ
فضـــاعت اللّقمـــة والبلســـم والـــروّض الأغـــنْ
شمـــس تبـــدت للـــورى شـــعّت علـــى كـــلّ الـــزمنْ
مـــن دوحـــة المجـــد الـــتي جـــادت علينـــا بالسّـــننْ
يـــا رب بـــارك جهـــده فهـــوَ فطـــينٌ مـــؤتمنْ

وأعد يوماً بحثاً فوجدته ذا قيمة علمية راقية . فقلنا ارتجالاً :

وجـدتك في سمـاء الحـرف شمسـاً متـى بزغـت خبـت منهـا النجـومُ
تبرعمـت الحـروف فصـرت غصـناً فكانـت مـن براعمـه الكـرومُ

وبمناسبة فوزه بمقعد الدراسات العليا في جامعة بابل عام 2003-2004م كتبنا في شوال له :

إنـــبجس المجـــد بمـــا ضـــمّ، وممّـــا ادّخـــرهْ
مـــذ ارتقـــى مؤمّـــلٌ قمـــة طـــود وعـــرهْ
يـــترع بحـــر العلـــم مـــن غيـــث ويســـقي شَـــجَرَهْ
يـــروي نفوســـاً أجـــدبت فرائـــداً مـــن غـــررهْ
ويقتفـــي دربـــاً بـــه ســـارت جمـــوع الـــبررهْ
يـــبني دعامـــات العـــلا مـــأثرة، فمـــأثرة
يعـــزف ألحـــان اللّغـــى لتســـتفيق الســـحرة
يـــنفخ في الصـــور لكـــي تحيـــى عظـــام نخـــره

ذا صـــورة المجـــد الـــتي / كانـــت رؤىً معطّـــره
ممـــن حبـــا الله فهـــم / عترتـــه المطّهـــره
ان غـــاب أمجـــاد العـــلا / في حقبـــة مكشّـــره
تـــاريخ (غيّـــاب أتـــى) / أرختـــه (قـــدْ مفخـــرة)

1424هـ

وفي حزيران من عام 2004 أحرز سعد المراتب العلمية الباهرة، واجتاز غمار إثبات الجدارة العلمية لنيل شهادة الماجستير ، لذا كتبت

بوركـــت مـــن مجتهـــد راشـــد / كـــزارع ممـــتهن حاصِـــدِ
يراعـــه ســـيف بســـاح النهـــى / وســـيفه طـــرس بـــلا غامـــد
مـن ذي فقـار (الـنّهج) حُـزْتَ اللغـى / فكنـــت في الأغـــوار كالصّـــاعد
تلـــتقط الأفكـــار مخبـــوءةً / مـــن بـــالغ الأعمـــاق مـــن آيـــد
تقـــصُّ نهـــج النّـــادر الفـــارد / وتنبـــذ الغـــثّ مـــع الفاســـد
ان ترتقـــي العلـــم فمـــن يرتقـــي / الصـــهوة غـــير الفـــارس الذائـــدِ؟
ومـــا غريـــب الأمـــر في وارث / للمجـــد في الإبـــداع بالخالـــد؟
فأنـــت ممـــن لم يـــزد ركـــنهم / مـــدحٌ ، ولم يَحـــتَج إلى شـــاهد
مـــتنٌ وكـــل الخلـــق مـــن هـــامش / وقمّـــة تـــأبى علـــى الصـــاعد
تســـبيحة تعلـــو شـــفاه الـــورى / فرضـــاً كفـــرض الصـــوم للعابـــد
سباســـب الفكـــر لنـــا واحـــةٌ / تزْهـــو برنـــد العلـــم للوافـــد
ومـــن شـــذى تأريخهـــا (منجـــدٌ / ذي هبـــةُ الماهـــد للسّـــاهد)

جماد الأولى : 1425هـ / 2004م

وفي يوم الأربعـاء 10/ 1/ 2007 م الموافـق 21ذي الحجـة 1427هــ نـال (سـعد) شهادة الماجستير في الأدب العباسي بتقدير جيد جداً عالي وكتبنـا لـه في اليـوم نفسـه (أجـل الأحلام):

أجلُّ الأحلام

طُـــوبى لِمـــنْ يســـموا بآياتـــه / ويبلـــغُ الصـــرحَ بخطواتـــهِ
يَـــبْني حـــديث المجـــد لـــن يتكـــيء / مِنْسَـــأةَ الماضـــين، في ذاتـــهِ

ويَحْتَسي كأس العلا مترعاً عزّاً وذا من بعض لذاته
ترى البرايا نفسها صورةً ان حدّقت يوماً بمرآته
خالصة الآداب محظيةٌ كانت وما زالت لأماته
شتُّ اللغى في معجم كنزه إرث حوى من كل اشتاته
لن ترتدي الأقوالُ بُرد اللّغى ما لم تجد مرعى بكلماته
مشارف الميلاد من عيده عيدُ رقى من حيث مرقاته[1]
أجل احلام له فسّرت أرختها (أحب غايته)
1427هـ - 1428هـ

وبمناسبة صدور القرار الجامعي بمنح (سعد) الشهادة كتبنا :
آذار 2007

صور ناطقة

بين عيني الفتى (هذا) ازدهى
إرث مجد سامق من (جعفرِ)[2]
و(رحيقٌ بابليٌ)[3] ساحرٌ
وسُلافات الرؤى بالعنبرِ
و(خلاصات)[4] لتاريخ النّدى
عبّ من كأس طهور الكوثرِ
فوق أعواد النهى قاموا فمن
منبر عالٍ لأعلى منبرِ

([1]) شاء الله أنْ يجعل يوم نيل شهادة الدراسات العليا في يوم ميلاده السنوي الاعتيادي، وعلى مشارف عيد رأس السنة الهجرية ورأس السنة الميلادية، والحمد لله رب العالمين.

([2]) جعفر : جد الممدوح و(هذا) إشارة إلى (سعد) نفسه

([3]) الرحيق البابلي : ديوان والد (سعد)

([4]) خلاصات عنوان لثلاث مؤلفات كبيرة لوالد (سعد) تختص بالسيرة والأدب والنسب والتاريخ لأشراف العلويين حصراً، وهي : خلاصة الألباب، والخلاصة، وخلاصة الخلاصة.

نبذة تعريفية عن المؤلف :

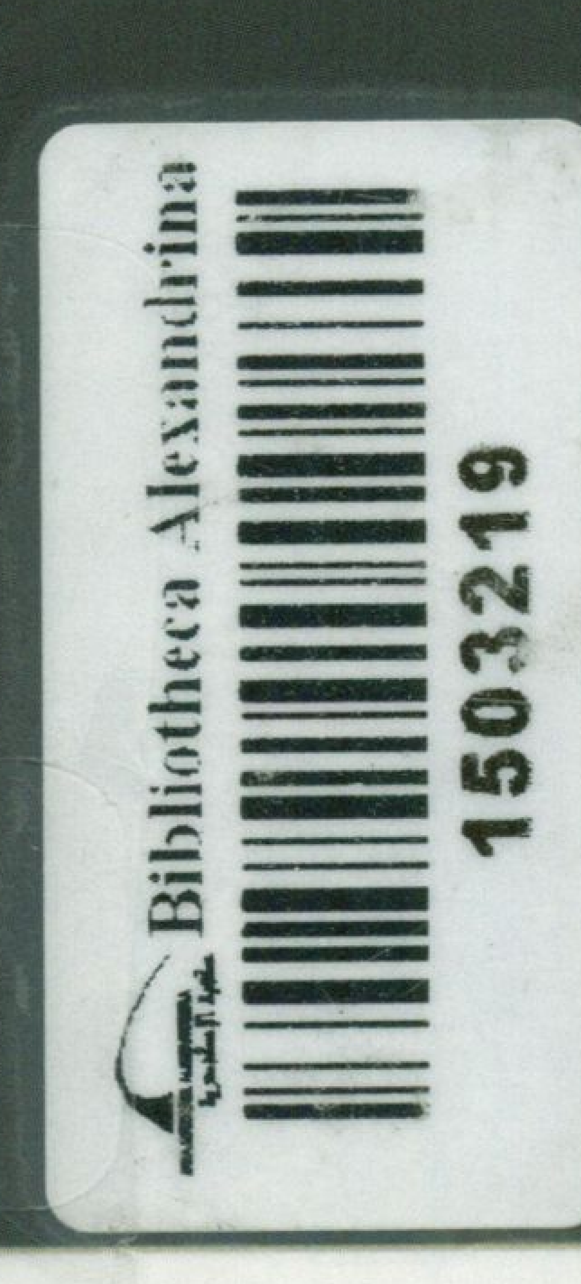
- ولد في بغداد عام 1981 م في أسرة علمية عريقة .
- أكمل الدراسة الإعدادية في الحلة .
- أكمل الدراسة الجامعية في جامعة بابل وكذلك الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه .

مؤلفاته :

1 . المنابع الثقافة للشعر العربي في القرنين الثاني والثالث الهجريين .
2 . نظرات نقدية بين القديم والحديث .
3 . شرح وتعليق كتاب مستدرك الرحيق البابلي .
4 . شرح وتعليق كتاب البابليات الخالدات .
5 . علي المرعب شاعر الرحيق البابلي حياته وأدبه .

فن الهجاء

في شعر العصر العباسي الأول





المملكة الأردنية الهاشمية
عمان - العبدلي - شارع الملك حسين
قرب وزارة المالية - مجمع الرضوان التجاري رقم 118
هاتف : 4611169 6 962+ - 4616436 6 962+
فاكس: 4616435 6 962+
ص.ب 926141 عمان 11190 الأردن
info@daralredwan.com
www.redwanpublisher.com


9 789957 764494